محمد سعيد الشيخ علي الخنيزي

أضواء من النقد

في الأدب العربي

دار سلوني

مؤسسة البلاغ

أضواء من النقد

في الأدب العربي





محمد سعيد الشيخ علي الخنيزي

مؤسسة البلاغ

الطبعة الأولى

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م





للطباعة والنشر والتوزيع

المكتب : بئر العبد - سنتر الإنماء١ - ط٣ - المستودع : حارة حريك - شارع الشيخ راغب حرب - مقابل نادي السلطان
ص.ب : (١١-٧٩٥٢) بيروت (٢٢٥٠-١١٠٧) - هاتف : (٠١/٥٤١٨٥٤) - (٠٢/٥١٤٩٠٥) - فاكس : (٠١/٥٥٣١١٩) لبنان
التوزيع في سوريا : دمشق - السيدة زينب (ع) - مكتبة دار الحسنين (ع) - هاتف : ٦٤٧٠٦٥٤
الموقع الالكتروني : www.albalagh-est.com



الإهداء

إلى النُّقاد من مفكري حملة العلم والأدب . . .

إلى المفكرين المنصفين . . .

إلى الَّذين لا يتحيزون إنَّما يهمهم الحق والحقيقة

أهديكم هذا الكتاب

المؤلِّف

محمَّد سعيد الشَّيخ علي الخنيزي

٢٧ /٧/١٤٢٤ هـ

٢٤ / ٩ / ٢٠٠٣ م



مدخل

تعود بي هذه الخاطرة إلى زمنٍ سحيق، تمتدُّ جذورهُ فِيْ صعيدِ حياتي، فقَدْ كانت تمرُّ بي هذه الإلمامة كإلمامة الجزء وهيَ فواصلُ أيامٍ، وليالٍ، دارت دورة الضوء فِيْ أفق حياتي، إنَّها خواطرُ تمرَّدت عَلَى أسلوبٍ مِنْ أساليب الحرفِ (الأسلوب النَّقدي التوجيهي) فالنَّقد يراه بعضَ المفكِّرين معول هدمٍ، فهم يجفلون منه عند التلويح به، قبل أنْ يمسَ نصوصَ أعمالهم الأدبيَّة، ولا يطيقون حرفاً مِنْ حروفهِ، ويجزعون من اسمه.

وشريحة مِنْ المفكرين يرون النَّقد: الحياة إذ لا حياةً بلا نقد، ولا نقدَ بلا حياة، ولولا النَّقد، لمات الأدب والفكر، وانطوت الحياة الفكريَّة، ولفَّها الزَّمنُ السحيق.

فالنَّقد هو الَّذي يُنبه العقول إلى نصوص ذلك الشَّاعر، أو الكاتب، ويفتح العيون عَلَى نصوصه، ويتعاملُ معها تعامل الندِّ للند، إذا كان النقدُ هادفاً للحقيقة، بعد أنْ كانت العيونُ مغمضةً، لا تبصرُ ماذا تدورُ مِنْ شمسٍ فِيْ سماءِ آثارهِ؟ وماذا يضم مِنْ نصوصِ أقواله، من باقات تحمل العطر، والشوك؟

فالنقدُ بكلا شقيه: معولُ هدمٍ، إذا حملتهُ يدٌ بعيدةٌ عن الفنِ، نبت بين أنملتِها أشواكُ حقدٍ، وبنَّاءٌ إذا حملته يدُ صناعٍ بنَّاءة ناصفةٌ مخلصة، نبت بين أنملتها الذوق الرفيع، وحسنُ الهدفِ يُفتِّح العيون المغمضة عن ذلك الشَّاعر، أو الكاتب وينشرُ ذكره، فلولا النُّقاد لضاع ديوان الشِّعر، وما المتنبي الخالد إلا صنيعةٌ مِنْ تلك الصنائعِ النقديَّة، الَّتي بلغ بها الهوس إلى مرتبةِ الحقد، والحسد، وأنا مِنْ الَّذين يؤمنون بهذه الظاهرة

الفكريَّة النقديَّة البنَّاءة. فلولا النَّقد لما عرفنا شعراء، ومفكرين، خلَّدهم النُّقاد على صفحات الزَّمن السحيق.

ولنا مثل حي فيْ برنارد شو، عندما طمح إلى الشهرة، والخلود، جرد منْ نفسه يراعةً ساخرة، في هجوم عنيف عَلَى نصوص أعماله، ويتعامل معها تعامل الحاسد الحاقد، في اسم مغلف مجهول الهوية، فضجَّ لهذه الهجمات المفكِّرون رحمة بهذا المنقود، واشرأبت الأنظار للتطلع لقراءة هذه الحروف المنقودة، وتسمرت في قراءة أسطرها، إلى أن تجسَّد هذا الفكر أدباً حياً، وفكراً عالمياً، ولولا أسلوب هذا النَّقد الَّذي ابتكره هذا الكاتب لنفسه، لما كان الَّذي كان.

فإنَّ هذه الخاطرة المتباعدة في الزَّمن، والهدف، والمقصد، للمتُ حروفَها، وجمعتُها فيْ كتيبٍ تعيش فيه، لعلَّها تتنسم الهواء، والجامع لها: الهدف المشترك التوجيه، وإنْ اختلف الحرف فيْ أسلوبه، والأزميل في نحته، فهيَ تظلها سماءٌ واحدةٌ، وتمرُّ فيْ محيطِ ضوء، ونقطةٍ واحدة 'النقد' وإن اختلفت عواملها الزَّمنيَّةُ، واتجاهاتها الفكرية، لكنَّها ترجع إلى أصالة واحدة هيَ الحياة النقديَّة، وتجمعُها أطروحةٌ واحدةٌ.

وقَدْ نُشر قسمٌ منْ هذه الخاطرات، فيْ الصحف المحلية – ولكن، ولعنة الله على لكن، فقَدْ فُقدت هذه الصحف، الَّتي تحمل هذه المقالات المنشورة فيها، وما نشر في الصحافة الخارجيَّة: كالمقال الَّذي كتبته في مستهل حياتي الأدبيَّة، عن جبران خليل جبران، ونشرتُهُ في مجلة الأديب اللبنانيَّة، وجديدٌ لا يبلى، قدمته للوفد المكون من 'جامعة الملك فؤاد' حين زيارته للقطيف، وتعرف اليوم بجامعة القاهرة.

وقَدْ نشرت منه الدكتورة بنت الشاطئ بعض الفقرات، في مجلة الكتاب، وفي كتابها أرض المعجزات، ولَمْ أحتفظ لهذين المقالين بنسخة لهما، وقَدْ لحق بهما بعض السوانح المخطوطة والمنشورة في الصحف، فابتلعهم الزَّمنُ، وضاعوا في تلافيفه فخشيت على هذه البقية الباقية من الضياع، فلملمتُها، وجمعتُها في أحرف، وأجريتُ في بعضها معول الهدم والبناء، حتَّى أقول فيها كلمتي الَّتي أرضاها، عَنْ هذه السانحات، حسب رؤيتي لها، في كتيب أسميتُهُ (أضواء من النقد في الأدب العربي) حتَّى يكون هذا الاسم مطابقاً للمسمَّى، وفيْ انطباقِ الدلالة عليه، كما يمثِّل الحقبة الماضية من حياتي الأدبيَّة، وإنْ كُتب في فصولٍ مختلفة، ومراحلَ متباينة، ولَمْ أُسجِّل تواريخها الزمنيَّة، كما اعتدت فِيْ أعمالي الأدبيَّة، فيؤسفني هذا الإهمال للتَّاريخ الزَّمني، لأنَّه يعطي القارئ التَّطور الفكري، وسبب ضياع التَّاريخ لضياع بعض المقالات، وبعضها عثرت عليه منشوراً في بعض الصحف الَّتي وجدتُها عند بعض الأصدقاء.

فقَدْ ذيلتُ بها تواريخ النشر الزَّمني: كالصحافة العربية، والصحافة مرآة الشعوب، وفي بعض أعداد صحيفة اليوم.

إنَّ أسفي على ضياع التَّأريخ، كأسفي على ضياع الأصل، لأنَّ للتَّأريخ الزَّمني دوراً هاماً في مفهوم الحرف الأدبي، وتطور حياة الأديب في مراحلها التصاعديَّة، أو التنازليَّة، فكان لهُ الطابعُ التشخيصي في هذه المراحل المتطورة للتحليقِ، أو الإسفافِ.

ولعلَّ الزَّمن يتحركُ، فينفض عنه ما رسب في تلافيفه، فنبصر بعض المقالات، أو الصحف الَّتي نُشرت بها، فنثبتها وتاريخها الزمني معها.

إنَّ هـذه السـوانح النقديَّـة، حينمـا كتبتُهـا، لَـمْ يكـن لــي هـدفٌ في تنـاول شـاعرٍ معـينٍ، أو أديـبٍ، أو كـاتبٍ خـاصٍ، إنَّمـا هـيَ أفكـارٌ تولّدُهـا سـوانحُ، فـإنَّ السـوانح بنـت الفِكَـر، فتنمـو السـانحةُ الَّتـي هـيَ بنـتُ الفكـرةِ، وأنـا أقـرأ شـاعراً، أو كاتبـاً، فينطلـق إزميلهـا، فيرسـم صـورةً متكاملـةَ الأضـواء والظـلال، فهـيَ بمجموعهـا تؤلِّـف سـوانح متباينـة، ولـون مِـنْ ألـوانِ النقد فِيْ أسـلوبٍ يهـدف إلـى تجسـيدِ فكـرة ضوئيَّـة، أو كلمـة خضـراء زرعـت في قلـب التَّـاريخ، وأرهـف لهـا سـمع الحيـاة، وغنَّـت بهـا طيـور الـروض، وعاشـت في قلـب الربيـع فـأنبتت الـورد، والزنبـق، والياسـمين.

لَـمْ تـأتِ هــذه الخاطـرة، أو السـانحة بجديـدٍ، إنَّمـا عقـدت موكبـاً ضوئيّـاً يسيـر كضـوء الفجـر، وتشـرق مـع إطلالتـه، حينمـا ينطـوي عـن سمائه اللَّيـل، فهـيَ تشـيرُ إلـى فكـرٍ، يعيـش حيّـاً فـي تراثنـا، وفي لغتنـا العربيـة الذَّهبيَّـة الَّتـي في مرونتهـا، وسـعة آفاقهـا، وكنوزهـا مِـنْ أغنـى اللُّغـات وأوسـعها، وأنفس الذخـائرِ ذخائرِهـا، فحرفهـا المخضوضـر منـذ ولادتهـا: مـا جـفَّ ولا يبـسَ علـى ثغـرِ الزمـن، فقَـدْ سـقاها القـرآن الكريـم كـأس الخلـود، ورفعهـا شـموخاً إلـى مكـانٍ عـالٍ، مـا بعـدهُ مكانـة، وسـقاها منبـع متدفـق بـالنمير العـذب مِـن الحديـث النبـوي، معانيـاً مبتكـرة لَـمْ تسـبق مِنْ ذي قبـل، مثـل كلمـات الرسـول الأعظـم – صلَّـى الله عليـهِ وآلـهِ – 'يـومٌ أيَّـوم، وهدنـةٌ علـى دخـنْ' – إلـى مـا يمـاثل هــذه المضـامين البليغـة، والينبـوع الَّـذي يفيـضُ جـداولَ حكمـة، وبلاغـة مـن ينـابيع النبـوة و((نهـج البلاغـة)) للإمـام علـي، الَّـذي هـو في ذروة البلاغـة والفـن.

فكل حرف منها يترجم حياة، وإشارات ترمز إلى ما وراء الصور من أنوار، وأضواءٍ، لأجيال، وقرون، انطوت في هذه الأحرف الضوئيَّةِ.

وإنَّني لأشكر: سبطي الدكتور / حسام - على ما بذله معي من جهدٍ في مراجعة النصوص، لتصحيح الأغلاط الخطية، وتصحيحها في الكمبيوتر بعد تصحيحه على الورق، وقراءتها عليَّ، أسأل الله له التوفيق والنجاح كما أشكر ابن الأخت الأستاذ / محمد رسول الزاير على مراجعته لهذا الكتاب لتصحيح الأخطاء الكتابية واشكر السكرتير هشام محمد حسن لقرأته لي فإنني كما قال فيلسوف العرب المعرِّي غنيٌّ بغيرهِ وأخيرا أشكر الله أولا وأخيرا الذي مدني وساعدني في إظهار هذه الأطروحة أو بالأحرى هذه المجموعة لهذه الأفكار ولولا فضله لما كنتُ ولما كانت.

هذا ما أردته من هذا الحرف، أن أجعلهُ مدخلاً، ومرآةً، تعكس ما بعدها من صفحات.

٢٠/٠٦/١٤١٦هـ

١٣/١١/١٩٩٥ م



الرمزيَّة والحداثة

نُشرت فِيّ صحيفة اليوم - بعدد ٨٢٧٧ - بتاريخ يوم الاثنين الموافق - ٢٣ رمضان ١٤١٦هـ - ١٢ فبراير ١٩٩٦م - وفي مجلة الواحة بالعدد السادس - الموافق ربيع الثاني ١٤١٧هـ - أغسطس ١٩٩٦م - الصادرة بلبنان.



لعلَّ مِنْ الخيرِ، أو مِنْ الفائدة: أن أُسجلَ خاطرةً تدور فِيْ آفـاقِ أفكاري عَنْ: الرمزيَّة، والحداثة، الَّتي هيَ عنوانُ أدبِنا اليومَ، وصفحـة من صفحـات هـذا العصـر الجديـد، وتغلـف بشـعارات براقـةٍ، مثـار فتنـة الشباب، ومحطِ آمالهم.

وقبل أن ألج إلـى هـذه المنعطفات المُغلقة، وأدخل في صميـم بحثي التَّحليلي، لابُدَّ مِنْ توطئةٍ، تُعرِّف الفكـر الأدبي، والأهـداف الَّتي خلقَ الله لها هذا الفكر، وأضاء له سبل الحياة، فـي ضـوء كلمـات تكونت من حروف، فأسميناها أدباً.

فالأدب هـو: الحياةُ، والحيـاةُ لا يسـتغني عنهـا فـرد، أو قـل البشريَّة، مهما تطورت في أدوارها المتطورة، والمتعاقبة.

لكُلِّ لسـانِ أُمَّـة أدبٌ، تترجمـهُ فـي لغتهـا، وتحفظ به تراثهـا، وتسـجِّله مجـداً تاريخيّـاً، وسجـلاً لمفكريهـا، وحيـاةً تنبـع جـداول فكريَّة، ترشفُ منها الأجيـال، وتعـرض حياتهـا منـذ فجرهـا الأوَّل، ويربطها بحاضرها، فمن لا ماضيَ له، لا حاضر له.

فالتَّاريخ سلسلة قضايـا متعاقبـة مـن الأيـام والليـالـي، تـدور في دورتها الزَّمنيَّة، والمفكِّرون يرسـلون فيهـا مشـاعلهم كـالكواكب فمنهم من يشرقُ ضوؤه في عتمة هذه الحياة، وتسير على ضوئـه أجيال، وأجيال، وقرون، وقرون.

فيصحُّ لنـا أنْ نقـول: إنَّ الأدب هـو الحيـاة، بعـد أنْ عرَّفنـاه، إنَّـه جوهـرُ الفكـرِ، والفكـرُ الحيـاة يتجلـى في حـروف تتمشـى فِـيْ ظلالِهـا صـورةُ فكـرٍ قبسـاتٌ انعكسـت، وانطبعـت رأيّـاً في مـرآة تبصرهـا، وتستشفُّهاً، فكـأنَّك تعيشُ مـع ذلـك المفكِّر، أو الأديـب،

وهو يوجِّه، ويرشد مجتمعه إلى طرقِ الخير، إنْ كان النبعُ نبعاً صافياً، لَمْ تلوثهُ العقول المريضة، وإلاَّ جرفته إلى طريقِ الشرِّ.

فالفكر الأدبي في مفهومه، وصورهِ المختلفة الملوَّنة، لا يقف عند نقطة، أو نقطتين، فقدْ يرسم لنا قلباً، فِيْ خاطرةِ حُبٍّ ووله دلهته، فهام في صحاري الحياة، حتَّى نسج حوله التَّأريخ الأساطير، وصوَّرته شِلواً، لا تعرف عنه فِيْ: أين وقع عليه المنون؟ ولكنَّ فكره حي يعاصر الأجيال، على رغم أنفِ هذه الروايات التَّأريخيَّة، الَّتي جعلتهُ بطلاً، غرامياً، خرافياً، مُختلقاً.

فالفكر المنسوب لهذا البطل الغرامي: من أين بزغ؟ ومن أي سماءٍ تولَّد؟ فهو فكر حي، يعطينا نشوةً فكريَّةً، لا يتذوَّقها، إلاَّ أولئكِ الَّذين هاموا بأسرار الحرف، وعاشوا في محاريبهِ، فأسلوبه الشِّعري، الَّذي يزخرُ بزخمِ العاطفةِ، فالأدب الحي: هو فكرٌ من أين تولد وفي أي أفق نشأ.

بربك هَلْ ضممتَ إليكَ ليلى

قُبيل الصبح أو قبَّلتَ فاها؟

وهَلْ رفَّتْ عليكَ قرونُ ليلى

رفيفَ الأقحوانة فِيْ نداها؟

عاطفةٌ حيَّةٌ تتحرَّك، وتتجسَّد فِيْ حرفٍ حي متحرِّك، فالأدب من أيِّ سماءٍ تولَّد، وعاش: يتنفس الأكسجين – فهو: أدب بدون تميز، فالأدب الإنجليزي، أو الألماني، أو الإيطالي، أو الأمريكي، تعبيراً يرسم دنياهم في ألوانٍ متطوِّرة، فِيْ عيشتهم المختلفة، والساكنة، والمضطربة الَّتي عاشوها.

والأدب العربيِّ بمَّا فيهِ منْ تراثِ هذه اللُّغةِ الذَّهبيَّة الواسعة الآفاق، والأرجاء الَّتي تنبع مِنْ جدولٍ متدفق بحرارة الحياة، هو

أدبٌ تصدق عليه كلمة أدب، ومفكِّروه، يحاولون أنْ يرسموا أفكارهم فِيْ حرفٍ يخاطب المفكِّرين، وحرف يخاطب الجمهور، في مفهومه العام.

ودرج الشُّعراء، و المفكِّرون، لإبلاغ أفكارهم فِيْ مضامينَ تهز المجتمع هزّاً، منذ وجد الحرف، ووجد الإنسان على هذا الكوكب، واللُّغة الترجمانُ لأسرار ما فِيْ قلوبِ البشريَّة مِنْ طموحاتٍ وغايات.

وعندما أراد الله، أنْ يعزَّ هذه اللُّغة، ويزينها، ويرفع قَدرها، ويأخذ بزمامها، ويشدُّ جناحيها إلى الصعود، بعث خاتم الأنبياء، وسيدها - صلَّى الله عليه وآلهِ وسلَّم - فيها فزادها شرفاً، وتوَّجها بمعجزة، هو القرآن العظيم، فكساها خلوداً ومجداً، ما بعده من مجدٍ، وشموخ، لأنَّ القرآن فِيْ الذروة الإعجازيَّة الَّتي لا يصل لها البلغاء بحرفٍ واحد، ويتحدى المفكِّرين، والبلغاء أنْ يأتوا بسورة من مثله، فهنا انكفأ العقل البشري، واختنق لأنَّهُ، لا يصل إلى هذه الذروة.

وبعد هذه التوطئة التعريفيَّة، نسلط النظرة الضوئيَّة على بحثِنا فنقول: إنَّ الأدب – هو تعبيرٌ نُديرهُ فِيْ حروفٍ، تبطِّنها أهدافٌ، فِيْ أفكارٍ تشيرُ مِنْ وراءِ هذه الحروف، وتبلغها بهذه الكلمات إلى الآخرين، وهذه النقطة التفسيريَّة للأدب فِيْ مفهومهِ الخاص، أمَّا المفهوم العام، فتندرج تحت كلمة أدب الخُلُق، وما فيها مِنْ خصالٍ كريمة.

وهنا أُريدُ أنْ أحدِّد نقطة الأدبِ، الَّتي نديرها حول الفكر، وما ينتجه المفكِّرون مِنْ شعرٍ، أو نثرٍ، فنتساءل تساؤلات استفهاميَّة، ولعلَّها تكون من قسم التقريري: هل المفكِّر عندما

يعصر روحه في أطروحةٍ مِنْ أطروحاته يكتبها لنفسه؟ أو يكتب ليوصل أفكاره للجمهور في معاناته، وتفاعله النفسي؟ فإذا كان يكتب لنفسه، ويقصر هذا الظِّل على شخصه بمقدار ما يحدثه ضوء الشَّمس، فليس له هدفٌ سامٍ، ولا فائدة من نشرها على المجتمع، لأنَّه فكرٌ مغلَّف برموز الشفرات، لا يحلَّها إلاَّ هُوَ، وقَدْ تفسَّر بتفسيراتٍ مختلفة الآفاق، والألوان، فيضيع الهدف، والإشارات الَّتي ترمزُ للمعنى الَّذي يعبِّر عنه سذج العوام (المعنى في قلب الشَّاعر).

فإغراق الرمزيَّة هيَ: مضيعة للغاية، والهدف الَّذي من أجله صهر المفكِّر عقله، وأدبه، فِيْ بوتقةٍ ضوئيَّةٍ مِنْ شموعٍ تحترق لتضيء هذه العتمة، فهذه الشموع مطفئة، منذ ولادتها فِيْ هذا الأفق، لأنَّ الفكرة لَمْ تفتح أجفانَها، وتكتحل بهذا الضوء.

بيد أنَّ الرمزيَّة المحدودة، الَّتي تشير إلى ظلالٍ بعيدة، تكمن وراء هذه الظِّلال، صورٌ، ومعانٍ ضوئيَّةٌ، ترمز أحرفها إلى أهدافٍ، يفهمها ويفسرها المفكِّرون، فهيَ ترشد الساري إلى بعض المنعطفات.

أنا لست حجري العقل.. مغلق التفكير، أدعو إلى الجمود والتحجر في حياتنا الأدبيَّة، والبكاء عَلَى أطلالِ الماضي، وتجميد الحرف، وقتل الأطروحة الأدبيَّة، لست مِنْ أولئك.

إنَّ فجر نهضتنا الجديدة، قَدْ بعث الفكر مِنْ فترةِ الرُّقاد الَّذي مات فيهِ، وعاش على مائدةِ البديع، كالطباق، والازدواج، فأنا أنعى على أولئك: هذه الرسمة الجامدة المعنى، المتهرية الحرف، وأُشيد بالتجديد، الَّذي يفتح آفاقاً جديدةً فِيْ حياةِ

لغتنـا، مـع الاحتفـاظ بتراثها الذَّهبـي، مـن الصورِ، والألـوان مـا يبهج النفسَ، كروضة تموج بألوان الزهورِ، وخرير المياه، ويسكب عليها أطياف الغروب، ألوان من الحلل الذهبيَّة.

لا أولئك الَّذين تسمـروا، ووضعـوا أُطروحتهم الرمزيَّـة فـيْ الإغـراقِ، حتَّـى أخرجتهـم، إلـى مـا وراءِ اللامفهوم، فعجـزوا عـنْ حلِّ هذه الشفـرات المغلَّفة، وإذا سألتهـم، وطلبـت منهـم تفسيـراً لحـلِّ هـذه الشـفرات، أجـابوك: جـواب سـلبي، يشـبه الرمـز الشِّعري، فيكون الجواب، مِنْ جنسِ الشِّعرِ، وبالتالي لا تصل إلـى ما وراءِ معنى هذه الأطروحة الخالية، إلاَّ إلى أصداءٍ جوفاءَ، فلا أستحسـن هـذا الـذوق الرمـزي، وهـذه الأصـداء الَّتـي تـردد فـيْ صحراءَ قاحلة، وهذه الرمزيَّة الَّتي لا تترجم خـاطرةً فكريَّـةً، ولا إشارةً ضوئيَّةً، لأنَّها كما قلت: لا تـؤدي مـا يعصـره مفكِّروهـا مـنْ مضمونٍ، أو مفهومٍ صوَّروه فيها.

وليست الرمزيَّةُ حادثـةً، لأنَّ الرمزيَّـة الأصيلـة، ولـدت فـيْ سماءِ الأدبِ العربيِّ منذ العصور القديمة، ولعلَّ أولَّ مفكِّـرٍ رسـم خطوطهـا (أبـن عربـي المتصـوف)، وسـار علـى ضوئِهـا تلميـذهُ الشَّاعـرُ (ابن الفارض) المصري، وكتب أشعاراً كلَّها رموز، ولكنَّهـا ليست كالرمزيَّة الحديثة، الَّتي لا تعرف أوَّلها مِنْ آخرِها.

إنَّ (ابنِ الفارض) قال شعراً رمزيّاً، وهـو ذو مبـدءٍ صـوفيٍّ، ولكنَّ هذه الرُّموز تحل وتفك:

شـــربنا علـى ذكـر الحبيـب مدامــةً

سكرنا بها مـن قبـل أن يُخلـقَ الكَـرمُ

إنَّهـا قصيـدة عصمـاء، في أسـلوبها الشِّـعري، تتجلَّـى في: صورها ومعانيها، وهيَ من: الشِّعر الرمزي المفهوم، الَّذي نفهم

أطروحته، وما تدور عليه من إشارات بعيدة المرامي، في هدفها، وأضوائها، فعلى الشُّعراء الَّذين يكتبونَ الشِّعر الرمزي، أن يكتبوا بهذا الأسلوب، ليكونوا واضحين في أطروحاتهم، وأهدافها.

أمَّا الحداثة الَّتي أؤطِّرها تشبه الأُطر الرمزيَّة، وتفتقدُ عناصر الغناء، والتصوير، لأنَّ الشِّعر: هُوَ تصوير، وموسيقى، ولحن ينساب في أنغام انسياب الأنهار في جداولها، فإذا مات عنصرٌ مِنْ تلك العناصر، لَمْ يكن شعراً، وإن سُمِّي شعراً.

والعجب لما تكتنف هذه الأطروحة، التهريج الإعلامي، المملوء دويٌّ وتطبيلٌ، لبعض كلمات جوفاء، لا تحمل عواطف، وهيَ بعيدة عن مفهوم الحياة، لا تسير معه، ولا تواكبه.

إنَّما جاءت هذه الأطروحة، تقليداً للشِّعر الغربي، فاصطبغت بهذا اللون، وحملت طابعاً غريباً على سمتها، ومحيطها، فكان له الهتافُ، والاحتفالُ، ولعلَّه نبع هذا من: فكرة استعماريَّة تشجعه، وتمدّه بهدف قتل اللُّغة العربيَّة، وإماتتِها، والإسفاف بما طفى على ثبجها، ببعض ألفاظ التقطت من ذلك الطائف، حتَّى ننسى لغتنا العربيَّة، ونظل بعيدين عن مفهوم تراثها المتجدد، الَّذي يمد الحياة فِيْ كل لحظة بطاقات حيَّة، وبالتالي نبتعد عن مفهوم الكتاب، والسنة، وابتعادُنا لا يعقبُ علينا خيراً، إنَّما يعقبُ الشرَّ.

أنا لا أُنكر: على بعض السيمفونيات الشِّعريَّة، الَّتي تلبست بشعر الحداثة، فلها مكانتها في الشِّعر، أمَّا أولئك الَّذين أسفُّوا، وهبطوا بلغتنا إلى أدنى من السفح، وعبَّروا عنها في كلماتٍ ميتةٍ جوفاء، لا تشير لأهداف، أو مضامين تضيء الحياة.

فهؤلاء سيحكم عليهم التَّأريخ، مهما طال دويُ هذا الهتاف، وسوف تضيع أصداؤه، وأكثر هذا الشِّعر لا يحفظ، ولا يتمثَّلُ به في معاناة هذه الحياة وأحداثها.

وحتَّى أولئك الَّذين يصفقون، ويرقصون له في هذه المسارح، لا يستشهدون به، إلا في ظروفٍ، إذا جاءت من جنس هذا المسرح، أو تلك الرواية، أو إذا كان البحث مقصوراً على: الرمزيَّة أو الحداثة.

وفيما أتخيل - سيعود الفكر إلى: إشراقته، وتطوره في فجر نهضته الحديثة، في إبداعها الزخم، وتجددها - لأنَّ لغتنا المرنة، تتطوَّر تطور الشَّمس في الحياة.

هذه لمحةٌ عن خاطرةٍ راودتني في أفكاري الأدبيَّة سجلتُها، وأنا معرض فيها للخطأ والصواب، لكون الكمالِ، والعصمة لله وحده.

١٤١٦/٠٦/٢٢هـ
١٩٩٥/١١/١٥ م

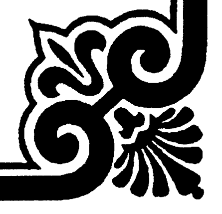


الصَّحافة العربيَّة

مهداةٌ إلى الدُكتورة / بنت الشاطئ

نشر في مجلة العرفان - في الجزء الرابع - المجلد الثامن والثلاثون في شهر جمادى الآخر عام ١٣٧٠هـ - الموافق - آذار عام ١٩٥١م.





فِيْ أمسية ماتعة مطمئنة.. غشَّى الظلام المدينة، خلوتُ إلى غرفة كتبي، وليس لديَ سميرٌ إلا الكتاب، وخير جليس في الزمان كتابُ.

مددت يدي إلى المجلد الأوَّل مِنْ مجلة الكتاب - سنتها الأولى - وإذا قلت سنتها الأولى معناه: عنفوان شبابها الروحي والمادي، فأنتَ لا تبصرها في فجر ميلادها - إلا زهرة رفافة نديانة، احتفل في إبرازها الربيع الصنَّاع هاأنا ذا - وهيَ بين يدي - أتملى مِنْ جمالِها الأخَّاذ الناطق.. نشوان بنشوتين: نشوة عقليَّة روحية بهذا النتاج العقلي المليء بالحيوية لنبض القرائح الخصبة العبقرية، والأقلام الساحرة، ونشوة حسيَّة بهذه الطباعة الأنيقة الشاعرة، وهذا التنسيق المترف الفنِّي.

وهنا حلى لي أن أقارن بين عامها الأول '٤٦' وبين عامها الحاضر، أو المرحلة الأخيرة من عمرها الملفوف '٥٠' عام، ماذا أحسست في هذه المقارنة؟ خيل إليَّ كأنَّني أهبط مِنْ الذِّروات إلى القرارِ السَّحيقِ.

أحسست الفرق هائلاً يثير فِيْ أغوار النفس، عميق الدهشة والاستغراب! الفرق في 'الكم والكيف' بينما أنا أجول بنظراتي فيها ممتعاً عقلي، وعيني، وإذا بي أقف عند هذا العنوان 'دفاع عن البلاغة' تأليف الأُستاذ / أحمد حسن الزيَّات - نقد السيِّدة بنت الشاطئ - هذا أمس - والدُّكتورة اليوم.

لا تسلني عن مدى فرحتي بهذه المصادفة، فقَدْ هتفت: كذلك الفيلسوف - هذه! نعم هذه! ذلك إنَّني سمعت حول هذا

النقد الجريء القيِّم، لفظاً منفسح الأمد.. منقسماً إلى معسكرين: راضٍ، وناقد.

قرأت النقد على طوله قراءة رزينة دقيقة، حتَّى تكشفت لي جوانبه الخفية، والغاية الَّتي تهدف إليها السيدة الكاتبة..! النقد يمس الواقع في أكثر نواحيه، ولا يعنيني البحث عن الحوافز الَّتي مثَّلته شخصاً قوياً لا يطاق.

وقبل كل شيء أحب أنْ أُذكرك يا قارئي العزيز إنَّ هذا الكتاب لكاتبٍ شهيرٍ مِنْ أضخم مخلفات القرن الرابع عشر الهجري، وصاحبِ مجلةٍ تعتمدُ على سابقِ مجد لن يعودَ.

أوحى نقد السيدة الدكتورة إليَّ خاطرةً، لم أرَ فِيْ أذاعتها بأساً، بل لعلِّي رأيتُ فِيْ ذلك خيراً، ورأيتُ أنْ أرفع بها صوتي، ليبلغ آذان بعض الصحفيين، وإنْ كان هذا الصوت ثقيل الوطء، وهذا الصوت لا يعني عموم الصحفيين، وإنَّما يعني الكثرة الساحقة منهم، وأقول الكثرة: لشذوذ بعض الصُّحف عن هذه القاعدة، كمجلة العرفان، والأديب، والألواح، فإنَّها تعنى بالقيم المعنوية، أكثر مِنْ عنايتها بالقيم المادية.

ولا برهان على ذلك، أكثر مِنْ إفساحِها المجال للأقلام الحرة، وفتحها أي العرفان باب النقد النافع على مصراعيه، حتَّى على نفسها! وهذا هو الرقم القياسي فِيْ الحرية، وتتقبل النقد مِنْ مجهولي الشخصية، إذا كان على أدبٍ، وغاية، ولهذا لا أرى جهازاً أدق وآمن، لتبليغ هذا الصوت مِنْ صفحاتِها.

الصحافة: كرسالة فِيْ عنق الصحفي، يجب عليه تأديتها كاملةً غير منقوصة، وتحقيق هدفها السامي، وتطبيق المبادئ المُثلى عليها، ويجب أنْ تكون مرآة صافية -

تنعكسُ عليها أشعةُ ثقافة ذلك الشعب، مهما كان لون ثقافته ومزاجه.

والفرق بين الصحافة (المرآة المعنوية) وبين (المرآة العادية) إنَّ المرآة تنعكس عليها الأشياء، حين تقفُ الأشباحُ أمامها، وتزول بمجرد زوالها، أمَّا الصحافة فتنعكس عليها الصور، وتخلد خلودها في الزمن، وبتعبير أدق، وأجمع: إنَّ الصحافة عند الشعب الحسَّاس، وعقله الخلاب، تترجم خلجات نفوسنا، ورواسب أعماقنا، كديوان للحياة - يموج بشتَّى ألوان الصور، والظِّلال، ولا ترتقي الشعوب، ولا تنهض الأُمم، إلاَّ بالصحافة الحيَّة، وإذا أردت أنْ تسبر غور ثقافة شعب، أو أمة.. فعليك بقراءة صحف ذلك الشعب، فإنَّها المقياس الدقيق -الَّذي لا يخطئ- للرقي والتقدم.

الصحافة رسالة لها أهدافها، وذات مبادئ، وغايات، فهيَ تعالج المشاكل - مشاكل الحياة الاجتماعيَّة والثقافيَّة - وتضمِّد جروح الإنسانيَّة كما يعالج الطبيب النفساني آلام، وجروح مريضه لعلَّك أيُّها القارئ، تظفر بناحية واحدة منْ هذه النواحي، الَّتي هيَ بعض مهمات الصحفي، وهيَ: الثقافة في صحف لبنان، لأنَّ الصحف اللبنانيَّة تشعر بالنقص، وتحاول الكمال فهيَ تواصل السير، وتبذل الجهود في تحقيق غايتها الكبرى - الذروة - لبنان هذا البلد الصغير.. بلد الإشعاع الفكري، بلد الجمال، والسحر، يتحفز إلى نهضةٍ أكبر وأعظم منْ هذهِ النَّهضة الجبَّارة، فهو الَّذي شقَّ الطريقَ لأبناء الضاد، للأدب الإبداعي، وطلع علينا بأزهى ألوان الثَّقافة الجديدة العالية، الَّتي لَمْ تستقم لمصر، لأنَّ مصر قنعت بهذه الشُّهرة الرَّنَّانة.

وبهذا الحلم ترى أنَّها وصلت الذروة، وإنَّها زعيمة الأدب العربي! لا بل زعيمة الشَّرق العربي فِيْ كُلِّ شيء، وهذه هيَ 'الصنمية' في أبشع مظاهرها، وهذا الدَّاء العضال الَّذي تغلغل في دم مصر، وسرى فِيْ كُلِّ خلية مِنْ خلايا كيانها.

إنَّ مصر طاغية.. عنيدة، لا تدين إلاَّ بهذه الصنمية الأدبيَّة، ولعلَّ أكبر دليل على طغيان مصر، صيحة الأدباء فِيْ شقيقاتها: لبنان، وسوريا والعراق، وسائر الشعوب العربيَّة مِنْ تجاهلها الآثار العلميَّة، والأدبيَّة لأدباء هذه الشعوب، ولا تحتفل بأثر، من حيث هو أثر فني.. إنَّما تحتفل بالعوامل والمؤثرات الخارجيَّة عَنْ الذات الَّتي تضفي على ذلك الأثر ظلالا مَنْ الإكبار والإجلال، ولست أضيق ذرعاً بالبرهان على هذه الدعوى.

فهذه 'مجلة الرسالة' في فجرِ حياتِها، وأبَّان زهرتها طبعاً، قطعت على نفسها عهداً - أن لا تنشر إلا للأصنام - وإن كانوا من خشب، وأنا أهيب بالصحافة وأدبائِها أن لا ينظروا للأدب بهذا المقياس الخاطئ، وأن ينظروا لأثره الأدبي معرى مِنْ كل الصلات، والعلائق، وأن لا يقيسوه: بالشهرة لا الواسعة ولا المحدودة، الَّتي تخلقُ مِنْ اللاشيء شيئاً، وأن لا يزنوا الآداب باسم البيئة، فإنَّ بعض البيئات تحمل اسماً كبيراً ضخماً كضخامة الفيل، وبعض البيئات تحمل اسماً صغيراً هادئاً - هدوء المقابر - فِيْ صمتِها الرهيب العميق كالقطيف، فإنَّ هذه الزاوية أي القطيف فيها أدب متحفز، وثقافة متجاوبة - مهما أخذ عليهما - فإنَّهما يلوِّحانِ بمستقبلٍ محمودٍ.

ونحن لا ندعو إلى عدم تقدير الأدباء الَّذين أثَّروا فِيْ ثقافتنا، وإنَّما ندعو مخلصين إلى مقاومة الصنمية فِيْ الأدب، وتحطيم من يدين بها.

الصنمية البغيضة! الَّتي يدق لها بعض شبابنا الطبول والدفوف، ويحرقون بخوراً فِيْ هيكلها، وهم لا يعرفون من الأدب إلاَّ اللقانة، وإلاَّ معرفةً سطحيةً. صدى لما يقرأون في الصحف والمجلات، وما يذاع لبعض الأدباء الَّذين أوتوا بسطة فِيْ الشهرة، ويتلقفون آراء من لا يصدر في آرائه عن حسن طوية، وعقيدة راسخة، بل عَنْ أغراض واطئة، فيخادع نفسه، ويخادع القراء في وقت واحد.

خرجت بك يا قارئي العزيز أو كدت أخرج عن الموضوع الَّذي يلمح له العنوان، حتَّى كدنا نبتعد عنه أميالا وفراسخ: إذن فلنعد من حيث بدأنا.

لا يزال صدى مقال السيدة الدكتورة حافزاً قوياً يبعثني بشدة، ويلح عليَّ كلَّما أردت أن أتفلت منه: أن أقول كلمتي.

وما أحوج أدبائنا إلى مثل هذا الصوت المدوِّي، لأنَّهم يكتبون وهم نائمون!! ولأعُد بك - يا قارئي - إلى نقد بنت الشاطئ، ونتركها تتحدث بصوتِها العذب الرطب، ونقف معاً نستمع إليها، ونلاحظ أولاً أنَّ إطلاق القول فِيْ الصحافةِ عامة بعيد عَنْ الدقة، وعَنْ التروي، الَّذي يبكيه المؤلِّف، وينتقده، فالصحافة أدبيَّة، وغير أدبيَّة، وعيب ما في صحافتنا - صبغتها التجاريَّة - الَّتي لَمْ يمسها الأُستاذ فِيْ حديثه، ولو مِنْ بعيد.

لا يا سيدتي الدُّكتورة: أتطلبين مِنْ صحفي - كالزيَّات - أنْ ينتقد نقداً مِنْ هذا الطِّراز، وهذا النقد المر؟! وأكثر الظَّن -

الّذي هُو فِيْ حكمِ اليقين، إنَّ الزيّات: لَمْ يترك هذه الناحية جاهلاً بها وهُوَ منها فِيْ الصميم، وأنا أُعلق على كلمتك إنَّ بعض الصَّحفيين كبعض التجار.. يبيعون ضمائرهم ليربحوا فلساً، أو فلسين.

ولقَدْ شاع، وذاع، وملأ الأسماع - بلغة الزيّات - إنَّ الزيَّات يتكلف فِيْ سبك عباراته، وربما قتل ليلته ليظفر بسجعة، أو سجعتين ولذا يتنقَّص البلاغة مِنْ ناحية السرعة، فعنده المسرع - غير مجوِّد - ولو كان مِنْ العباقرة الملهمين، وهذا تسرع فِيْ الحكم أيضاً.

وقبل أنْ أختم مقالي، أُحب أنْ أعرض إلى 'ظاهرة اجتماعيَّة' تعانيها الصَّحافة العربيَّة، ويعانيها القرَّاء أيضاً، فنحن (بني الضاد) لأوَّل وهلة نصدر الصحيفة، نصدرها كالزهرة الباسمة.. الرفافة، ولكنَّه لا ينطوي عامها الأوَّل أو يكاد حتَّى يدب فيها الهزال، ويحول جمالها، وتتكمش، وأخيراً تلصق بالتراب، وهناك نتعلل بالعجز المادي، ولو صدقنا: لتعللنا بأنَّ صحيفتنا شقَّت طريقها إلى المشتركين.

ومصيبة الصُّحف فِيْ: القراء السذج - الَّذين عكفوا على قراءة الصُّحف الخليعة المائعة مثل مسامرات الجيب، والمصور، والاثنين فهذان عاملان يهددان الثقافة الَّتي تقوم على تعهدها الصحافة، وإذا لَمْ تجند قوة كافية.. مزودة بأحدث الأساليب الفنيَّة، فسوف يؤتى على نفس الثقافة، والصحافة - أخيراً - فتعود جثة هامدة.



حق الزواج

ليس منْ السهل، أنْ يعالج الكاتب 'ظاهرة اجتماعيَّة'، منْ أشد الظَّواهر الاجتماعيَّة تعقيداً، وتشغل أفكار الشَّباب، وتسيطرُ على مشاعرهم.. فِيْ تحركاتهم، وسكناتهم، ونومهم، ويقظتهم، ويعيشون على أحلام مخضوضرة، كربيع شبابهم.

غير أنَّ هناك عقبات، وعقبات، تقف فِيْ طريقِ أحلامهم، وفجر سعادتهم، فالشاب حينَ يعيش على صعيدِ أرضيَّة الجامعة، وتحت سمائها، وهُوَ يخطو إلى مراتبِ التدرج.. إلى الدراسات العليا، حينما كانت تدغدغُ قلبهُ أحلامٌ، وخواطرُ، تكاد أنْ تطير بهِ إلى جناتٍ وارفةِ الظِّلال، عذبة المعين، فيعيش فِيْ تلِك الجنان بأحلامهِ الذهبيَّة، وخيالاتهِ الَّتي خلقت له الأساطير المُستقبليَّة، وجنَّحت بهِ فِيْ آفاقٍ بعيدة المرمى، حبيبة لنفسه، زرعت فِيْ نفسهِ آمال نجومٍ مخضوضرات، فعاش ليلهُ ونهارهُ، يرقب تحقيق هذه الأمنيات، فهيَ تُشبه الأحلام السرابيَّة فيعيش يمتار منْ ذلك السَّراب، الَّذي كُلَّما لمع تَحْتَ ضوء الشَّمس، حسبه ماءً.

وبعد أنْ يُنهي دورته الدراسيَّة، ويطوي المرحلة الجامعيَّة، ويحمل شهادة البكالوريوس، فكأنَّما كان نائماً - يغط فِيْ أحلامه السحرية - فإذا به يفيقُ على الواقع المرير، ويخرج منْ جنَّةِ أحلامهِ الخياليَّة، إلى واقع انطفأ منه لمعان السَّراب، الَّذي تصوره حقيقةً.. ورداً عذباً.. وزهوراً تملأ كفَّه عطراً يوم كان طالباً، واليوم تتحسر أحلامهُ المفوَّفة بالأساطير، وجنَّات أحلامٍ زرعها فِيْ سماءِ الخيال، فلَمْ يرَ نفسه، إلاَّ: وهُوَ فِيْ صحراءَ

ملتهبة، لا ماء، ولا جنى، ويسري بقدميه فِيْ رمالٍ عطشى، تحت ضوء الشَّمس، فِيْ قارة القيظ، ولطول الطريق المتعرجة.. ذات الشوك، فقَدْ دميت قدماه، فتعبتا، وتورمتا، مِنْ طولِ المسرى، الَّذي يلهث ورائه.. في حياة غريبة عليه، ذات منعطفات، وفروعٍ متلونة، وهُوَ يُريد أنْ يحقِّق أحلامه العسلية، الَّتي داعبته فِيْ حرمِ الجامعة، ماذا يريد؟.. يُريد أنْ يجعل له مظلة تقيه وهج الشَّمس، وحرارة الظمأ، والتعب.. يريد عشاً يسكنهُ، ويأوي إليه، وزوجاً تغطي هذا الفراغ، وتشيع فيه الدفء، والحنان، يأوي إليه كما يأوي البلبل إلى عشه - ليلقي أتعابه - فتخفف عنه هذه الأتعاب، وتمسح جراحات الليالي، والأيَّام عَنْ جفنهِ بأناملها الفضيَّة.. الرقيقة، وتعطيه دفعة مِنْ حياة شبابها، يتبادلان أتعاب هذه الحياة، ويشتركان فِيْ ابتسامتها، ودمعتها.

غير أنَّ ذلك الشاب، سرعان ما تحولت أمامه: هذه المناظر الضاحكة، إلى مناظرٍ باكية، وأصطدم بعقبات نُثرت في طريقه، على جوٍّ ليلٍ مبطَّن بالضباب، وتبخرت فِيْ سمائهِ أحلامهُ الذهبيَّة، ككأس مملؤة بماء عذب، يريد أن يرشف منها رشفة الظمآن - ليطفأ لهيب حرارة الظمأ - وهُو فِيْ لهفة الشوق المبرح لهذه الكأس، فوصل إليها، وعندما مد يده ليتناول الكأس، ليشرب منها.. فيروي ظمأه، فإذا بالكأس تهوي مِنْ كفه حطاماً، كالهباء المنثور، فيعود بحسرة مريرة قاتلة، والأوام يكاد يقتله، فيا حسرتاه.. لهذا الظامئ الملهوث، الَّذي أقفل أدراجه بخيبة، وحسرة مريرة، وحرمان يؤدي به إلى الكبت، لما وضع مِنْ سدود - حالت بينه - وبين الوصول إلى فتاة أحلامه المرتقبة،

وما نثر مِنْ أشواك مادية تعجيزية، تتمثل فِيْ ارتفاع الصداق، والتكاليف الباهظة و فاتحة باب الزواج: كالمآدب الضخمة، وما يتبعها مِنْ هذهِ التكاليف الثقيلة، والمأوى الَّذي يظل الشَّاب مع فتاته، حيثُ لا تمكِّنه حياته المادية، لاستئجار دارٍ يقوم بتزويدها بكل ما تتطلبه الحياة العصرية.

وما ينجمُ فِيْ حياة الزواج مع هذه العوامل، ما هو أشد ظاهرة من العقد النفسيَّة - الَّتي تنشأ في نفس الفتاة - عندما تريد التفلُّت مِنْ الحياة الزوجيَّة، بحجة واهية، أنَّها لا ترغب فِيْ الزواج، حتَّى تُنهي دراستها الجامعيَّة.

فهذه الظاهرةُ، والعوائق الَّتي تمتد حلقاتُها مِنْ هذه السلسلة الطويلة، تقف فِيْ دروبِ الشَّباب، والشابات، وهذه الظاهرة الاجتماعيَّة، فيما أحسبها، لا تختص بها فتاةُ بلادي، ولعلَّها تجتاحُ مدن أخرى مِنْ البلاد الإسلاميَّة، حيثُ أنَّ المرأة فِيْ رؤياها - هيَ المرأة - الَّتي لا تختلف فِيْ عواطفها، وأنوثتها، ولعلَّها تشتد فِيْ منطقةٍ، وتضعفُ فِيْ أخرى، فيعيش الشاب فِيْ صراعٍ، وحيرةٍ، واضطرابٍ نفسي.

ونُعزي هذه الظاهرة، الَّتي قَدْ تُغلِّفُها الفتاة بغلاف الدِّراسة، للمحيط الأبوي، الَّذي عليه أن يرشد كريمته، ويرسل لها خطاً مِنْ أشعة الإسلام، تزودها بثقافة نفسيَّة، تميز بها الطريق الأفضل، فِيْ اختيار البعل المؤمن الصالح، والأمثل فِيْ دنيا الزواج الَّذي لا غنىً للبشر عنها من ذكرٍ أو أُنثى، للغريزة الطبيعية، الَّتي خلقها فاطر السَّماوات والأرض، وأودعها فِيْ نفسِ الذكر، كما أودعها فِيْ روحِ الأُنثى، صوناً لاستمرارية الحياة البشريَّة مِنْ انقراضها.

ولماذا نبتعد، وعندنا كتابٌ.. ينطق بالحق، وضوء مِنْ هدي سنة نبينا محمَّد - صلَّى الله عليهِ وآلهِ - يعلمنا، ويرشدنا إلى الصواب فِيْ طريق حياتنا، ومِنْ مضامين هذه التعاليم، علّمنا أنَّ الزواج: أقدس رباط يربط بين الزوجين، كما وضع لنا الحلول الناجحة، وخطّطها، وأرساها على نظم ومبادئ، وقواعد ثابتة، لأنَّ الحياة الزوجية: هيَ الحياةُ بأكملها، وعليها يدور المجتمع، ويعيش البشر، لذلك وضع دستوراً؛ يخفف التكاليف، فجاءت هذه القاعدةُ الثابتةُ، الحديث الشَّريف 'خيركن أرخصكن مهراً...'.

وكان الصحابة فِيْ عهدهِ - صلَّى الله عليهِ وآلهِ - يتزوجون بقبضة مِنْ التمر، أو بتعليم سورة مِنْ القرآن، وهذه المنهجية الَّتي سنَّها الرسول الأعظم، لها أهداف مختلفة الآفاق.. بعيدة المرمى، تشير إلى إنقاذ المجتمع مِنْ الرذيلة، والوقوع فِيْ بؤرة الأمراض، بإطفاء الشهوة الحمراء، عَنْ طريق مصونة بالحلال؛ محصورة فِيْ إناءٍ نظيف، غير ملوث بمكروب الجراثيم الَّتي تنبعث مِنْ الشرور، عَنْ طريقِ الحرام، فهو صون للجنسين، ونشر العلم في المجتمع بما في القرآن مِنْ كنوزٍ، وأهدافٍ سامية، وسعادة أبدية، ومحو الجهل المعشش في هذه العقول، فبضياء القرآن تُجلى هذه العقول من ليلها المبطن بها، كما أنَّ فيها أهدافاً سامية، تبعد المرأة عَنْ الحياة المادية إلى القمة المعنوية، إذْ ليست هيَ سلعة تباع، وتشترى بدراهم معدودة، إنَّما هيَ خالقةُ أجيالٍ، وأمٌّ، وأختٌ، وزوجٌ.. شريكة في هذه الحياة، فهيَ نصف المجتمع، والرئة الَّتي يتنفس منها، وأحد العوامل الفعالة في المجتمع.

وهنا لابُدَّ مِنْ لمحة ضوئيَّة، كاشفةٍ لما جدَّ في هذا المجتمع، وتطور الحياة التصاعدية، فنقفُ عند تلك الحياة الجديدة، وما طرأ عليها من حياة اقتصاديَّة، ومغريات دنيوية، وعوامل بيئيَّة وزمنيَّة، أغرت الفتاةَ، وخلبتها هذه المظاهر، حيثُ أنَّ الزوج - فِيْ العصر الماضي - تقنع من زوجها بما تمكنه حياته الاقتصاديَّة، ويعيشان على بساطة العيش، بدون تعقيدٍ، أو تجشمٍ، وتشاركه شظف العيش فيصدق عليها معنى 'حرفية الشريكة'.

ولَمْ يهمل نبينا الأعظم - صلَّى الله عليه وآلهِ - الترغيب والحث على الزواج - لأنَّه هُوَ الحياة، وامتدادٌ لمساحة وجود البشرية، حتَّى تغطِّي هذه الرقعة المعمورة، وتعمرها بذكر الله، والأعمال الصالحة، فشوَّق له، ورغب، حيث قال - صلَّى الله عليهِ وآلهِ -

'تناكحوا تناسلوا فإني مباهٍ بكم الأمم يوم القيامة'.

هذه أضواء مِنْ السُّنة المُحمَّديَّة، تكشف الحياة المظلمة، وتُنير الدَّرب للسائرين فِيْ الطريق، لكون كثرة الصداق، أو قلته، لا يكون عقبة فِيْ طريق الزواج.

فالإسلام: خطط هذه الحياة، الَّتي مِنْ أهمِ عناصرها الزواج، وعلمنا - كيف يعيش الزوجان؟ وأوضح حقوقهما، فمعالمها واضحة كالشَّمس الواضحة، تُعطيك دروساً، كيف يعيشان إذا ضمهما ذلك العش 'عش الحنان' كيف يعمرانه بذكر الله، حتَّى يمتزجان.. امتزاج الماء بالدم، وأصدقُ تعبيرٍ لكتاب الله (كُلٌّ منهما لباسٌ للثاني) حيث قال (هنَّ لباسٌ لكم وأنتم لباسٌ لهنَّ) وهذا أدق، وأصدق تعبير.



بعد عام

هـذه الكلمـةُ: أُلقيت فِيْ الحفل التـأبيني، الَّذي أُقيـم بعـد عـامٍ، إلـى فقيـد العلمِ، والأخـلاقِ، فضيلـة الشَّيخ / محمَّد علـي الخنيزي، المتوفـ فِيْ ٨ شوال عام ١٣٨٢هجري.

نحتفل بذكرى فقيد الأخـلاق، صاحـب الفضيلـة، المرحوم الشَّيخ / محمَّد علي بن حسن علي الخنيزي، فقَدْ مرَّ على وفاته عامٌ حافلٌ بصورٍ وعبرٍ.

لقَدْ طوينا ثلاثين كتاباً، ونشرنا لكل كتـاب ثلاثـين صفحـة، وعلـى كل صفحـة حياة تمتـد بـالزمن، وتتصـل بأعمـاق المـاضي القريب البعيد.

إنَّ الحياة: حركة دائبة، لا تعـرف التفتير أو الوقـوف، فهـيَ فِيْ دورتها السريعة، أسرع مِنْ الضوء، إنَّها الحياة الَّتي ليس لهـا حدود، أو أبعاد حتَّى نقيسها بمقاييسنا.

فالبشريَّة تلبس الحياة: كإطار تزدحم فِيْ تيارها الصاخب، وتضـج فِيْ معركتهـا، وتئـن فِيْ دروبهـا الشـائكة، فبـين صفحـات الجديديـن، ابتسـامات ودمـوع ألـوفٍ مِـنْ الأقـداس الناميـة المخضرة، الَّتي تتساقط أمام يد الموتُ علـى قـدم الحيـاة.. ذليلـةً صاغرةً.

أو بعبـارةٍ أدق: إنَّ الفـرد منـا لا يملـك حركـة، لا بـل ولا نسمة، فهُوَ مسلوب الإرادة فِيْ الحياة، أو الموت.

والَّذين يمرون بالحياة، مرور الظل العـابر، يشـبهون الـزوان الَّـذي يتسـاقط مِنْ الغربـال، حـين يغربلـه الدَّهـر، فـلا يبقـى فيـه غير الحَـب، وهـم كثـيرون الَّذيـن يمـرُّون بهـذهِ الحيـاة، ولكنَّهـم

يمرُّون مرور الأطياف، والأشباح والظِّلال الثقيلة، ولكن سرعان ما يتلاشون فِيْ زوايا النسيان، وتسحقهم عجلة العدم، فكأنَّهم ما مروا بميدان هذه الحياة.

إنَّ التَّاريخ والحياة، لمعبدٌ فيه المثل الرفيعة، والأخلاق الفاضلة وشتَّان: بين مَنْ يدخل إلى محرابِ هذا المعبد، فيحيًا بمعنى كلمة الحياة، لأنَّ كل عبقري قطعة مِنْ الحياة لا ينفصل عنها بموته، إنَّما كان حركة مركزيَّة تتحرك في زمانٍ، ومكانٍ محدودٍ لتنطلق بعد موت صاحبها فِيْ الزَّمان، والمكان اللامحدودين، وتتفاعل مع الحياة، وتتجدد مع الشَّمس وتشارك البشرَ فِيْ الحياة.

حتَّى لكأنَّنا نشعر ببعض المفكِّرين الأدباء، وهم أقوى مِنْ الأحياء إن صدق عليهم تسميتهم بالأموات، يزاحموننا، ونستمد الضوء مِنْ أقباسهم، ومِنْ الشعلة الَّتي احترقوا فيها مصابيح تنير عتمة اللَّيل، ومدلهمَّات الحياة، وهذه الطَّائفةُ الخيِّرةُ المعاني هيَ: على ندرةٍ وقلةٍ فِيْ الزَّمن.

إنَّ بين هذه الطَّائفة النَّادرة وغيرها لبوناً شاسعاً، مثل ما بين الحياة والموت، وما فقيدنا الَّذي نحتفل بذكراه، إلاَّ واحد مِنْ هؤلاءِ، وتقديس ذكراه تقديس للفضيلة، أمطر الله على قبره شآبيب الرَّحمة، والغفران.

وأردتُ أن لا أختم مقالي هذا، حتَّى أُسلسل أفكاري، وأُجسِّدها إنساناً ناطقاً، غير أنَّني أقتضبتُها لتحديد الوقت، ولترك المجال لغيري.



"نفحات"

ديوان شعر للسيِّد / صادق طعمه

لعلَّ مِنْ الصعبِ جداً، أنْ يرسم الكاتب الصورة الكاملة، والظِّلال للفكر الأدبي، وأنْ يحدد الكاتب ذلك الفكر فِيْ جوهرهِ، ويرسم خطوط الفكر مؤطَّرةً.. في حدودٍ مِنْ أبعادهِ، كما يشاء الكاتبُ.

لاشكَّ أنَّ الفكر الأدبي، لا يحدد بحدود، ولا يقاس بمقاييس، مهما كانت تلك المقاييس، فِيْ موازينها الفنية المذواقة، لأنَّ الفكر الأدبي، ينطلق مع ضوءِ الشَّمس، ويتجدد بتجدد الحياة فِيْ صورها، وألوانها المختلفة.

فالفكر: هُوَ المصباح الإنساني، الَّذي يضيء دروب الحياة المدلهِمَّة، وينفتح على طرقها الملتوية الصعبة، ويزرع السوسن، والورد فِيْ طريقنا.

والفكر الأدبي - جدول رقراق يتدفق فِيْ حياتنا الأدبيَّة - فتنبت الخصب، والخير الكثير، ولا فضل للإنسان على الحيوان، إلاَّ بهذا العقل الَّذي يرفع الإنسان إلى الذروة، وينتج المعجزات، ويبدع فِيْ صنوفِ الحياة، ويُذلل لنا صعوبة الحياة، وجشوبتها، ويحولها مِنْ جحيمٍ إلى نعيمٍ، ويفرشها بألوان العجائب.

وما دمنا تحدثنا عَنْ الفكر الإنساني، فِيْ أبعادهِ، وإشراقته فِيْ حياتنا، وتطورها، فإن هذا العقل بفضل خالقه، ولَّد لنا المعجزات، وما هذه الكهرباء الَّتي طوَّرت الحياةَ، وقلبتها - رأساً على عقب - والكمبيوتر أي (الحاسوب) معجزة العصر الحديث، كُلُّها وليدةٌ هذا العقل.

صدقني يا قارئي العزيز، لو حدثّنا مَنْ قبلنا، عَنْ هذه الأجهزة المتطوِّرة، لكذبناه، وسفَّهنا رأيهُ، ولكنَّها اليوم حقيقة مشهودة، وملموسة.

فلنعد إلى صلب موضوعنا 'الفكر الأدبي' - فالفكر الأدبي - فِيْ معناه الانطلاقة الحسيَّة، لن تموت حتَّى يموت هذا الإنسان، وقَدْ يموت حامله، والفكرُ حيٌّ خالدٌ، يصارع الدُّهورَ، والأجيال.

قَدْ يكون مِنْ السهل على الكاتب، أنْ يحدد، ويقوم بدراسة فكرة، أو خاطرة، سجلَّها شاعر فِيْ قصيدته، أو أشباح ذكريات، رسمها كاتب فِيْ كتابه، وأدارها فِيْ تلك الصفحات، فهنا يستطيع الكاتب الماهر، أنْ يعطي دراسة تفصيليَّة عَنْ تلك الخاطرة، أو الفكرة، ويوفيها البحث والدِّراسة ويجسِّدها، ويدلل عليها، ويعمل إزميله فِيْ نحتِ صورة خاطرة مِنْ فكرة، حتَّى يقيمها تمثالاً حيّاً، يشهده النظار صورة ناطقة، تحوز عليها الأفكار إعجاباً، وتعشي أضواؤها بفنها الخلاب العيونَ.

فتجسيد الفكرة، أو تصويرها، تعود إلى الكاتب الفني، الَّذي يحمل بيديه إزميل النَّحت، لينحت تلك الأفكار، ويبرزها فكرة محسوسة، تلمسُ وتُرى، فليس إذن مِنْ الصعبِ، ولعلَّه مِنْ السهلِ ومِنْ الخيرِ: أنْ نعرض لدراساتِ بعض أفكار الشُّعراء والأُدباء، وأنْ ندخل المحراب الفني، لنصلي مع آلهة الجمال والفن، صلاة الحب الَّتي لا يفقهها، إلاَّ أولئك الفنانون، التائهون فِيْ أمواجِ الخيال، وآفاقِ السماء، فهم يعيشون على أجنحة الدراري، وفِيْ مقلة الفجرِ، وهدوء اللَّيل، وأشعة القمر الفضية، وألوان الشَّمس الذَّهبيَّة، فِيْ طيوفها بصورها وظلالها، وفِيْ حواشي اللَّيل، ومع

ابتسامةِ الطفل البريء، فِيْ طهر العذراء، فِيْ آلامِ الحزين المكروب، فِيْ خفقاتِ قلوب العاشقين، فِيْ البروق، فِيْ الرعود، فِيْ ابتسامةِ الورد عَلَى ثغرِها طيوف الرَّبيع، وقطراتِ الندى.

هذه بعض المشاهد الَّتي تسجلها عدسة الشَّاعر الفنان، أو الكاتب يرسمها لوحات زيتيَّة، تظلُ خالدةً تدور مع الفلك الدائر كمعرضٍ فيه صور فِيْ صفحاتِ كتاب، تحتاج إلى دراسةٍ نقدية.

فالنقد: هُوَ الَّذي يجلو النُضارَ، الَّذي يُظنُّ به، ويبرزه لنا فِيْ شريطٍ سينمائيٍّ، يتحرك أمام أعيننا.

ما كان هدفي فِيْ بحثي، أنْ أتطرق للفكر الأدبي، أو أعطي عنه لمحة كلمحة الضوء، غير إنَّهُ جاء هذا كتوطئة، أو مدخلِ تعريفٍ.

فقَدْ شاء الله، أنْ أجتمع بأحد أُدباء كربلاء المقدسة، فاسم كربلاء اسمٌ يقترنُ بثورة أبي الأحرار / الحسين بن علي - سلام الله عليهما - الَّتي ضحى بنفسهِ، وأبنائه، وصحبه، قرابين فِيْ مشاهد مِنْ الدم، سقت هذه الأرض، لتبقى كلمة 'لا إله إلاَّ اللَّه' عاليةً، وصنعت تاريخاً، ومجداً عظيماً خالداً، فأصبحت يقدسها، ويزورها آلاف المسلمين.

شاءت الظروف، أنْ ألتقي بأديب خُلقه كعطر الزهر، ونفحات الربيع، هُوَ الأُستاذ / سيد صادق طعمه، وقَدْ قضينا يوماً فِيْ منزلهِ بحي المعلمين، وقدَّم ليَ ديوانه الشِّعري، الَّذي أسماه 'بنفحات' وقَدْ طلب مني أنْ اكتب لديوانه مقدمة، وقَدْ شاهدت هذا الديوان، قبل أنْ يكسر القمقم، ويخرج لضوء الشَّمس، إلاَّ أنَّني قرأتهُ قراءةً عجلى، لمحدودية الوقت، فتفضل شاعره، وأهداني بعض من باقاته بقلمه، وهيَ الزادُ لي فِيْ كتابة هذه السُّطور، وعلى ضوئها، سأرسم ملامح الصُّورة، وخطوطها.

فصادق طعمه: ينحدر مِنْ سلسلةٍ عربيَّةٍ، يرجع نسبه إلى إبراهيم المجاب بن الإمام موسى بن جعفر، كما روى لي نفسُهُ نسبهُ، وهو خطَّاطٌ ومدرسٌ، وعلى المدرس رسالةٌ أنْ يؤديها بأمانة، هيَ تثقيف الجيل، ويرشده إلى طريقِ الخير، وسبيل الإسلام، ويزرع فِيْ نفوسِ الشَّباب الهداية، والإيمان بالله، ورسوله، وبمبادئ الإسلام المثلى.

ولابُدَّ لي، مِنْ وقفةٍ نظريةٍ تحليليَّة، فِيْ هاتينِ القصيدتين المهداة لي، حتَّى أكمل الخطوط، وأبني هيكلاً للديوان - فالديوان - حسب نظرتي العاجلة، يجمع شتاتاً مِنْ الشِّعرِ، غير أنَّني لَمْ أستطع أنْ أجمع تلك الباقات فِيْ صورة واحدة، وأُغلِّفُها بإطارٍ واحدٍ مرئي، يلمسهُ الكاتبُ، أو الفنانُ، لأنَّ الدِّيوان لَمْ يكن معي، حينماً كنت أكتب هذه الأحرف، وقَدْ قلت سأرسم الصُّورة على ضوءِ هاتينِ القصيدتينِ المخطوطتينِ، الَّتي قدمها الشَّاعر ليَ هديةً، وهما قصيدتان بين يديَ، ولندخل فنفتتح بنموذجٍ كمثال لدراستنا.

أولهما هذه القصيدة قالها الشَّاعر فِيْ النسخة الكاملة للإنسانيَّة، الرسول الأعظم - صلَّى الله عليهِ وآلهِ -:

يا رسول الإله

عمَّرَ الكونَ بهجةٌ ورواء
وحبوراً وروعةٌ وبهَاء
وجمالاً قَدْ شعَّ نوراً وأمسَى
يختفي البدرُ مِنْ سناهُ حياء
سلبَ العقلَ والفؤادَ وأضْحَى
منْهُ يرجو المتيمون لقاء

عشقتــــهُ الأكـــوانُ والعشـــقُ مـــرٌّ

يبهـــرُ العقـــلَ ســـرُّهُ والذكـــاء

وانتشـــتْ مـــنْ ســنا مُحيـــاهُ طيـــباً

وعبـــيراً قَـــدْ ضـــوَّعَ الأرجـــاء

فالشَّاعرُ فِيْ هذا المقطعِ، لَمْ يأتِ بجديدٍ يستحق الاحتفال به، بالرغم إنَّ لديهِ الإنسانيَّة الكاملة، الرسولُ الأعظم - صلَّى الله عليهِ وآلهِ - فمجال الوصف الشِّعري أفقٌ، وأي أفقٍ فيه معانٍ سامية مِنْ آفاق النبوة، الَّتي لا يُحددُ وصفُهَا، ولا يجسِّدُ واقعُهَا، وقَدْ وصفها الله فِيْ القرآن العظيم.

ويمضي الشَّاعر فِيْ هذه القصيدة، فيصف، ويصوِّر لنا أسرار الطبيعة، فِيْ صورها العارية الفتَّانة، ويبرزها فِيْ حقيقتها، بدون أصباغ، أو رتوش، ثُمَّ يستمر الشَّاعر فِيْ قصيدته على هذا المستوى، حتَّى يختمها بقولهِ:

يـــا وليـــداً أطـــلَّ كالـــفجر نُـــوراً

جـــاء للنـــاس رحمـــةً وضيَـــاء

أودع الـــلهُ فـــيه حُســـناً فريـــداً

حيـــن أومـــى وشـــرَّفَ الأنبيـــاء

يـــا أبـــا المعجـــزات يـــا مَـــنْ دعـــاهُ اللهُ

بالحـــق للأنـــام اصطفـــاء

أنـــتَ شـــمسٌ منـــكَ النهـــارُ تجلـــت

أنـــتَ بـــدرٌ منـــكَ المســـاءُ اســـتضاء

فهنا: يقف الشَّاعر ليصف ذلك الوليد العظيم، الَّذي جللت عظمته الكون، وتحركت له جميع صورها، لكونه أعظم مخلوقٍ

أجلَّهُ ربُّهُ، بجلاله القدسي، وأي شخص أعظم، وأجدر مِنْ الإنسانيَّة الكاملة، محمَّد بن عبد الله - صلَّى الله عليه وآله - جاء بالمعجزات، والسعادتين الدُّنيا والآخرة.

والشَّاعر كعدسة مصور تلتقط كل منظرٍ تمرُّ عليهِ تلك العدسة، فتسجلها لتبرز الصورة كاملة الألوان، والخطوط.

ولهذه الحاسة الفنية، الَّتي تتنقل مِنْ منظرٍ لآخر حيَّا الشَّاعر، ابن عمه الدُّكتور / صالح طعمه، بقصيدةٍ عاطفيةٍ، ينساب فيها كأمواج النهر الصافي، ونثبت منها نموذجاً كدليل: -

نظرتُ إلى نجْمكَ الألمع

وقَدْ لاح فيْ الأفق الأوسع

وسائلتهُ عَنْكَ مستفسراً

بصوت يجلجلُ فيْ المسمع

أجاب وقَدْ راقني أنَّهُ

أشار إلى شأنك الأرفع

أخي صالح يا فتى الرافدين

سمواً على ذروة الأربُع

حيَّا الشَّاعر، فِيْ هذهِ القصيدة، الشَّاعر / صالح طعمه، بتحية رقيقة كأنفاس الزنبقِ، وكعطور الربيع الحنون، بأندى وأرق تحية، فكانت مثالاً عاطفياً، تجلَّت فِيْ حنانِ الأصدقاء للأصدقاء.

واختصر هنا على هذه اللمحة يا قارئي العزيز، لأنَّ زادي الَّذي أمترت منه، هاتين القصيدتين، فليس لديَ مجال أفق أطير فيه، وأرجو مِنْ الله أنَّني وفقت لخدمة الأدب، والعلم، وللصديق الوفي.

ومن اللهِ أستمدُ العونَ، والتوفيقَ...



تَـأمُّـلات

لقَدْ أصغيتُ إلى ألحانِ هذه السِّيمفونيَّة، بآذانٍ صاغية، وتأملت في هذه اللوحة الزيتيَّة، حتَّى غرقتُ فِيْ بحرٍ مِنْ الخيالِ، إلى شاطئ الذهول، وأفقت على صورةٍ ناطقة، تسجل قطعة مِنْ التَّاريخ.. مرئيَّة مريرة، حيثُ أنقرضُ فنانوها، وبناة مجدها، ولعامل العدم فِيْ زوايا الزَّمن الغابر، لم تبقَ إلاَّ ظلال باهتة مِنْ صور أطلال، تفصح عَنْ وراء اللامنظور.

وأنا فِيْ حلمٍ لذيذٍ كحلم عروس عذراء، غفا على أجفانها، وهيَ تحلم بمستقبلها السعيد، وأفراحها المعسولة، أفقت مِنْ هذا الحلم اللذيذ، على صوت، يردد نشيداً، يوصف صرحاً رومانياً، وقد أصبحت أنقاضُ هذا الطلل تستضيف أسراباً مِنْ أضواءِ الشَّمس، وأطياف هذا اللَّيل تسكن تحت أنقاضهِ وبينها.

ولكن ماذا وراء هذه الأنقاض؟ أين الَّذين أشادوه وعمروه وعاشوا يهرقون الكؤوس، وينامون على الأسرة الوفيرة، وتحمل لهم الغانيات ألوان الشراب والطعام؟ طوتهم الأرض كأنَّهم ما ولدوا، هذه ظاهرة واقعيَّة، لا مراء فيها، ولا جدال، فهم عبرة لمن أعتبر.

وفِيْ هذه الظِّلال، نقطة ضوئيَّة، يشرب منها الملهمون العباقرة، والفارق بين العبقري، وغير العبقري.

فالعبقري: الَّذي يطبع بطابعهِ، على جيدِ هذه الحياة، ويتحول الزَّمنُ قطعةً مِنْ حياته بعد موته، ممتدة مِنْ أفكاره، وآرائه، تقرأ، وتسامر فِيْ كتابٍ، الَّذي هُوَ خير جليس، كما عبَّر أبو الطيب - أمَّا غير العبقري، وما أكثرهم فهم: الهَملُ مِنْ

الناس، يضيعون فِيْ أمواجِ هذا الزَّمن، وينسون كأنَّهم لَمْ يأتوا لهذهِ الدُّنيا، ويملؤوها كبرياء، وغرور.

لقَدْ ذهبنا بعيداً، عَنْ وصف هذا الطلل، الَّذي هُوَ باعث التأملات فينا، وشدنا إليه شداً وثيقاً، الَّذي أشرنا للوحته الزيتيَّة فِيْ هذه التوطئة، فقَدْ كنت أقرأ قطعة فِيْ ديوانِ - عمر أبي ريشة - قصيدة 'طلل': -

طلل

رمالٌ وأنقاضُ صرح هوت

أعاليه تبحثُ عن أسه

أُقلِّبُ طرفي به ذاهلاً

وأسأل يومي عن أمسه

أكانت تسيلُ عليه الحياة

وتغفو الجفونَ على أنسه

وتشدو البلابلُ في سعده

وتجري المقاديرُ في نحسه

أأستنطقُ الصَخْرَ عن ناحتيه

وأستنهضُ الميتَ مِنْ رمسه

حوافرُ خيل الزمان المُشِتّ

تكادُ تُحدِّثُ عن بؤسه

فما يرضعُ الشوكُ من صدره

ولا ينعبُ البومُ في رأسه

وتلك العناكبُ مذعورةٌ

تريدُ التَفلُّتَ مِنْ حبسه

لقـد تعبَـتْ منـهُ كـفُّ الدمـار
وبـاتَتَ تخـافُ أذى لمسه
هُنـا ينفـضُ الوهـمُ أشباحَـهُ
وينتحـرُ المـوتُ في يأسه



إنَّ الشَّاعر فِيْ هذهِ القطعة، صور تجربته الذاتيَّة، فكانت تجربة تمثل الواقع المشاهد، لا بل تنقل قارئها، وكأنَّه أمام ذلك الصرح، الَّذي تحول إلى أنقاضِ طللٍ.

فالنقلة الخياليَّة: تحملك على جناحيها، وتنقلك كأنَّك أمامه تشهده بأم عينيك، وتغيب عن حسك في عالم الذكريات السحيقة، وتكاد تحس كيف كانت أعاليه! حين تهاوت باحثة عَنْ أسه، وهنا الروعة الصادقة، روعة الشِّعر الَّذي يصور، ويرسم اللوحة الزيتيَّة، كأنَّك أمامها مسمر بروعتها.

ويستغرق الشَّاعر فِيْ وصفِ هذا الطلل، إلى حدٍّ الذهول، ويسأل الزَّمن الحاضر عَنْ الزَّمن الماضي، ولا مجيب، ثُمَّ يسأل فِيْ لهفةٍ، وشوقٍ: هَلْ كانت الحياة تتدفق فيه، وكانت العيون السحرية تغفو على الأحلام اللذيذة؟ وهل ينطق ذلك الفن، الَّذي كان في صخوره؟ وهل يستطاع أن يُسأل الميت في رمسه؟ فيحدث عَنْ أسرارِ ذلك الفن، فيرجع بخيبة الأمل إذ لا جواب.

كثيرون الَّذين وقفوا على طلولٍ، وبكوا، وأجروا دموعهم التَّقليديَّة، ووقفتهم الَّتي جاءت على مسيرة التَّقليد، وإنْ لم يروا ذلك الطلل، فجاء شعرهم جامداً، لا وصف فيه، ولا صورة، ولا غناء، إن هو إلاَّ وصفٌ جانبيٌّ تقليديٌّ لمن سبقهم، لا يصلوا

إلى وصف ما على الصخور من معانٍ فضلاً عَنْ سوافي الرياح، وأعجبُ من وقوفهم الوهمي، والتباكي على تلك الطلول، حتَّى وجَّه لهم الشَّاعر / أبو نواس نقداً لاذعاً فيهِ تهكم، وسخرية:

قل لمن يبكي على رسم درس

واقفاً ما ضرَّ لو كان جلس

وأبو ريشة: لم يقف على هذا الطلل، وقفة أولئك التَّقليديين الَّذين عاشوا، وماتوا في حياة شعرية تقليديَّة، فوصفه ليس كوصف الآخرين، إنَّما أبو ريشة نفذ إلى ما وراء الأعماق، وصوره في قطعة رائعة، كما أشرنا لها في هذه التوطئة، فهيَ حية تستمد من الحياة.

تأمل قارئي العزيز: كيف كانت تجري المقادير فِيْ نحسه، وتغرد البلابل في فجر سعده، هنا النقطتان المتناقضتان تتعاقبان، إنَّها الحياة الَّتي تجمع شتَّى الصور والعبر، ويمضي الشَّاعر فِيْ تجربته الحسية، هنا أصبح الشوك لا يرضع من صدر ذلك الصرح، ولا ينعب البوم فوق رأسه.

إنَّ الحياة فيه قَدْ تجمدت، وماتت إلاَّ بضع أنفاسٍ منْها، حتَّى العناكب تراها مذعورة، تريد الهروب مِنْ البقاء فيه، لأنَّه أصبح كل شيء فيه غير حي، ولا يطاق البقاء فيه.

ويغرب الشَّاعر فِيْ تصويره، وهذا أدق تصوير، حيث كفُّ الدمار تَعِبتْ من تدمير أنقاض هذا الصرح، وتخاف لمسه مما علق بصخوره، من أمراض تنشر العدوى لهذه الكف، إنَّهُ لخيالٌ غريبٌ، ويغرب الشَّاعر أبعد من ذلك في خياله، فيسرفُ إسرافاً هائلاً مفرطاً، فيزعم أنَّ الموت عاجز عن إماتة بقاياأن أنقاض هذا الصرح أكثر مما أماته، ولكن فات الشَّاعر أنَّ الموت، وطول

الزَّمن اللذانِ دمرا هذا الصرح، وأبقيا منه بقية من أسس، وصخور، بمشيئة الله، الَّتي هيَ فوق مشيئة كل مخلوق، أن تُمحى مِنْ رقعةِ الوجود هذه البقية الباقية، فيكون لا أثرَ بعد عين.

وأريد أن أُعلق على هذه القطعة بعض التعليقات، فإنَّ صياغة بيت منها، لم يأخذ فِيْ صياغتهِ الأداء الفني، برغم ما في هذه القطعة مِنْ فنٍ، وأداءٍ تصويري، فالبيت الَّذي خان فيه الشاعر الأداءُ الفني:

حوافـــرُ خيـــل الزمـــان المشـــت

تكـــاد تحـــدث عـــن بؤســـه

لأنَّ الشَّاعر لَمْ يكن موفقاً فِيْ هذا البيت تعبيراً، وصورةً، لأنَّني لا أستسيغ استعارة حوافر الخيل للزَّمان، ولو قال خيول الزَّمان المشتتة أي: المتبعثرة، لأعطى صورة كاملة موحدة، فِيْ إطارٍ واحدٍ مشاهد، فنحتاج إلى رسام، يستعمل ريشته ليجمع هذه الخطوط المتبعثرة، فيوحدها لتكون صورة رائعة تجذب العيون، وهذا يصور لنا إبداع الشَّاعر فِيْ هذه القطعة الَّتي ينقلُنا شاعرُها إلى شريطٍ سينمائيٍّ، تُعرضُ أمام عيوننا كلما قرأناها.

وتوضيحاً لنقد هذا البيت فِيْ صورةٍ أوضح، وإنْ كان النقد الحديث ينظر إلى مجموع الصورة، لا للأجزاء، ولكن الصورة تتكون من الأجزاء، وإذا تشوه جزء مِنْ الصورة.. تشوهت الصورة.

ولا أبتعد عن توضيحي لهذا الرأي، في هذا الجزء من هذه الصورة، نحن نعيش في عصر العلم.. عصر الذرة.. عصر العقل الإلكتروني.. فلا يجوز أنْ نستعير إلى الزَّمان حوافر خيل، ونشبه الزَّمان بأنَّ له حوافر خيول، تجري في ميدان الحياة، مع

أنَّ الزَّمان أسرع من مشي الخيول، وأسرع مِنْ الضوء، فلا يجوز أنْ يكون المشبه به أسرع، وأقوى مِنْ المشبه، وهذا ضعفٌ فِيْ البلاغة، أو فِيْ الأداءِ الفني، ولو قال الشَّاعرُ، كمقولةِ مَنْ وصفَ الزَّمان وصفاً واقعياً فقال:

يــا زمانــاً يمــر كالطيــر مهــلاً

طــائرٌ أنــت ويـك قـف طــيرانك

قَدْ أبدع الشَّاعر فِيْ هذا المشهد، على نقيض الصورة المبعثرة في صيغة بيت أبي ريشة، والصورة لَمَّا كانت مبعثرة في هذه الصيغة، لا تكاد أنْ تجلو لنا المشهد الَّذي تحدث عنه الشَّاعر.

أنا لا أنكر، أنَّ بعض الأجزاء المبعثرة، قد تعطي مشهداً رائعاً أكثر من كونها مجتمعة، غير أنَّ الشَّاعر، ما كان موفقاً فِيْ هذا الجزء مِنْ صورته الرائعة المسلسلة، كنهراً يسقي حقول الأفكار بقوة ودفق.



مُوازَنَــة

كانت تجولُ فِيْ فكري خاطرةٌ، أو قل سانحةٌ، تمر بي مرور الأطياف، كما تمر بأفق نائمٍ فِيْ أعراسِ أحلامهِ العذبة، وتجسَّدت هذه الخاطرة فِيْ أحرفٍ تصور، وتقيس بميزانها الفني، ثلاث لوحات، لثلاثة شعراء، كلٌ منهم رسم مشهداً لأفق خياله، ومهد أحلامه، صوَّرها فِيْ قصائدَ، تشير هذه القصائد، وتمثل حياة كل شاعر عاش في محيطه.

وبعبارة أوضح: كل منهم صوَّر غرفتهُ أفق إلهامه، وما يشاهدُ فيها مِنْ حركات، أو سكون، أو صبوة مع هجر مرير، أو وصالٍ يغرق اللَّيل فِيْ لذةٍ معسولةٍ، أو ما توحيه له سماءُ هذه الغرفة مِنْ فنونِ أشعار.

وما أُريدهُ هنا: أنْ أوازن بين تلك اللوحات، اللَّاتي كُلٌّ منها تصوِّر، وتجسِّدُ حياة شاعرها، على اختلاف العوامل المادية والبيئيَّة، بما فيها مِنْ نعيمٍ، وترفٍ، إذا كان مِنْ أربابِ الترف، أو ما فيها مِنْ خشونة العيش، وظلاله الثقيلة، وآلام الطبيعة مِنْ قرٍ، أو حرٍ، بحيثُ لا تقيه من سموم الرِّياح.

فنبدأ بالحديث: عن غرفة الشَّاعر الصافي النجفي، فندخل لهيكلها، ونشاهد وصف الشَّاعر لهذه الرسمة، وما فيها من دنيا مهلهلة، فنتركه يتحدث عَنْ وصفها:

أكافحُ البرد في سراج
يكادُ من ضعفه يموتُ
في غُرفة ملؤها ثقوب
أو شئت قُل ملؤها بيوتُ

يسكن فيها بلا كراء

فأرٌ.. وبقٌ وعنكبوتُ

فهو معي مثلُ فيلسوف

معتزلٌ.. دأبهُ السكوتُ

مشتغلٌ بالنسيج عني

يبني شباكاً بها حُميتُ

فكم بها صائدٌ من ذباب

قد كنت في أمره عييتُ

هذي ندمايا في الدياجي

عاد بها شمليَ الشتيتُ

يوقظني الفأرُ حين أغفو

بالقرض إن طاب لي المبيتُ

والبق بالقرض رام مزاحي

لكنهُ.. مازحٌ صموتُ

أبيتُ ليلي بها كأني

للبرد تحت السماء أبيتُ

جَمدتُ من بردها ولكن

في الصيف من حرها شويتُ

ينثرُ من سقفها ترابٌ

لولا غطائي بها عميتُ

أغرفةٌ للمنام هذي

أم هي منفاً لهُ نُفيتُ

قف معي أيُّها القارئ، نتأمل فِيْ هـذه اللوحـة الفنيَّـة، الَّتـي رسـم عليهـا الشَّـاعر غرفتـه، أو مـأواه فِـيْ شـريطٍ سـينمائيٍّ متحرِّكٍ، يكاد يجسِّده أمام عينيك، فكأنَّك تعيش معه فِيْ هـذه الغرفةِ، وتسكن تحـت أجوائهـا، فحـذاري مِـنْ أنْ يصيبـك مِـنْ الساكنين، المشاركين له فِيْ هذا المسكن، فعليك أنْ تكون يقظـاً، ومحترساً مِنْ أولئك الساكنين، لئلا لا يصيبك ما أصاب الشَّـاعر، وأن تلبس نظارات، حتَّى لا تخرج منها وأنتَ بصيرٌ، لا ترى أنـوار الشَّمس، ولا أضواء الفجر، ولا ومضات الكواكب، وزهرة السماء.

فالشَّاعر أعطانا صورة حيَّة فِيْ لوحةٍ زيتيَّة، بدون أنْ يضيـف عليها أصباغاً، أو رتوشاً، بل هـيَ رسـمةٌ طَبيعيةٌ مكشوفة، تجسِّدُ الطبيعةَ فِيْ رؤىً منظورةٍ، ولنسرع الخُطى، فنخرج مِنْ هذه الغرفـة، قبل أنْ ينضج جلودنا حرها، إذا كنا فِيْ فصلِ الصيف، أو نتجمدُ على صعيدها مِنْ قرِها، ونحن فِيْ ثبج الشتاء، فلنبادر ونفتح باب غرفة الشَّاعر / علي محمود طه، فندخل لها بغير استئذان، ونلقي ثقل أتعابنا، ونعيش تحت نعيم ظلها، بعد أنْ لقينا من غرفة الشَّاعر الصاية ما لقينا، ونمسح ما علق بأجسامنا من أدرانٍ تساقطت علينا مِنْ سمائها، وجدرها، فنعيش مع الشَّاعر / علي محمود طه، وهو يصف حياته الشَّاعريَّة، وما يحيطُ بها فِيْ غرفتـه مِنْ نعيمٍ وترفٍ، عندما ينزلُ عليه شيطانُ الشِّعرِ، إنْ كان للشِّعرِ شيطانٌ، فنصغي لألحانه:

أيهـا الشـاعرُ الكئيـب مضـى الليـل

ومـا زلـت غارقـاً في شجونـك

مُسلماً رأسَكَ الحزيـنَ إلـى الفكَـر

وللسهـد ذابـلات جفونـك

ويـــدٌ تمســـك الـــيراع وأخـــرى

في ارتعـــاش تمـــرٌّ فـــوق جبينـــك

وفـــمٌ ناضبـــاً بـــه حَـــرُّ أنفَاســـكَ

يطغـــي علـــى ضعيـــف أنينـــك

لست تصغي لقاصف الرعد في الليل

ولا يزدهيـــــك في الإبـــــراق

قـد تمشـى خـلال غرفتـك الصمـت

ودب الســكـــون في الأعمـــاق

غير هـذا السـراج في ضوئه الشـاحب

يهفـــوا عليـــك مـــن إشفـــاق

وبقايـا النـيران في الموقـد الذابــل

تبكـــي الحيـــاة فـــي الأرمـــاق

أنـت أذبلـت بالأسـى قلبـك الغـض

وحطمـــت مـــن رقيـــق كيانـــك

آه يـا شـاعري لقـد نصـل الليـل

ومـــا زلـــت ســـادراً فـــي مكانـــك

ليـــس يحنـــو الدجـــى عليـــك

ولا يأسـى لتلـك الدمـوع في أجفـانك

مـا وراء السـهاد في ليلـك الداجـي

وهـــلاّ فزعـــتَ مـــن أحزانـــك

❖ ❖ ❖ ❖ ❖

نحـن نعيـش فِيٌ غرفـة مترفـة لشـاعر مـترف، لا يهمنـا موقعها، في أي حي مِنْ أحيـاء القـاهرة، إنَّمـا نعيـش فِيٌ أفـقٍ

الخيـال، وتحـت عرشـه، فـلا تخشـى علـى نفسـك مِـنْ انهيـار جدرها، أو سقفها.

فالشَّاعر هنا، يصور عيشته فِيْ هذه الغرفة، وكيف يفدي نومه بالسهاد، عندما تظلله سماءُ الإلهام، ويهبط عليه الشِّعر، ويسبح فِـيْ آفـاقِ أحـلامٍ اسـتغراقية.. بعيـدة المرمـى، طليقـة الخيال، تصور معي هذا الحرف المتحرِّك:

ويــدٌ تُمســكُ اليــراع وأخــرى

في ارتعــاش تمــر فــوق جبينــك

تمر فِيْ ارتعاشٍ هو ارتعاش الخيال، والإلهام، فتمـر أناملـه مروراً لاشعورياً على جبينـهِ، ليسكب الشِّعر فِيْ كؤوسٍ شفافة، كضوء الفجر، وكأنَّه بهذه الحركة المتصلة يستعين بها على إنـزال الشِّعر، فيغرب بتصوره فِيْ سماءِ الخيال، حتَّى يغيب حسه عَنْ التمتع بلذات الطبيعة، لقصف الرعود، ولمع البروق، حتَّى أشفق عليه سراجه، وتحوَّل إلى ألوانِ ظلالٍ خافتةٍ.. باهتةٍ خوفاً على شاعره.

ويثب الشَّاعر مـرة أخـرى، فيعطـي صـورة متحركـة عَـنْ: موقـده الَّـذي يرسـل لـه الـدفء فِـيْ ليـالي كـانون، فِـيْ حـرفٍ متحرِّكٍ.

وبقايــا النــيران في الموقــد الذابــل

تبكـــي الحيـــاة فـــي الأرمـــاق

مـا هـذا التَّعبير الفنِّي؟ إنَّهـا فِـيْ أنفاسِـها الأخـيرة تبكـي الحياة، وهذا الشوق المتأصل فِيْ نفوسِ الأحياء لحب البقاء، إنَّـه لبيانٌ ساحرٌ.

وهنا نخرج مِنْ هذه الغرفة الشَّاعريَّة المترفة، فندخل إلى غرفةٍ شاعريَّة مترفة، وهيَ غرفة الشَّاعر / عمر أبو ريشة، فنعيشُ معه، ونصغي إلى لحنهِ يردِّدُهُ فِيْ غرفتهِ:

سعيتُ لحجرتي قلقاً

وجنح الليل معتكرُ

وأحلامي مخضبةٌ

على جفنيَّ تنتحر

وذكرى صبوتي أفعى

على جنبي تنحدر

بلغت الباب والضوءُ

الخفيت وراءه يبدو

وما أطبقته حتى

أقشعرَ الشعر والجلدُ

رأيت وليس بي سكر

ولا بجوانحي وجدُ

رأيت على سريري قداً

غفت هند، أجل هندُ

فذلك قدها البض

وهذا شعرها الجعدُ

أعادت بعدما انفضت

عُرانا وانمحى الودُ

وقفتُ وخافقي يشتد

بين جوانحي وثبا

وهنـــد لـــم تـــزل تغفـــو

وتهـــب صبوتـــي نهبـــا

أمـــا نفضـــت يديهـــا مـــن

غرامـــي وانثنـــت غضبـــى؟



نحـن هنـا مـع الشّـاعر فِـيْ غرفتـه، لا نجـد وصفـاً لغرفتـه، إلاَّ ذكـر بابهـا الخشـبي، وسـراجها البـاهت الألـوان، المرتـج الأنفـاس، ويعطـي الشّـاعر أفقـاً خياليـاً أو واقعيـاً، يصـور فيـه صبوتـهُ، وهـيَ تنحـر علـى مذبـح القلـق، والهجـر والعـودة، فهـيَ متأرجحـة كريشـة فِـيْ الهـواءِ، وفِـيْ لياليـه المعريـدة.

فالشّـاعر يصـف هـذه الظـاهرة النفسـيَّة، الَّتـي تلاحقـه ظلهـا، ويصـف هجـر حبيبتـهِ بعـد فصـم العُـرى، وانسـلالها عنـه كانسـلال الطيـوف الغاضبـة، وبعـد هـدوء مِـنْ هـذه الجفـوة، تحركـت صبوتهـا، فعـادت لتحـترق بخـوراً فِـيْ مجمـرِ الشّـاعر، فلَمْ تسـتطع التفلـت مِنْ شـبك الغـرام، فعـادت كمـا يعـود الطـير إلـى عشـهِ علـى غـير اختيـارٍ، وقصـد.

ويصـف الشّـاعر سـريره، الَّـذي غفـت عليـه حبيبتـه، ويكمل المطـاف فِيْ حياتـهِ الغراميـة فيقـول:

ولمـــا لامســـت كفـــي السريـــرَ

ضحـــكت مـــن نفســـي

وســـالت دمعـــة أودعـــتُ

فيـــها منتهـــى حســـي

وهنا يحلو لنا، الموازنة بين هذه اللوحات، الَّتي كتبها الشُّعراء الثلاثة، ونعطي عنها رأياً تفصيلياً: -

إنَّ لوحة الصافي، هيَ لوحة طبيعية، فِيْ أداءِ تعبيرٍ تصويري لطبيعة الغرفة، أو العش الَّذي يحيا بهِ هذا الشَّاعر البائس، وليس فِيْ كلماتها ترف الديباجة، أو إغراب فِيْ الخيال، إنَّما هو وصف طبيعي للطبيعة على بساطتها، بدون تعقيد، فإنَّ الصافي لا يحفل بالألفاظ الترفة، إنَّما يحفل بما وراء الألفاظ، فهو يجسِّد غرفته المتمثلة فِيْ حياتهِ البائسة، وعبقرية البؤس تفجر الشِّعر وتثريه، ويدخلنا معه إلى هذا الجوِّ، بما فيه من عوامل طبيعية، تشبه المنفى، كما عبر هو، وفِيْ هذهِ الصُّورة أبدع الشَّاعر فِيْ رسمته الحرفيَّة.

أمَّا الشَّاعر / علي محمود طه، فهو مترف الخيال والتعبير، يتخير الكلمات الشَّاعريَّة، فيؤلِّف منها صورةً سيمفونيَّةً مترفةً، فهو يبز الصافي فِيْ التعبير اللفظي، وفي انتقاء الكلمات الترفة، لما فيه مِنْ رقة، وترف الديباجة، وعبارات رقيقة ذواقة، ورقة كرقةٍ النسائم، وكان في تعبيره وتطوافهِ بغرفته يختلف عن أبي ريشة، حيثُ أعطى لمحة عن سكونه وحركاته، وصوَّر مظهراً مِنْ مظاهر هبوط الشِّعر عليه فِيْ هذا الأفق، وما فيه من موقد، وسراج متلجلجِ الضوءِ يكاد يشفق عليه.

أمَّا الشَّاعر / أبو ريشة، فلَمْ يصور لنا مِنْ هذا الأفقِ إلاَّ حبيبته، وسريره، الَّذي جاء ذكره عندما غفا عليه قدُّ الحبيبة، وسراج غرفته الخافت الأضواء، ويعود

فيصور الجو الغرامي، وحبيبته الَّتي التفت عليه التفاف الأفاعي، ولا تهدأ، ويفرخ روعها، حتَّى تسكب سمومها فِيْ كؤوسٍ تفح منها النيران - نيران الشباب العارم الطائش - الَّذي لا ترده حدود عندما يثور، إلاَّ تقوى الله.

فهو يلتقي مع الشَّاعر / علي محمود طه، فِيْ ترفه البياني، ورقة التَّعبير، فتعبيره كضياء الفجر، أو كالحبب عندما تطفو على ثغورِ الكؤوس، وهيَ فِيْ يدِ ضوء الفجر، أو كالنهر عندما تنسابُ أمواجُهُ تحت ضوء الشَّمس، وأضواء القمر الفضي، ويبزهما الصافي، كما أشرنا للتصوير المتكامل لغرفة متهرية، تكاد تشبه المنفى، فالصافي كان أبدع الثلاثة في الصورة المتجسِّدة المتحركة، لكامل غرفة الشَّاعر.

هذه الخاطرة: تعرض صورَ أفاقٍ للشعراء الثلاثة، فِيْ لمحة قصيرة، تلخص رأيّاً تحليليّاً فِيْ هذهِ الرَّسمات، ولستُ أدَّعي أنَّني أصبت قلب الحقيقة والواقع، فأعرضها لمن أراد أن يصادقني، أو يباينُني فِيْ هذه الخاطرة، فأنا أؤمن بحرية الفكر، والرأي.



صورة

ليت الثرى ينشق عنك فتبصري شبحاً كئيباً في الظلام يحدّقُ

صورةٌ حيَّةٌ، ووثبةٌ مِنْ وثبات الخيال الغريب، فِيْ التَّعبير الجديد فِيْ الأسلوب، تكاد تشق إطار الحرف، فتستوي إنساناً سوياً ماثلاً للعيان.

وهذه الصُّورة الحيَّة فِيْ الشِّعر الحي، تتجدد مع إشراقة ضوء الشَّمس، إنَّ الشِّعر لا تبليه الحياة، عندما يرتدي ثوب الحياة، فينطلق فيها نهراً، يحيل الجدب خصباً معشوشباً.

كنت أردد هذا البيت بإعجابٍ: الَّذي هُوَ للشَّاعر الأُستاذ العلاَّمة الشَّيخ / عبد الحميد الخنيزي الخطي مِنْ قصيدةٍ، وإعجابي ليس بالصورة فحسب، ولكن لما يكمن وراء ملامح الصورة، حيثُ أنَّها ملامحُ فِيْ حلقةٍ واحدةٍ، ولا ينفكُ جزءٌ منها عن جزءٍ، وفِيْ مثل الذهول والاستغرابِ الفكري، كمن هو مستيقظٌ، ولا يشعر بمن حوله، كضوءٍ أشرق على لوحةٍ فكريَّةٍ، وكهمس النسائم في أذن الزهر، تردد على صدى هذا البيت الَّذي أُردده، وكنقلة الضوء نقلتني إلى بودلير العرب، الشَّاعر الكبير الَّذي سبق شعره عَصرنا، وكأنَّه قطعةٌ مِنْ عصرِنا، وصدى هذا الصوت يردد لي سيمفونيَّة تصفُ حياةً، ماتت على أشلاءِ أطلالٍ بالية، ضاعت فِيْ عالم القديم المجهول، لولا بقايا خيوطٍ تنمُّ، وتُشيرُ إلى العالم الداثر، الَّذي لفَّه الزَّمنُ بين طياته.

وهل هيَ الصدفة وحدها: أنْ أكتب بالأمس عَنْ طلل عمر أبي ريشة، الَّذي يصف فيه أنقاض طلل صرح روماني، وأكتب اليوم عن طلل وصفه بودلير شاعر العرب الشَّريف الرضي.

لستُ أدري هل هيَ مِنْ الصدفةِ.. أم ماذا؟ ولكنَّني أرى نفسي مدفوعاً أنْ أكتب عن طلل أبي ريشة، ومدفوعاً ثانيةً: أنْ أكتب عَنْ هذه القطعة الَّتي لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة، وأنْ أقفَ مذهولاً على كلِّ إشارةٍ، ورمز يشير له الشَّاعر، فِيْ رسمتهِ الغريبة العجيبة، فِيْ قطعةٍ لا تزيد على ثلاثة أبيات قالها الشَّريف الرضي، صوَّر الشَّاعر فيها ما تعجز عنه القصيدة الطويلة الَّتي قَدْ نخرج منها بلا صورة متكاملة.

فالشَّريف: يرسم صورة متحرِّكة، ويصف وصفاً عميقاً، لا وصفاً جانبياً، ولا يبعد هذا الوصف فِيْ اللون مِنْ التعبير، أن يكون مبتكراً، أنظر له وهُوَ فِيْ مشهدهِ المتحرِّك أمام عينيك: -

ولقد مررت على ديارهمُ
وطُلولها بيد البلى نهبُ

فوقفتُ حتى ضج من لغب
نضوي ولجَّ بعتبيَّ الركبُ

وتلفتت عيني ومذ خفيت
عني الطلولُ تلفت القلبُ

إنَّ هذه السِّيمفونيَّة: صورة متحرِّكة، تجسِّد دنيا الأحباب، فِيْ قصة طويلة.. ذات فصول، اختصرها الشَّاعر فِيْ ثلاثةِ أبيات كما تُختصرُ رسائل الحُبِّ، بإشارات القلوب والعيون.

فالشَّاعرُ عندما مرَّ على ديارِ أحبابه، تذكر أيامهم المتعة الحلوة، وكيف كان النعيم يسيلُ فِيْ هذهِ القصور، الَّتي تموج بألوان الحياة، وصورها المتباينة!!

فماذا تذكر الشَّاعر فِيْ هذه الوقفة المأساويَّة الحزينة؟ تذكر أيام أحبابه، وفِيْ شوقٍ ولهفةٍ، أعادت له هذه الطلول حياتهم

الماضية، فبعثت فيه الحسرات، فوثب الخيال فأغرب الوصف، حتَّى جسَّد ذلك الطلل حياة متحرِّكة فِيْ خيالٍ بديعٍ، إنَّها رسمةٌ تصفُ أطلالاً أصبحت نهباً فِيْ أيدي البلاء، وما أعظم هذا التَّعبير، فِيْ صورته الوثَّابة، إنَّها وثبةٌ مِنْ وثباتِ العبقرية، وإبداعٌ فِيْ التَّصوير، وليست مِنْ الشِّعر التَّقليدي مِنْ الَّذين يتباكون على الأطلال، إنَّما هيَ تجسيدٌ لحياة أمة، بادت.. وبقي لها أثر، كعبرةٍ لمن اعتبر.

ويستمر الشَّاعر الكبير، ويتسمر أمام هذه الطلول، ويتيهُ فِيْ عالمِ الذكريات البعيدة، ويغيبُ فِيْ أعماقِ حياة الأحباب، حينما نقله جناحُ الذكرى إليها، حتَّى يبلغ به التسمر اللاشعوري، فيضجٌ جوادُهُ مِنْ لغوب تلك الوقفة، وهُوَ نهاية التعب، وحتَّى يلومه أصحابُهُ مِنْ طولِ هذه الوقفة المشاهدة، برغم أنَّه - القائد الزعيم - لذلك الركب، فينفرد عنهم، ويغيب فِيْ ذلك المنظر المأساوي الحزين.

ويمضي الشَّاعر الكبير فِيْ قطعته، تحت ضغط العواطف الجامحة، فيصورُ منظرَ أحبابه، بصورة ينقلها فِيْ لوحةٍ زيتيَّة، تُرسمُ فِيْ حدقةِ عينه، وفجأة حركية تنقل هذه الصُّورة النَّظرية، عندما تغيب هذه الطلول عَنْ عينهِ إلى لفتة، وما هذه اللفتة؟ هيَ لفتة القلب الَّذي لا تغيب عنه الصور إلاَّ بانتهائه مِنْ الحياةِ، إنَّهُ زخمٌ ما بعده زخم، وإبداعٌ ما بعده إبداع: -

وتلفتت عيني ومذ خَفيت

عني الطلول تلفتَ القلبُ

اللّه أكبر: على ما فِيْ هذه الصُّورة السينمائيَّة المتحرِّكة، كأنَّ الشَّريف عاش معنا فِيْ هذا العصر، وشهد مناظر الأشرطة السينمائيَّة، والتلفازيَّة، إنَّ حرفه أصدق تعبيرٍ، وأبلغ مِنْ هذه المناظر.

والغرابة فيها: بينما هُوَ يمتعُ عينه فِيْ ذلك المنظر الرَّهيب الباهت، حتَّى إذا خفيت، نقلها كنقلة الضوء الإشعاعيَّة إلى قلبه.

إنَّ لفتات القلوب، ولفتات العيون.. لفتات سحرية 'السحر الحلال' فسبحان الَّذي خلقها.. !! فالعين ترسم المنظر، فإذا غاب عنها، خُزن فِيْ القلب صفحاتٌ لا تغيبُ عنهُ، كصور الربيع عندما تنطوي مِنْ هذه الحياة، نجدها صورة حسيَّة.. وَصَفية فِيْ العقولِ، إنَّنا نعيشها حيَّة فِيْ قصائد الشُّعراء، الَّتي ترسم الربيع مناظر خلابة متحركة، والفارق بين رسمة عمر أبي ريشة، ورسمة الشَّريف الرضي، فأبو ريشة: رسمت شاعريته وصفاً لطللٍ روماني شاهده، فصوَّره دون أن ترتبط حياته بحياة سكان هذا الطلل.. ولا بقومه، ولا تمتُّ جذورهُ بجذورهم، فهو غريب عَنْ هذه الارتباطات، والعوامل الزَّمنيَّة، ولكنَّه صوَّر ذلك الطلل.

وشاعرنا: الشَّريف الرضي - لَمْ يكن وصَّافاً عاطفياً فحسب، إنَّما كان قطعة مِنْ حياة سكان أولئك القوم الَّذين تحولت قصورهم إلى طلولٍ تثير فِيْ نفسهِ ذكريات مرة، لكونها تشدُّ حياتُهُ بحياتهم، ويرتبطُ بأولئك القوم لغةً، ودماً، وامتداد زمنياً.

كل هذه الرَّوابط، جعلت الشَّريف: أن يكون فِيْ عاطفته، أصدق مِنْ أبي ريشة، لهذه العوامل، وللشاعريَّة الَّتي لا يحلق فِيْ سمائها أبو ريشة، فصوَّر إبداعاً، بلغ فيها منتهى الزخم، فِيْ قطعة لا تتجاوز ثلاثةَ أبيات، وقَدْ انطوت فِيْ أحرفها حياةُ أجيال، صورتهم هذه الرسمة، يعيشون فيها، ويتجددون مع إطلالة الفجر، كلما نظرتَ هذه الرسمة، وليته أطال هذا النغم على مسامعنا، الَّذي جمع فيه الفن فِيْ أعلى صوره، ولعلَّ الشَّريف الرضي يخاطبُنا بروحه الشَّفافة مِنْ حجراتِ الغيب، ليس فِيْ الإمكانِ أبدعُ مما كان.



تعليق على نظرات

في النغم الجريح

مع الحلقة الأولى في جريدة اليوم في عددها ٦٦٥ في ٢٢ رجب عام ١٣٩٢هـ، ونشرت الحلقة الثانية استكمالاً للأولى في العدد التالي للجريدة





قـرأتُ هـذا المقـال للكـاتب المعـروف: بوطنيتـه، وخدمتـه للآداب المتواصلة فِيْ تاريخـه الخصيـب، وهـوَ الأسـتاذ / عبـد الرحمن عبد الكريم العبيدي، وقَدْ سبق له أنْ كتب عَنْ الديوانِ نفسه تحت عنوان ((النظرة التشاؤمية في النغم الجريح)).

وقبل أنْ أُناقشه على بعض الملاحظات، أُريدُ أنْ أهمس فِيْ أُذنيهِ - اختلاف الرأي لا يفسد للودِّ قضية - ولابُدَّ مِنْ توطئة، أو مدخلٍ للنقد، فالنقد الحياة، ولولا النقد.. لمات الأدب، لأنَّ النقد حركة، والحركة حياة، فالحياة النقد، والنقد الحياة.

وللنقد مقاييس فنية دقيقة، وحساسة، وذوق مترف، يضاف إلى ذلك معرفة خصبة، يختص بها رجالٌ يفيض الله عليهم ضوء المعرفة، وأنْ يكون النقد بنَّاءً هادفاً، يسير فِيْ خطة توجيهيَّة، يرفع النَّاقد مشعله منارة للتائهين فِيْ ليالي الصحراء المُدلَهِمَة، أو يرفع النَّاقد صوته، وأحياناً يمد عصاه السحرية ليرد الإنسان الخرافي الطائش إلى حقيقته، ويُبصَّرهُ بما تحت قدميه.

إذن فالنقد: لابُدَّ منه فِيْ حياتنا الفكرية، ومتى مات النقد فِيْ حياتنا الأدبيَّة، والفكريَّة، فقل مات الأدب، والفكر ولَمْ أتصور إذا كان النقد جاداً بناءً هادفاً للإصلاح، والتقويم لما اعوج فِيْ أسلوبٍ، أو تصويب رأي، أو رسم فكرة خاطئة، ورد صاحبها للواقع الملموس، يدعمها البرهانُ المنطقي.

الفكر طاقات ضوئيَّة، قَدْ تسلط على الواقع فتكشفه، وقَدْ يحيل بينها ضباب عدم المعرفة، فلا أظن يضيق بها صدرُ أديب، بما كتب مِنْ فكرةٍ قالها فِيْ حرفٍ.

إنَّنا لا ننسى النَّاقد الساخر – برنار دشو – الَّذي يهجم على أدبه، وحياته الفكرية، هجوماً عنيفاً.. لا هوادة فيه.

فالنقد حركة تتصل بحياتنا الفكرية اتصالاً مباشراً، لا انفصال لها، بل تصورها فكراً خالداً منذ فجر التَّاريخ.

وكم مِنْ شاعرٍ، ومؤرخٍ، وكاتب ضاع في زاوية النسيان بل غطَّى عليه العدم، وضاع فِيْ هامش التَّاريخ، والسر: إنَّهُ لَمْ تمسه يراعة منتقد، أو ريشة فنان، لَمْ تقف أمام هيكله لحظة، لترسم له صورة، ولو باهتة، أو تقول كلمةً فِيْ فكرةٍ، بخير أو شر.

لقَدْ حفلَ التَّاريخ بالنُّقاد، وهم مختلفون فِيْ مقاييسهم وآرائهم، ولكنَّ الشَّاعر، والكاتب، يسير فِيْ طريقه، على أنْ تكون تجربته مِنْ وحي نفسه وشعوره، لا مِنْ حياة التَّقليد، مِنْ صورِ أفكارٍ مسخت لتكرار فِيْ ألفاظ ميتة كما عهدنا فِيْ الفترة الَّتي قبل النهضة الحديثة، كان الشَّاعر: لا يهمهُ ما وراء الصور، إنَّما يعني بالشكل، وباصطلاحات كالبديع، والازدواج، والطباق يعرفها علماء البيان، فهيَ للأسلوب العلمي، أقرب منها للأسلوب الشِّعري الَّذي هُوَ أحد الفنون الأدبيَّة، ولابُدَّ للفن أنْ يكون فنّاً، فإذا أصبح الشِّعر نظماً كما قال الشَّاعر العربي: –

الشعر صعبٌ وطويلٌ سُلَّمه
إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه
زلت به إلى الحضيض قدمه
يريد أن يعربهُ فيعجمه

هنا: يتعثر فِيْ الطريق الطويلة الشائكة، قبل أنْ يصل إلى الغايةِ، وخُذ مثلاً.. كيف كان النُّقاد يتبارون فِيْ شعر المتنبي، الَّذي اختلفوا فيه بشتَّى الصور، والمتناقضات فِيْ الرأي والفكرة؟!

وفيْ فجرِ حياتنا الحديثة، حفلت الصحف العربيَّة بفنون النقد للشُّعراء مِنْ الأدباءِ والكتَّاب، وكانت شاعرية أحمد شوقي، مسرحاً يجسّد عليها الشَّريط السينمائي، وتمثل عليه روايات النقد الطويلة والقصيرة، وكُلَّما مرَّ على جرس أذني، صوت النقد.. سمعت صوتاً يهتف بي مِنْ وراءِ الأزمان؛ مِنْ كوة الخلود.

أنا النِظَارُ الذي يظنُ بهلو قلَّبتني يمينُ مُنتَقدي

هذا الصوت يطيب لي صداه، وترديده على سمعي، إذاً فاسمع يا أستاذ / عبد الرحمن: إنَّني أُرحبُ بقولتك النقديَّة، ولا يضيق صدري بها، بل تجد لها متسعاً تضيع فيه، وليس هذا معناه.

ويخيل للقارئ، إنَّني لا أُريد أنْ أُناقشك نقاشاً بنَّاءً، وإن كان النقاش جانبياً، لأنَّ الفكر، أو بعبارة أدق 'جوهر الفكرة' متفق عليه، فلندخل حلقة الدراسة النقاشية، لنبدأ ونذلل على الفكرة، وإنَّني أُسلم لك: إنَّك لا تقصد بنقدك إلاَّ نقداً بناءً تتطبق عليه المقاييس، ولكنَّ النَّاقد قَدْ يحمل إزميله كالرَّسام، ليحفر فِيْ الصخرة صورة، أو فكرة، تغني عن تلك الصورة، فيخطئ، أو يتحطم الأزميل قبل إكمال الصورة، فالأُدباء يهمهم تصوير الفكرة، وأنْ ينتقدوا ما وراء الصورة، فكل خط أو إشارة يرسمها فنان هيَ معنى، أمَّا الألفاظ، أو الكلمات فهيَ إشارات إلى ذلك الضوء، أو هيَ ظل تتبع ذلك الإشعاع.

أنا لا أنكر: ربما كلمة، تخلق جوّاً شاعرياً، وأخرى تميته، وثالثة تبدعه حتَّى منتهى الزخم، لقَدْ خرجتُ عَنْ النِّقاش، أو عَنْ حلبة الدرس، إلى مطافٍ بعيدٍ عَنْ الهدف.

فلنعد.. وأبدأ معك يا أستاذ النِّقاش بدون حرجٍ، أو مواربةٍ، وأنْ تسمح لي بهذا النِّقاش الجانبي، حسب ما قلت لك، لنفتح الكتاب فنبدأ الدرس ملاحظتك على كلمة فَظلتُ كعاطلة فِيْ الدُّنا،

ووسط عواصفها، كالغريق حيث قلت بالحرف الواحد، وهو يقصد فضللت، وأنا لم أجد مثل هذا التعبير في جملة ما قرأت في شعر.

غريب جداً: أن يصدر مِنْ أديب ناقد مثل هذا الكلام الهراء، وهو يقرأ كتاب الله، وما بعده فاصل في الحق، والاحتجاج، فعليك أنْ ترجع إلى سورة طه، وتقرأ هذه الآية الكريمة:

((قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لاَ مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِداً لَّن تُخْلَفَهُ وانظُرْ إِلى إِلاهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفاً))[1]. صدق الله العظيم

أرأيت يا أستاذ: هذه الحجة الدامغة، فكيف يصح لك أنْ تقول إنَّك لَمْ تقرأ فيما قرأت، وهذا التَّعبير يا أستاذ.. قَدْ حفل بـهِ الشِّعر حديثاً وقديماً، ولا أُريد أنْ أستشهد لك بعد أنْ استشهدت بكتاب الله، إلاَّ بمن يحتج به مِنْ الشُّعراء فِيْ اللُّغة، فاسمع شاعر الحُب، والجمال / عمر بن أبي ربيعة:

فَضلتُ بمرأى شائق وبمسمع
ألا حبذا مرأىً هناك ومسمعُ

وإنَّ كلمة 'فضلتُ' فِيْ البيت الشِّعري، لها جرس موسيقي لا تصل لها - ظلت أو ظليت - وتعطي معنىً أبعد فِيْ التصور مِنْ ظللت، وهُوَ الاستمراريَّة، كما عبَّر: بن أبي ربيعة، فِيْ قصيدته المشهورة فِيْ آل نُعماء حيثُ قال: -

وغاب قمير كنت أهوى غيوبه
وروَّح قطعانٌ ونَوَّم سمرُ

إنَّ كلمة 'روَّح ونوَّم' موسيقيتين، وتصغير القمر خلقت بمجموعها سيمفونيَّة موسيقيَّة، يحسها حتَّى الأصم، ويفتح لها أذن

---

(١) آية رقم ٩٦ من سورة طه.

الصخر إن كان، ولو قال راح ونام، لفقدنا هذه الميزة الظاهرة.

وكلمة محاني: لَمْ تعد غريبة فِيْ العصر الحديث، إذ هِيَ بمعنى المنحنى مِنْ الوادي - أي المنعطف - فعليك أنْ ترجع إلى ص ١٥٨ - ١٦٠ مِنْ المنجد، وقد ولَّدت كلمة المحاني فِيْ البيت الشّعري.. أسلوباً موسيقياً، ومعنىً يكمل الصورة، ليبرزها مكتملة الضوء والظّلال: -

حين كنا نستلهم الحب شعراً

في ظلال الغرام عند المحاني

قف معي فِيْ إصغاءٍ وتأملٍ لترى روعة المحاني هنا، وقولك ومِنْ الأبياتِ الَّتي يهبط فيها مستوى الشَّاعر قوله 'فتغني الحياة أعذب لحنٍ مِنْ فؤادِ الهوى، وقلب السواق' - لقد وردت يا أستاذ مقالك لفظة سواق - ولا أعرف هل جنت المطبعة على هذه الكلمة، فسببت اضطراب، واختلال الوزن، وجنت على هذا اللحن العذب، الَّذي ينساب بأمواج النهر، فهيَ سر الغرام، وكلمة فؤاد للهوى: تخلق جوّاً شاعرياً محسوساً، فلنتغنى معاً كما وردت سواقي - جمع ساقية - مجرى المياه الَّتي تكثر فِيْ الواحةِ الخضراء (القطيف) وغيرها في واحاتِ الخليجِ الحبيب، وأي لحن أعذب مِنْ لحن يغني الحياة؟!!

ويستمد غناءه مِنْ عنصرينِ 'غرام الطبيعة، ولحن السواقي' لحن الحياة.. وقَدْ اخترنا للهوى فؤاداً – إذْ لولا القلب لمات الغرام – وكلمة فؤاد للهوى، تخلق جوّاً شاعرياً، فنتغنى معاً كما ولدته ربَّةُ الشّعر: -

فتغني الحياة أعذب لحن

من فؤاد الهوى وقلب السواقي

وقولك تظهر المعاضلة فِيْ هذا البيتِ، فترف الحياة فِيْ قلبك المفراح، وحلماً يذوب شوقاً لهيبا، ألا ساعد الله قلبي، وقلب الخليل.. حيث خلقت لنا حرف عطف أضاعت الحلم، وروعة البيت، ولعلَّه سهواً فِيْ الطبعِ، أو مِنْ نقلك من الديوان، فالبيت كما ولد، وسجل في الديوان: -

فترف الحياةُ في قلبك المفراح

حلماً يذوب شوقاً لهيبا

ص ٦١ فِيْ ديوانِ النغم الجريح، ولو نقل كما كان: لكان غير ما كان، وقولك مِنْ الكلمات الَّتي لا تصلح للشِّعر 'مستودع' فِيْ قولهِ: -

منبع اليأس والشقاء عيوني

فعيوني مستودع الآلام

إنَّ مجرد كلمة (مستودع) قَدْ تكون كلمة حرفية جامدة، ولكنَّها أخذت طابعاً حيّاً، حيث صوَّر كاتبُها للآلام مجمعاً يفيض منه، ويوزع على الدُّنيا ألواناً مِنْ تلك الآلامِ، ومستودعها تلك العين المحرومة.. فكانت منطلق الآلام، والشكوى، تصور معي الصورة المجسدة، والمتحرِّكة بالآلام الممضة فِيْ هذا البيت، فاقرأه مرة أخرى: -

منبعُ اليأس والشقاء عيوني

فعيوني مستودعُ الآلام

وقولك مِنْ التَّعبيراتِ (طلقة الأوضاح): -

وطويتُ الشراع أبغي حياةً

غير دنيايَ طلقةُ الأوضاح

وطلقة معناها اللغوي: يختلف عَنْ طليقة، الَّتي قصدها الشَّاعر، والوضوح فِيْ اللُّغة مِنْ البياضِ، وهُوَ صفة.. فهل تجمع هكذا؟.

لا يا أستاذ: لقد أخطأ ظنُّكَ، لَمْ أقصد بطلقة 'طليقة' وإنَّما أقصد بطلقة 'الطلقة' هيَ السخاء.. ويد طليقة: أي سخية، والأوضاح هيَ ضوء الصَّباح، وغرة القمر، الكلمتان هنا يكون معناها سخية الأضواء، وأي معنى أسمى مِنْ سخا النُّور.. وعطائه، وإنَّها تجمع على أوضاح - راجع ص ٤٧٠ مادة طلق، ص ٩٤٠ مادة وضح في المنجد - ولتقرأ البيت بعد أن رسمنا الصورة: -

وطويتُ الشراعَ أبغي حياةً

غيرَ دنيايَ طلقةُ الأوضاح

فهَلْ ترى: كيف وضحت الصورة، وجل المعنى؟ وقَدْ عبَّر الشَّاعر العربي (البحتري): -

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكاً

من الحسن حتى كاد أن يتكلما

أرأيت يا أستاذ الكلمة 'أتاك الرَّبيع الطلق' أي: أتاك الرَّبيع السخي، أمَّا كلمة (جُذى) فلا تحتاج إلى قاموس، لأنَّ البيت يفسرها، إذْ الجُذى: هيَ الحجرةُ الملتهبة، ومفردها جذوة، فعليكَ إذا كنت فِيْ شك في قولي، أن تعد إلى ص ٨٣ مِنْ المنجد، فإذا عرفنا أن الجذى، أو الجذوة لأنَّ الَّذي يستحيل رماداً هُوَ الجمر.. لا غيرها، لنقرأ البيت: -

إذا ما رأيت جُذى الذكرياتَ

رماداً ذرتهُ رياحُ القدر

فإنَّ الرِّيح هيَ الَّتي تذر الرماد مادة حصيلة تتحول عن الجمر، فهَلْ بعد هذا تحتاج إلى قاموس؟

إنَّ لغة العصر: هيَ اللُّغة الجديدة، وجذوة ما أكثر استعمالها، حتَّى أصبحت لغة ابنُ الشَّارع، أمَّا جُذى فقد احتفظت بطابعها

الشِّعري، وقَدْ تكون كلمة جذوة، أو جُذى أحسن وقعاً وجرساً، عندما يوقعها الشَّاعر إلى جنبِ أُختها، لتألف الصورة المزدوجة، وترسم لون الحياة المتوثب، كالشَّباب الطاغي.

وكلمة الغير: لَمْ أفهم معناها فِيْ قولهِ (تفح عليها أفاعي الغيَر) إلاَّ أن يكون قَدْ قصدَ الغيرة، إذْ لا معنى للغيرة هاهنا، إنَّما قصدت بالغير أحداث الزَّمان، فالغير لغة مِنْ معانيها: أحداث الزَّمان، كما أشارت إلى ذلك كتب اللُّغة ص ٥٦٣ – ٥٦٤ مادة غير، ولنقرأ البيت معاً لنتذوق معناه، ونفهمه: –

فلا تشربي خمرها... إنَّها

تفحُ عليها أفاعي الغير

أمَّا مستوفزين بصيغة التثنية، فقَدْ تُثَنى لأنَّها صفة لمثنى، وكانت الكلمة نابية، لا يا أستاذ: على رسلك ... إنَّ كلمة مستوفزين فِيْ البيتِ تعطي وصفاً رائعاً، والمستوفز هُوَ الشيء المرتفع، فتصور معي البيت، وما فيه مِنْ وصفٍ لهذين الرخاميين، وعُد له فِيْ صفحةِ الدِّيوان ص ١٤١ ونقرأه معاً: –

أدغدغُ نهدين مستوفزين

وأجني من الخد أشهى الثمر

وأمَّا صلال، كيف تكون كلمة ميتة؟! وقَدْ تنفست فيها الحياة بمظاهرها، لأنَّ صلال هيَ جمع 'لصل' وهيَ الحيَّة، وتُجمع على أصلل جمع قلة، وصلال جمع كثرة، مثل: جبال، واجبل، ولنُعد إلى البيت ونقرأه: –

وتنفست أشباحها في مقلتي مثل

ما رأيك – فِيْ خيالٍ يُجسِّدُ الشَّبح وينفخ فيه روحاً، حتَّى لتخاله يتنفس، كما تتنفس المخلوقات الحيَّة، إنَّهُ لخيال خصب.

وكذلك قولك: إنَّ الشَّمس لا تتسب إلى نهار، فاسمح لي يا أستاذ أنْ أقولُ لكَ أنَّك واهم فِيْ ذلك، فإنَّ الشَّمس والنهار مقتضيان، ولازم كُلَّما وجد النهار وجدت الشَّمس، وكُلَّما وجدت الشَّمس وجد النهار، وإضافة الشيء إلى نفسه إنَّما هو توضيح، وإيغال فِيْ المعنى، كما تقول: ثوب خزٍ، وخاتم حديد، وعسجد ذهب، إلى غير هذه الكلمات، الَّتي مرَّت علينا فِيْ تراثِ اللُّغة العربيَّة الذَّهبيَّة، ويتضح لكَ البيت، وتكتمل الصُّورة كشريطٍ سينمائيٍّ يؤلِّف بعضه بعضاً: -

والغانيــاتُ يجلــنَ غيــرُ حــواذر

متبرجــات مثــل شــمس نهــار

تصوَّر معنى هذه الصُّورة الناطقة.. بدون تعليق، ولا يفوتنا أنْ نذكر قول الشَّاعر / أبي تمام: -

تريــا نهــاراً مشمســاً قــد زانــه

زهــر الربــا فكأنمــا هــو مقمــرُ

فوصف النهار: بأنَّهُ مشمس مع أنَّ الشَّمس لا توجد بدون نهار، ولا يوجد النهار بدون شمس، أمَّا البيت الَّذي خيل لك مختل الوزن، لعلَّك شدَّدت نونهُ فأوهيت عَظمته، ولو خفَّفتها لاستقام، لنقرأه بدون تشديد: -

لا يغرنَّــك معشــر قدســوا البــوم

وقــالوا فيــه هــزارُ السمــاء

لنتركهُ، ونعرضهُ على الأذن الموسيقيَّة، الَّتي تزن بذوقها الفطري وبإحساسها المرهف، دون أنْ تحتاج إلى أوزان الخليل.. وتقطيعه، فإنَّني لا أؤمنُ بالرُّجوع إلى هذه القواعد، فالذوق هُوَ الحكم، وقَدْ قال شاعر قبلي: -

قـد كـان شـعر الـوراءَ صحيحـا

مـن قبـل أن يُخلـقَ الخليـلُ

هـذه أسـطر، وضحتُ فيهـا مـا خفـي مِـنْ جـانبِ الصُّـورة عليك، لتكون لكَ فكرة واضحة، بدون أصباغ، أو رتوش أقدِّمها للحقيقة، والتَّاريخ راجياً أنْ تقبلها، وأنـا أُؤمِنُ بحرية الفكـر فِـيْ النقد البنَّاء، وأنا أعتقد مِنْ صميمِ قلبـي أنَّ نقدك بنَّـاء، وباعثُهُ الوطنيَّـة، والإخـلاص، والإشـادة بأدبنـا، وتراثنـا فهـذه يراعتـك سلمت مـا برحت، تخط الرِّسوم، وتصوِّر المنـاظر، فهـيَ شـبيهة بعدسة تلتقط كل منظر تمر عليهِ بدون تفريق، أو كالزهـرة تذيـع العطر فينشقه القريب والبعيد.

وقبل أنْ أختـم مقـالي هـذا، إنَّ هـذه الأخطـاء، لَمْ تجئ مِنْك عَنْ قصـد، أو تشهير، فسبحان الَّذي لا يخطئ، كما أحب أنْ أوضح لك هذه الكلمة، فإنَّ وصف الطَّبيعة فِيْ الدِّيوان 'النغم الجريح' كمـا صوَّرتها هي تعني الواحات الخضـراء الممتدة على ضفـاف خليجنـا الحبيب.. لا غيرها، وقَدْ يكون لَمْ ترسم بعينها، إنَّما تُرسمُ الصُّورة العامة، وتبرزهـا فِيْ إطارٍ عـام، تشـاهدها عينيـك علـى الطَّبيعـة، تنطبق اللوحة على ذلك المنظر، هذه بين يدي العاصفة فِيْ الدِّيوانِ، تمثِّل رواية واقعيَّة، ومشاهد فِيْ مناظر نخيل القطيف.

وختامـاً أُبدي لـك تقديـري، لمـا تسـديه لهـذا الوطـن مِـنْ خدمـةٍ، وتجنيد فِـيْ سـبيلِ الأدب، ورفـع هـذه الكلمـة الخضـراء، ولك آيات التقدير، والإجلال.



الشِّعر ديوان الحياة

'دراسة تحليليَّة لقصيدة واحر قلباه'

واحــر قلبــاه ممــن قلبــه شَبـــمُ

ومن بجســمي وحــالي عنــده سقــمُ

مــالي أُكتمُّ حبّــاً قــد بــرى جســدي

وتدعــي حــب سيــف الدولــة الأمــمُ

إن كـــان يجمعنـــا حــب لغرتـــه

فليــت أنّــا بقـــدر الحـــب نقتســـمُ

قــد زرتــه وســيوف الهنــد مغمــدةٌ

وقــد نظــرتُ إليــه والسيـــوف دمُ

فكـــان أحســـن خلـــق الله كلهـــمُ

وكان أحسن ما في الأحسـن الشيـمُ

فــوت العــدو الــذي يممتــهُ ظفــراً

في طيــه أســـفٌ في طيـــه نعـــمُ

قـــد نـــاب عنــك شــديدُ الخـــوف

لــك المهابــةُ مـــالا تصنـــع البُهـــمُ

ألزمــتَ نفســك شــيئاً ليــس يلزمهــا

أن لا يواريهـــــمُ أرضٌ ولا علـــــمُ

أكلمــا رمــت جيشــاً فانثنـــى هربــاً

تصرفـــت بـــك في آثـــاره الهمـــمُ

عليـــك هزمهـــمُ في كـــل معتـــرك

ومــا عليــك بهــم عـــارٌ إذا انهزمـــوا

أمـا تـرى ظفـراً حلـواً سـوى ظفـر

تصـافحت فيـه بيـض الهنـد واللمـم

يـا أعـدل النـاس إلا في معاملتـي

فيك الخصام وأنت الخصم والحكم

أعيدهـا نظـرات منـك صادقـةً

أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

ومـا انتفـاع أخـي الدنيـا بناظـره

إذا اسـتوت عنـده الأنـوار والظلـم

أنـا الـذي نظـر الأعمـى إلـى أدبـي

وأسمعـت كلمـاتي مـن بـه صمـم

إنَّ الشِّعـرَ: هُوَ الَّذي يصور أسـرار الحياة، وما فيها مِـنْ ابتسامات، أو دموعٍ، ويضمد جراح المجتمع، ويشعل المصباح فِيْ عتمةِ الظُّلمة، ليسير عَلَى ضوئه أجيال، وأجيال، وقديم قيل: إنَّ الشِّعرَ ديوان العرب، أمَّا أنا فأُخالف هـذه المقولـة، وأقـول إنَّ الشِّعرَ ديوان الإنسانيَّة، لما فيه مِنْ ألوانٍ، وصورٍ، وحكمٍ تجسِّد الحياة بكل مظاهرها، هذا هُوَ الشِّعرَ.

وبين أيدينا قصيدة لشاعر عملاق، هُوَ شاعر الحياة / أبو الطيب المتنبـي، وأنـا أقـف أمـام هـذا الشَّـاعر العمـلاق، وقفـة المتحير مِنْ نصوصِ هذا الشَّاعـر، الَّذي يجسـد أسـرار الحيـاة، وبدوري أُخترتُ قصيـدة كتبهـا المتنبـي شاعرنـا الكبـير، عتاباً لسيـف الدولـة الأميـر العربـي، الَّـذي ظفـرت يـداه بـالفتوح، وهزيمـة الصليبيين، فنأخـذ مِنْ هـذا النـص خمسـة عشـر بيتـاً، لنتفاعل معه.. لعلَّه يتسـع هـذا البحـث لتحليلها، وشـرح ما فيها

مِنْ صور، وبلاغة، وما ينطوي على حروفها مِنْ عتاب، ولكنَّه لا يشبه عتاب النَّاس، إنَّما هُوَ عتاب مِنْ شاعرٍ دخلَ القلوب بلا استئذان، لأميرٍ مرهف الحس.. ذوَّاق للأدب، شاعر يُقيِّمُ الشِّعر، ويزنهُ بموازين الفكرة الدقيقة، الَّتي تميِّز بين الفحم، والجوهر.

وهذه المحاضرةُ التوجيهية ستُلقى عَلَى مدرجِ الجامعة، لطلابٍ يتطلعون إلى حياةٍ فكرية، ودراسةٍ عميقة.

فإذن.. فلنبدأ بالمقطع الأوَّل، فنتحدث عَنْ مضامينه فِيْ دراسةٍ ضوئيَّة، ونسلط عليهِ أنوار التَّحليل: -

واحر قلباه ممن قلبه شَبَمُ
ومن بجسمي وحالي عنده سقمُ

مالي أُكتمُّ حبَّاً قد برى جسدي
وتدعي حب سيف الدولة الأممُ

إن كان يجمعنا حب لغرته
فليت أنَّا بقدر الحب نقتسمُ

قد زرته وسيوف الهند مغمدةٌ
وقد نظرتُ إليه والسيوف دمُ

فكان أحسن خلق الله كلهمُ
وكان أحسن ما في الأحسن الشيمُ

افتتح المتنبي قصيدته هذه بعتابٍ أليم، أو بالأحرى، شكوى مريرة أمرَّ مِنَ الصَّبرِ ((واحر قلباه)) إنَّها كلمات تكاد تذيب القلوب، أي أنَّني أتعجب مِنْ قلبٍ يحترق فِيْ شجونهِ وحبهِ، إلى قلبٍ مثلجٍ بارد، لا يشاركه إحساسه، ولا يحس بلهيب فؤادٍ محترقٍ جوىً، أو أنَّهُ لا يعطف، ولا يرحم ذلك الجسم السقيم

المهزوز، وحياته مشدودةٌ، ومرهونةٌ عِنْدَ ذلك القلب، وكأنَّ هناك متسائل - فيجيب المتنبي - ويقيم الدليل الحسي على ما يدَّعيه مِنْ عتابهِ المرّ لحبيبه الأمير، فيقول: -

مالي أكتم حبّاً قد برى جسدي

وتدعي حب سيف الدولة الأممُ

إنَّهُ صورة مِنْ صور الشَّكوى المرَّة، الَّتي يشكو منها الحبيب إلى حبيبه، إنَّني كُلَّما أردت أنْ أخفي هذا الحب لك أيُّها الأمير، ولكنَّ هذا الحب يغالبني.. ويطغى عَلَيَّ، حتَّى تمشَّى فِيْ ذرات جسمي فبراه، ونحله، وحوَّلَهُ إلى جسمٍ نضوٍ، فهُوَ برهان صادق، تقرأهُ فِيْ أسرارِ وجهي، وخطوطِ جبيني.

أمَّا الآخرون مِنْ الأممِ، فهم يدَّعون حبك ادِّعاءً، وليس عَنْ ولاءِ قَلْبٍ، إنَّما لارتباطها بنعيم ظلك الأميري، فلا يكون حُبّاً للحب، لا يُقاسُ بحُبٍّ تُجاريٍ بحت، لحُبٍّ ينبع مِنْ فؤادٍ مفعم بالصدق، عشق فيك الفضائل حتَّى تغلغل فِيْ قلبي، فنحل جسدي، وبرغم ما أُحاول كتمانهُ فهوَ كالزَّهر: يذيع عطره، وهذه صورة رائعة مِنْ التَّعبيرِ، والأداء الفنِّي.. حيثُ تصور ما يحمله شاعرنا الكبير العملاق مِنْ صورةٍ لهذا الأمير.. الأديب الكبير.

ويُعقِّبُ شاعرنا العملاق متنازلاً، ويشرح الصِّلة الَّتي تربط بين فكرهِ وفكر سيف الدولة.. الأديب الكبير، فيقول:

إن كان يجمعنا حب لغرته

فليت أناً بقدر الحب نقتسم

تأمَّلوا معي، وقفوا لحظة لنُردِّد هذا البيت، ونشرح ما فيهِ مِنْ صورٍ حيَّةٍ متحرِّكة، تكادُ تنطق بما فيها مِنْ بوحِ شوقٍ، ولهفةٍ: كلهفة العاشق إلى معشوقهِ.

أيُّها الأمير، أو يا سيف الدولة، إنَّني لو قلت: أنَّ قلبي وقلبك ربطهما، أو جمعهما حبٌّ واحدٌ، يمدهما ضوءٌ مِنْ تقاسيمِ غرتك النَّاصعة، الَّتي تشبه ضياء الشَّمس، فهَلْ تسمح لي أنْ نتقاسم الحُب.. فتحبني بمثل ما أُحبك به!!!

وهذه أُمنيةٌ لا تفيض، إلاَّ مِنْ قلبِ صادقٍ قَدْ اكتوى بألم الحب، وإنَّ تصويرها فِيْ هذا البيت، مِنْ البلاغةِ الرَّائعة فِيْ القمَّة، ولا ينسى المتنبي ما رآه، وما حُظِيَ بهِ مِنْ الأمير العربي فِيْ تَقريبهِ له، ورفع مكانتهِ، وتصديره فِيْ مجالسهِ الفكريَّة، والعلميَّة، والأدبيَّة، وفِيْ السِّلمِ، والحربِ.

فهذه الظَّاهرة التَّجريبيَّة، الَّتي مرَّ بها المتنبي مع هذا الأمير الطَّموح، صوَّر حياة السِّلمِ، والحربِ فِيْ بيتٍ واحدٍ:

قد زرته وسيوف الهند مغمدةٌ

وقد نظرت إليه والسيوف دمُ

تأمَّلوا لهذه الصُّورة، وهذا الشَّريط السِّينمائي المتحرِّك: قَدْ زار المتنبي سيف الدولة زيارتين، حسب الصورة الشَّاعريَّة المتحرِّكة 'زيارةً فِيْ السِّلمِ.. والسيوف فِيْ أغمادِها، وزيارةً فِيْ الحربِ.. والسيوف تقطر بالدِّمَاء'.

وهذه الصورة الَّتي تهز مظاهر الحياة: هيَ تعبيرٌ رائعٌ، ولفتة مِنْ لفتاتِ العبقريَّة، الَّتي لا تخضع للحياة الماديَّة، وواقع صورة هذا البيت: أنَّ المتنبي صوَّرَ حياتين متناقضتين 'سلماً وحرباً' فِيْ بيتٍ واحد، إنَّما هُوَ يُشيرُ إلى هدف بعيد المرمى، ويعبر فِيْ حرفٍ متحرِّك يجسِّدُ دُنيا مِنْ سلمٍ، وأخرى مِنْ نضالٍ، يرسمهما فِيْ رسمةٍ واحدةٍ، عاشها فِيْ ظلِّ سيف الدولة.

وهنا يثب الخيال، فيصور مشهداً مروعاً، فقَدْ نظرت إليهِ والسيوف دمُ.. ما هذه النَّظرات؟ هيَ نظراتُ شاعرٍ نفذت إلى ما وراءِ الماديات، والمحسوسات، إلى عالمِ الرُّوحِ، والفكر.

لقَدْ وازن المتنبي بين نظرتين لسيف الدولة 'نظرة السلم، ونظرة الحرب' فوجدهُ بطل السلم، وبطل الحرب.

ما أغرب هذه الصُّورة! وأعظمها! إنَّها صورةٌ تتجسَّدُ بين يديك، أو كأنَّك تُطلُّ عليها مِنْ وراءِ القُّرون، وتعيشها بين الصُّفوف.

إنَّ الشَّاعر العبقري: هُوَ الَّذي يجسِّدُ الصُّورة أمام عينيك متحركة، كأنَّك تعيشُها عندما تقرأها فكرة فِيْ قصيدته، وأي عبقري يُجاري هذا العبقري العملاق، الَّذي يُخيِّلُ لكَ، كأنَّ أُم الدَّهر عقمت أن تلد مثله، برغم الفاصل الزَّمني السَّحيق، الَّذي يفصل بيننا وبينه، فِيْ مديد العصور.

وبدأ المتنبي يبوح بسرٍ مغلف فِيْ قلبهِ، تجاه سيف الدولة:

فكان أحسن خلق الله كلهم

وكان أحسن ما في الأحسن الشيم

وينعطف الشَّاعر فِيْ أسلوبهِ الأدائي الفنِّي، فِيْ عاطفة تُرضي طموح أميره، وتستلُّ درن ما علق بقلبهِ فِيْ عتاب مُرٍّ، فحتَّى يفرخ روعه، ويهدأ باله مِنْ شكوى مفتوحةٍ، رفعها الشَّاعر فِيْ هذه القصيدة.

إنَّ هذا الأمير بما تجسَّدت فيه، مِنْ مميزات فكريَّة أدبيَّة، وبطولة فِيْ الحروبِ، وحكمة بعيدة النَّظرات، فهُوَ عند الشَّاعر أحسن النَّاس، وأحسن ما فيهِ هيَ الأخلاق، الَّتي ترفع المرء إلى القمَّةِ، لأنَّ المرء بغير الأخلاق.. يهبط إلى السفحِ، وبالتالي كل

امرئٍ لا أخلاق له، لا حياة له، وهذه الصُّورة في تعبيرها، ووصفِها، رائعة مِنْ أروعِ الوصف، والبيان.

ولنطوي دراستنا عَنْ المقطع الأوَّل، لنبدأ بدراسة المقطع الثَّاني لهذه القصيدة، الَّذي أردنا أنْ نكتب عنها للدِّراسة، والتَّحليل:

فوتُ العدو الذي يممتَّهُ ظَفَراً
في طيه أسف في طيه نعَمُ

قد ناب عنك شديدُ الخوف
لك المهابةُ مالا تصنعُ البُهمُ

ألزمت نفسك شيئاً ليس يلزمها
أن لا يواريهمُ أرض ولا علمُ

أكلما رمتَ جيشاً فانثنى هرباً
تصرفت بك في آثاره الهممُ

عليك هزمهم في كل معترك
وما عليك بهم عارٌ إذا انهزموا

أما ترى ظفراً حلواً سوى ظفر
تصافحت فيه بيض الهند واللممُ

وبعد أنْ يعلن الشَّاعر دموع شكواه، يتجه إلى وصفِ الأميرِ المحبوبِ، وأخلاقه الرَّفيعة، فأخذَ يصور المعارك الَّتي تجللها شخصية سيف الدولة مِنْ بطولة، وشجاعة، فيضرب فيها أمثلةً رائعة، تكون آفاق تمد الشِّعر العربي بألوانٍ مِنْ الصورِ، والزخم فيحلق فِيْ أجوائها عباقرة الشِّعر، كالمتنبي: الَّذي يطير بجناحين قويين، ورئتين يستطيع التنفس بهما فِيْ ذلك الجو.

فهُوَ فِيْ هذه المعارك كان وصَّافاً، ومصوراً بارعاً، وصف المعارك، والحروب فِيْ صور بليغة، الَّتي قليل مِنْ الشُّعراء ترسم ريشتهم هذه المناظر النضاليَّة، المحفوفة بالأخطار.

ولنبدأ بالمقطع الثَّاني، ونقف أمام كل سيمفونيَّة لحظات، وندخل إلى الأعماق، حتَّى نصل مع المتنبي إلى رهج الحرب، وبريق السيوف، ولمعان الرماح، لنشهد.. كيف يصور الشَّاعر البليغ ما يمر عليه كعدسة المصور عندما تلتقط الصور، والمناظر؟ تصوروا معي هذا البيت، تشاهدون فيه مِنْ الصورِ الغريبةِ، والعجيبة.. الَّتي جمع فيها الشَّاعر الضدين، وما فيها مِنْ خيالٍ، وروعة، وبيانٍ.

إنَّ العدو الَّذي يهرب مِنْ بين يديك، لقَدْ أصبح منتصراً ظافراً، حيث أفلت مِنْ سيفك البتَّار، هل عرفتم وعلمتم: متى كانت الهزيمة ظفراً؟

هكذا.. عبَّر المتنبي، وجعلها أمراً واقعيّاً فِيْ روعةٍ وبلاغة، فإفلاتهم مِنْ سيوفك يا سيف الدولة، هيَ الَّتي أعطت الأعداءَ الفرار مِنْ مواجهة الزَّحف، فكان هذا الفرار ظفراً، ونصراً لأعدائِك، حيث فروا خوفاً منك كالريح، أو أسرع منها إلى شاطئ النجاة، أبلغ الظفر فِيْ طعمِ الهزيمة المريرة، ولكنَّ هذا الفرار عندك فِيْ طيِّهِ أسف منْكَ، حيثُ فروا، ولَمْ تظفر بإبادتهم، فتريح الحياة منهم.

ثُمَّ يلتفت الشَّاعر إلى هذه الظَّاهرة النَّفسيَّة، الَّتي يراها العدو فِيْ الفرار.. ظفراً، فيجيبهم: إنَّ فراركم إنْ كنتم ترونهُ مطوياً على نعمٍ فإنَّهُ هربٌ مِنْ شفراتِ السيوفِ، فهذا الهروب مطويٌ على نعمٍ لك، حيثُ حزت النَّصر بهروبهم، ووليتهم الدبر

بدون استعمالك سلاحك، فِيْ معركةٍ تعرضُ فيها جيشك للقتل، والقتال.

هَلْ رأيتم رسَّاماً يؤلِّف، ويرسم خطوط هذه المشاهدة مع هذه المناظر المتباينة، فِيْ صورةٍ مؤطَّرة.. مجموعة فِيْ ظلالٍ واحدةٍ؟؟ غير أنَّها: العبقرية.. الَّتي لا تقف عند أفقٍ مِنْ الآفاقِ الفكريةِ، ولا توصف بتعريف مِنْ التَّعاريفِ، ولا تحدد بألفاظٍ، أو بمعانٍ.

ويكمل الشَّاعر الروعة البيانيَّة، فيعطي لسيف الدولة: بطولة متحرِّكة، وشجاعة مُزمجرة، كزمجرة الأسود، إنَّ هذه الشَّجاعة خلقت له قوة عنيفة مِنْ الخوفِ، تنوب عنهُ فِيْ ميدانِ المعركة.. ما لا تصنعه السُّيوف وتعجز عنهُ الأبطال، إنَّ هذا إغراق فِيْ التَّصويرِ يصلُ إلى ذروته.

فشخصيتُك الرَّكيزةُ: الَّتي ترتكزُ عليها هذه الإمارة، وهذه النفس الَّتي جرَّدت منْكَ بطولات، وصنعت لكَ مهابةً لا تستطيع الأبطال، ولا الشُّجعان المدججينَ بالسِّلاح، والدروع.. أنْ يضعوها لك.

تأمَّلوا معي هذه الصُّورة الرَّائعة، لترون عظمة التَّعبير، والتَّعامل النصي.. كيف أوجدت هنا بطلاً، وجسَّدت له مهابة لا يكاد يصورها غير فكر عبقري؟!!! حيثُ تُغني صاحبها، وتصنع له ما تعجز عنهُ الأبطال والسُّيوف.

ولا يكتفي المتنبي بهذه الصُّورة، الَّتي تعاملت تعاملاً بيانيّاً فِيْ نصوصٍ مِنْ نصوص التَّعبير الفنِّي، الَّتي أوجدت لسيف الدولة الشَّخصية البطوليَّة، الَّتي هيَ ليست للأبطال، إنَّما هيَ شخصية تمتد مِنْ واقعِ شجاعةٍ غريبةٍ فريدة.

ما هذه الصُّورة الشِّعريَّة الرَّائعة؟ وما هذه الشَّخصية الَّتي ألزمت نفسها، وفرضت على روحها أمر غير لازم لها؟

ولكنَّ البطولة، والشَّجاعة: هما اللتان ألزمتا هذه النَّفس أمراً ليست مسؤولة عنه، ولا ملزمة بهما، لقَدْ وضعت عدوك فِيْ خندقٍ محصورٍ بين اثنتين 'الموت أو الهروب' لأنَّ الأسوار، أو الجبال لا تحصنهم، ولا تحميهم مِنْ الموت.

إنَّ هذهِ الصُّورة مِنْ الصورِ الغريبة، الَّتي لا تمر فِيْ حرفِ البلاغة إلا على ندرة، وتشبه هذه الصُّورة الرَّائعة الوصف للمتنبي، كوصف بعض الأدباء فِيْ تعريفِ المتنبي، فِيْ جملةِ أحرفِها خالدة كخلوده:

'جاء فملأ الدُّنيا، وشغل النَّاس'

وتصورا معي ظلال هذه الصُّورة، وألوانها تكتمل وتتجسد:

أكلما رمت جيشاً فانثنى هرباً

تصرفت بك في آثاره الهمم

عليك هزمهم في كل معترك

وما عليك بهم عارٌ إذا انهزموا

تأمَّلوا معي إلى ما يكمل الصُّورة السابقة، حتَّى تلمسوا الحياة تتحرك، وتتجسَّد فِيْ هذه الأحرف، وكأنَّنا نعيش فِيْ معسكرٍ مِنْ المضاربِ، الَّتي يصورها المتنبي مع سيف الدولة، وهذا التَّصوير فِيْ تعبيرٍ سهلٍ ممتنع، إنَّ سيف الدولة كلما قصد جيش فِيْ حروبهِ، ولى الجيش مهرولاً على عقبيه، والظَّاهرة الرَّائعة هيَ: حكمة الأمير فِيْ إدارةِ المعارك وانتصاراته.

ثُمَّ يختم الصُّورة بزخم.. لا زخم مثله، إنَّ عليك إيقاع الهزيمة بهم، وما عليك مِنْ عارٍ إذا انهزموا.

أتعجبون مِنْ هـذا التَّصويـر الشَّاعـري البليـغ!! فـالمتنبي رسَّامٌ، وشـاعرٌ، ووصَّـافٌ، وحكيـمٌ أتخـذَ لـهُ عرشـاً فِـيْ قلـوبِ الجماهيرِ، وعاش معهم يشاركهم ضروبِ العيش، ويتنفس معهم فِيْ الأجـواءِ بفكـرهِ.. لا بجسـمهِ، فإنَّ هيكلـه المادي قَدْ انطـوى وراء التُّراب، منـذ مئـات السِّنين، ولكـنَّ فكـرَهُ حـيٌّ.. لا يـزال يتجدد كتجـدد ضوء الفجـر، بعد أن سجل خواطـره، أو خـواطر أرواحِ البشريَّة فِيْ أمثلة سيَّارةٍ، ولسهولتها ووضوحها.. لَمْ تقـف فِيْ محيطِ الأدبِ، والأُدباءِ، بل تجري عَلَى ألسنِ رعاع النَّاس.

وشاعرنا العمـلاق، يأخذ فِـيْ تصويـرِ ملحمتـهِ، فيبرعُ فِـيْ تجسـيده، وتصويره، إلـى حياة هـذا الأمـير العربـي فِيْ معاركِـه، بـالرَّغم أنَّ القصيـدة، كـانت شـكوى وعتـاب، ولكـنَّ الشَّـاعر بمـا تنطبق عليه كلمة شاعر بصفتهِ، ووصَّاف معارك، وحكيم لَـمْ تفتـهُ نشوةَ الظَّفر، والنَّصر.

تأمَّلوا معي: إلى هذه الصورة الَّتي يستفهم عنها استفهاماً تقريرياً:

أمـا تـرى ظفـراً حلـواً سـوى ظفـر
تصـافحت فيـه بيـض الهنـد واللمـم

يـا أعـدل النـاس إلا في معاملتــي
فيك الخصام وأنت الخصم والحكـم

أعيذهــا نظــرات منــك صادقــةً
أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

ومـا انتفـاع أخـي الدنيـا بناظــره
إذا اسـتوت عنـده الأنـوار والظلــم

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي

وأسمعت كلماتي من به صمم

إنَّهُ يصور حلاوة نشوة الظَّفر، إنَّ ظفر الأبطالِ فِيْ الحروبِ، له صور متعددة المعاني، والآفاق.. حتَّى يدل بعض الأبطال على قوادهم وأُمرائهم، فيخشون أنْ يأخذهم هذا الزهو، إلى ما لا يحمد عقباه، فيبعدونهم عَنْ مناصبهم، ولكنَّ الأمير سيف الدولة لا تنطبق عليهِ هذه المقولة، حيثُ هُوَ القائدِ العسكري، والمدني، والسِّياسي.

فوصف المتنبي له: كان يعرف مِنْ أين تأُكل الكتف، وكيف يتسلل لقلبه، تسلل الضوء مِنْ الكوَّة؟ فيعبِّرُ له عَنْ ظفرهِ بمصافحةِ شفراتهِ باللمم.. أي مصافحة الموت لهذه الأبطال الَّذين جاءوا يحاربونهُ، فكانت مصافحته لهم 'الظفر بهم'.

وبعد هذا البيت: ينتهي شاعرنا العملاق مِنْ وصفِ الظفر الحلو، والنَّصر.. والصُّورة الَّتي تجلَّت فِيْ ميادينِ المعركة.. ليتخلص ويصل إلى عتابه المر 'عتاب الندِّ للند' وشكوى مأساويَّة حزينة، تبطن حروفها الملتهبة الصارخة، فيصيغها فِيْ مدحٍ، ونقد لاذعٍ، وأسلوب فنيٍّ يسكبها قلبهُ جراحاً تبطِّن هذه الكلمات 'يا أعدل النَّاس إلا فِيْ مخاصمتي معك، ولكن ماذا أقول.. وكل شيء فِيْ يدك.. فأنت الخصم، والحكم'.

فالعتاب بلغ حده فِيْ صيغةِ شكوى مريرة، مدلة بمقام الشَّاعر لدى سيف الدولة، وتشير إلى خصومهِ الأقزام فِيْ رأي الَّذين يخلقون أجواءً مِنْ الوشايات بينهُ وبين سيف الدولة، وأشركةً مِنْ الاصطيادات، ليوقعون فيها المتنبي، ويذهبُ ضحيتها، ولَمْ تفته هذه الأشباك فهُوَ يشير لها، ويحذر أميره مِنْ

هؤلاءِ أنْ يغتر بهم، فلا تظن أنَّ هذهِ النَّظرات الَّتي تفاجئك: هيَ نظراتٌ صحيحةٌ، تشفُّ عَنْ صحةِ آراءٍ ومعتقدات، إنَّما هيَ نظرات أنفُسٍ مريضة، تعيشُ فِيْ مستنقعاتٍ نفسيةٍ، وأمراضٍ اجتماعيَّة حركتها الغَيرةُ.. والحسدُ.

فعليكَ بعقلك البصير النَّافذ: أنْ تفرق بين النَّظرات السليمة، وبين النَّظرات الَّتي هيَ غير سليمة فِيْ مظهرِ الشحم، والورم، وبين الظلمة، والنُّور.. فهما لا يتساويان إلاَّ عِنْدَ مَنْ فقد عقلهُ، أو فقد بصرهُ، فهنا يستوي الشحم، والورم، والنُّور، والظلام، والحياة، والموت، إنَّها مِنْ الصور الرَّائعة الَّتي لا توجد فِيْ ديوانِ شعرنا العربي إلاَّ على قلة.

ويختم هذه الرسمة: بخاتمة كُلّها زخمٍ، فهُوَ الَّذي عرف الأعمى أدبه فكيف لا يهتدي له المبصرون!! وإنَّ كلماتهُ أسمعت الأصم فكيف بالسامعين، هل أنتم معي تعيشون فِيْ هذا الجوِّ، لتشهدون.. كيف حلَّقَ الشَّاعر العملاق فِيْ تيهٍ وزهوٍ وفخرٍ، تسف عَنْ سمائهِ الطُّيورِ الأُخرى؟

فالمتنبي: هُوَ شاعر الحكمة.. شاعر الحياة.. ربُّ المجد.. ورب البلاغة.. وربُّ المعاني الدقاقِ.

هذه لمحةٌ تحليليَّة، أدرتُها على مقطعينِ مِنْ خواطرِ هذا الشَّاعر العملاق مِنْ قصيدتهِ 'واحر قلباه' وهيَ مِنْ قصائدهِ الجيدات.. العصماوات وهُنَّ كثيرات فِيْ ديوانه.

ولعلِّي قَدْ أعطيت القارئ المتتبع، والعاشق لهذا الشَّاعر، بعض الظل لهذه الصور فِيْ دراسةٍ مقتضبةٍ، فُرضت عليَّ مِنْ بعضِ أبنائي لتقديمها كبحثٍ جامعيٍّ.

معاني مفردات الأبيات

١- الشبم: البارد؛ والشبم: البرد؛ وقد شبم الماء بالكسر: فهو شبم.

٢- أُكتم: مبالغة في الكتمان أي أخفي إخفاء شديداً.

٣- برى جسدي: أنحله وأضنى.

٤- الغرة: الطلعة.

٥- مغمدة: مستقرة في قرابها.. يعني بهذا في حالة السلم.

٦- السيوف دم: أي مخضبة بالدم.

٧- الشيم: جمع شيمة وهي الخلق والخليقة.

٨- يممته: أي قصدته، والأسف: الحزن.

٩- البهم: الأبطال الذين تناهت شجاعتهم، ويقال للجيش بهم.

١٠- المهابة: شدة الفزع.

١١- يواريهم: يسترهم ويكنهم والعلم الجبل.

١٢- رمت: طلبت، وأنثني: أرتد.

١٣- المعترك: ملتقى الحرب.

١٤- اللمم: جمع لمه وهي الشّعر إذا ألمَّ بالمنكب.

"نظرات"

بحثٌ يدور حول الحلقة الثَّانية

(النثر المعاصر في شرق الجزيرة)

'نشر في جريدة اليوم عدد ٦٥٣ بتاريخ ١٣٩٢/٧/٨هـ'



تعودُ بي هذهِ الخاطرة القهقرى، إلى ما قبل عام ١٣٩٢هـ إلى زمنٍ قريبٍ بعيد، حينما أهداني الدكتور / عبد الله المبارك، أُطروحته الحلقةً الثَّانية "النثر المعاصر فِيْ شرقِ الجزيرة" ووقعت عيني عليه، فولَّدت فِيْ سماءِ فكرِي تلك الخاطرة، الَّتي تجول بذهني، مرور الطيف السَّعيد، ولكنَّه فِيْ يقظةٍ، وصحوةٍ مِنْ الفكر، ومرَّ العام كظلٍ ثقيلٍ، أو خفيفٍ، وعلى صفحاتهِ صور مِنْ الأفراح، والأعياد.. صور لموتى، ومأتمٍ، وحياةٍ لعرسٍ، وهكذا سُنَّة الحياة، ولن تجد لسنة الله تبديلا.

مرَّ العام، وأنا كُلِّي أمان، وشوقٌ، ولهفةٌ، أتطلع مِنْ كوى الأيَّامِ إلى إشراقةِ الحلقة الأُولى، وخلال الحرف الأخضر النَّابض، الَّذي تتدفق فيهِ الحياةِ بعنف.

هَلْ أنجزت المطابع الحلقة الأُولى للدكتور، الَّتي تعالج الشِّعر المعاصر، وحاز عليها الدكتور - شهادة الماجستير - الَّتي كانت سلماً للدكتوراه؟!

ففتشتُ عنها صفحات الحياة، لأُشاهد انطلاقها مِنْ القمقمِ بعد كسرِها لهُ، وللرفوف الَّتي تحبسها عَنْ رؤيةِ النُّورِ، فتُصبح، وتُمسي، وهيَ تدورُ على سطحِ هذا الكوكب، تحت أشعةِ الشَّمس، فتُغذي الأفكار بأبحاثِها، وأشعارها، لأنَّ الشِّعر "ديوان الفكر" ومرآة الحياة الَّتي تنعكس على أشعتِها خلجات القلوب، ورمزات العيون، وأنفاس الأرواح الباسمة، والحزينة الباكيَّة، والحنونة، والقاسيَّة.

ولستُ هنا أُريد أنْ أكتب عَنْ الحلقةِ.. الَّتي أشرتُ لها،

وتطلعنا إلى ميلادها، وقَدْ ولدت، وأخذت مكانها الطبيعي، غير أنَّها جملةٌ اعتراضيَّةٌ، هبطت علينا بدون استئذان.

فأعودُ إلى الخاطرة، والخاطرة بنت السَّانحة، والسَّانحة إذا مرَّت، أو إذا ولدت.. قَدْ تموت، وقَدْ تُعَمَّرُ أعواماً، وقَدْ يُقدَّر لها الخلود.. وأي خلودٍ أكبر مِنْ الفكرِ.

فالفكر هُوَ: جوهر، وفيض مِنْ مُبدعِ السَّماواتِ، والأرضِ، ولولا الفكر، لكان الحيوان أدنى شرفاً مِنْ الإنسان، كما عبَّر شاعر العربيَّة الأكبر، مصور خلجات الإنسانيَّة / أبو مُحسَّد

لولا العقول لكان أدنى ضيغم

أدنى إلى شرف من الإنسان

فالسَّانحة بنت الفكرة، والفكرة شحنات طاقات، يولدها العقل حرفاً يمد الحياة بالصور، والألوان.. حتَّى قال بعضهم: -

تبث سوانحها الخاطرات

وإنَّ السوانح بنتُ الفكرْ[1]

إذا كانت السَّانحة وليدة الخاطرة، والخاطرة بنت الفكرة، فكان لزام علينا تقديس الفكر، الَّذي غلَّفهُ هذا الحرف، ورسم بهِ 'أي الحرفْ' ألوان الحياة، لأنَّ كل ما هُوَ فِيْ الحياةِ، هُوَ فِيْ صفحاتِ الكتبِ.

كانت هذه الخاطرة - كما أسلفت - تعودُ بي القهقرى إلى ما قبل عام ١٣٩٢هـ، ولعلَّ مِنْ الخيرِ أنْ ألمَّ.. ولو إلمامةٍ قصيرة، بكتاب الدُّكتور 'الحلقة الثَّانية' الَّتي تبحث ((أدب النثرِ المعاصر فِيْ شرقِ الجزيرةِ العربيَّة)) ولو إلمامة المشتاق إلى مشوقهِ، إلمامةً تحدد الخطوط، وترسم معالم الصورة، حتَّى تكتملا، وتكون فِيْ

---

(١) هذا البيت من كاتب المقال من قصيدة البدر الحائر المنشورة في ديوان شمسٌ بلا افق.

إطارِ تجسِّدُ الفكرة، إنْ لم نصل إلى أعماقِ الرُّوحِ، فلعلَّنا نشير إشارةً بعيدة، كإيماءة الشَّاطئ.

إنَّ هذه الحلقة، لا شكَّ.. بل أكبر الظن، هيَ أوَّل كتابٍ صدر لدكتور سعودي، عالج فيهِ الحياة الفكريَّة، ورسم بكلماتهِ الصُّورة، ونحنُ نتحدث عَنْ كتابِ الدُّكتور / عبد الله المبارك، لا ننسى الجُهد الَّذي قام بهِ الأستاذ / عبد الرَّحمن العُبيد، حيثُ وضعَ اللُّبنةَ، وأسس قواعدَ الهيكلِ الأدبي فِيْ الخليجِ العربي.

لَمْ يكن فِيْ قصدي، أنْ أُشير إلى هذا الأديب، الَّذي قام مشكوراً بتسجيل حياةٍ مِنْ فكرِ وطنه، ولكنَّه جاء عَنْ طريقِ العرض، حيثُ أنَّ الفكرَ حلقاتٌ.. أي جزء يكمل الآخر، ويحمل المصباح ليُنير للأجيالِ فِيْ دروبِ الحياة الطويلة، المترامية الحدود، ويعرفنا بحياة الأجداد، وحضارتهم.

لا أُريدُ أنْ اضرب فِيْ متاهاتِ التَّاريخِ، وإلاَّ تعبنا مِنْ الرحلة، ولَمْ نعُد بسرعة إلى البحثِ المطلوب، الَّذي ولدت مِنْ أجلهِ هذه الخاطرة، وإنْ كُنَّا نعيشُ فِيْ عصرِ السرعة، عصر الأقمار الصِّناعيَّة والذرة، عصر السرعة بكل ما يحمل هذا الحرف مِنْ معنى، وهناك كتاب 'ساحل الذهب الأسود' للأُستاذ / محمَّد سعيد المسلم، الَّذي رسم صورة لحياةِ أدب القطيف، وأبرز رسمة الضوء.. دون الظل.

غير أنَّ خاطرتنا تركزت، وجاءت إدارتها على حلقةِ أدب النثرِ المعاصر فِيْ شرقِ الجزيرةِ العربيَّة، فهذه الحلقة أدارها صاحبها الدُّكتور على فصولٍ تركزت، وبُنيت قواعدها على عناصرَ فنيَّة، وأسلوب حديث متطور يواكبُ النهضة فِيْ فكرها الجديد، وأسلوبها الأدبي المُترف، وقَدْ رسمَ الدُّكتور دور شرقِ

الجزيرة، وأثرهُ الحضاري فِيْ الفكرِ الأدبي ما قبل الإسلام، وما بعده، ودوره الملاحي، حينما كانت القلاع تمخر فِيْ الدأماء، كحمائمَ بيض تحت أشعة الشَّمس الذَّهبيَّة.

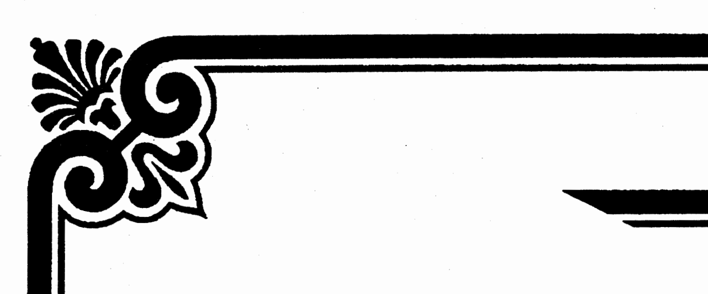
وبيَّنَ الدُّكتور فِيْ فصوله: تطور الأُسلوب الكتابي، وأثر شرقِ الجزيرةِ فِيْ هذا التَّطورِ، ودور النثر الفني فِيْ العصر الجاهلي، وفِيْ عصرِ الإسلام، وما قبل النَّهضة الحديثة، وفِيْ تاريخِ فجر النَّهضةِ، حين تطور الأسلوب تطوراً فنيّاً، حيثُ كان عهدنا بالتَّرجمة 'ولد فلان، وعاش مِنْ العُمرِ ثُمَّ ماتَ فِيْ سنِ كذا وعام كذا'.

أمَّا التَّرجمة اليوم: لا تكتفي بمفهوم الميلاد والموت، إنَّما ترسم للأديب، أو الكاتب، أو الشَّاعر، أو بعبارةٍ أصح للمُتَرجم، حياة كاملة الظِّلال والصور، تجسِّد تلك الحياة فِيْ إطارها العام، وترسم المزايا الخاصة بتلك الحياة، حتَّى يخيَّل لكَ كأنَّكَ تعيش مع ذلك المُترجم على صعيدِ الفترة الزَّمنيَّة فِيْ الحقبةِ، الَّتي مرَّ بها كالطيف بصفحات الخريف، وهذا ما يتميز بهِ أسلوب الحديث، ولَمْ تفت الدُّكتور: هذه الظَّاهرة الفنيَّة، فقَدْ عالجها فِيْ حلقته.

وقَدْ قلنا قبلاً، أنَّنا نُريدُ أنْ نلم بها إلمامةً قصيرةً، ونُريدُ أنْ نرسم الصُّورة، أو المحتوى العام، ولا نتعدى إلى ما وراءِ المحتوى، ونترك ذلك للقارئ.

وإنَّنا نهنئُ أنفسنا، ونهنئ الدُّكتور على هذا الفوز، وهذه الخدمة الوطنيَّة، متمنين له النَّجاح، والاستمرار فِيْ خدمةِ الفكر.

والله ولي التَّوفيق



"تعقيب"

نُشر بمجلة الواحة - بالعدد الخامس -

محرم ١٤١٧ هـ - يونية ١٩٩٦م - ص ١١



قرأتُ فيْ مجلةِ الواحة، فِيْ عددِها الثَّاني ص ١٦٨ مقالاً للأديب / السيِّد علي السَّيِّد باقر العوامي، تحت عنوان 'زيارة بنت الشَّاطئ للقطيف' عام ١٣٧٠ هجرية.

وأنا بدوري أشكر هذه المجلة على رسالتِها، الَّتي تُعنى بالتُّراث، فالتُّراثُ كنزٌ يحتاج إلى يدِ ناقد، لتنفض عنهُ صدأ التَّاريخ، وجلائه عما علق بهِ منْ غبارِ الأزمنة، ليسطع للعيون، ويتحرك ممثلاً فِيْ حقيقةٍ تُعطي شبابنا المثقف الجديد صفحات مشرقةً منْ الماضي.

فقطيفُنا.. بلادُ عبد القيس، وبكر، وتغلب: لها دورٌ مشرِّفٌ فِيْ التَّاريخ، لعبتهُ منذ القدم، ولَمْ أكتبْ هذهِ الأحرف لأُبيِّن مكانتِها فِيْ الشوطِ العلمي، والأدبي، والاجتماعي، والسِّياسي.

وقَدْ كتبتُ بعض اللمحات عنها فِيْ كتابي 'خيوط من الشَّمس' عن هذا الوطن الحبيب، وعَنْ الزِّيارة التَّاريخيَّة الأدبيَّة لأبناء الشقيقةُ مصر، الممثل فِيْ وفدِ جامعةِ الملك فؤاد سابقاً، وجامعة القاهرة اليوم، وما احتوت عليهِ مِنْ فصولِ هذه الزِّيارة، عندما كتبتُ عَنْ الحياة الأدبيَّة الحديثة فِيْ القطيف، وهيَ فصلٌ مِنْ الكتاب المُشار إليه، وما احتوت عليهِ مِنْ فصولِ هذه الزِّيارة، وإنَّما كتبتُ هذا التعقيب، لأُصحح بعض الخطأ التَّاريخي، الَّذي نسج عليهِ غبار السِّنين المتراكمة طيلة أربعة وأربعين دورةً كوكبيَّة حول الشَّمس، كفيلة بأنْ تُعرضنا للخطأِ والنِّسيان.

ولَمْ يقصد الأُستاذ / العوامي – بهذا المقال – إلاَّ الإشادة بذكر وطنه، وقَدْ أبلغتهُ عَنْ بعض هذه الفجوات التَّاريخيَّة، عَنْ طريقِ الهاتف.. فرحب بصدر رحب عَنْ هذهِ الملاحظات.

وملاحظاتي على هذا المقال، الَّذي يسجل ذكرى مِنْ أعزِّ الذِّكريات لوطننا هيَ:

أشار الأُستاذ / السَّيِّد علي.. فِيْ مقالهِ إلى أوَّلِ لقاءٍ مع الوفد، والاجتماع برجال الفكر مساءً فِيْ قصرِ الإمارة، والمذكرة الَّتي تحمل الدَّعوى لَمْ تُفصح عَنْ الهدف.

وأنا بصفتي أحد المدعوين، أرسمُ لكَ هذه الأسماء الَّتي جاءت فِيْ الدَّعوى، وهُمْ: العلاَّمة الشَّيخ / محمَّد صالح المبارك، الَّذي تولَّى القضاء بعد وفاة العلاَّمة الشَّيخ / علي الجشي، والعلاَّمة الشَّيخ عبد الحميد الخنيزي الخطي، الَّذي وضع أول لبنةٍ فِيْ هيكلِ الأدب القطيفي الجديد، وتولَّى منصب القضاء بعدَ وفاة الشَّيخ / محمَّد صالح المبارك، والمرحوم الأُستاذ / عبد الله أخوان، والشَّاعر / عبد الله الشَّيخ علي الجشي، وكاتب هذه السُّطور، وكان يرافق الشَّيخ / محمَّد صالح المُبارك ابنهُ عبد الله. هذه أسماء المدعوين، الَّذين التقوا بالوفد، أو برجال الفكر، وكان اللقاء لهم مفاجئاً، كما يُفاجئُ الندى العُشبَ فِيْ قلبِ الصَّحراءِ، ولَمْ يكن التَّرحيب على صعيدِ فكرٍ ثقافيٍّ، يخاطب رجال فكرٍ مِنْ أعظمِ رجالِ الفكر فِيْ مصرٍ.. أرض الثَّقافة والفكر.

والأصالة الفكريَّة المنبثقة منذ جذور التَّاريخ، فِيْ هذا البلد الحضاري، أثارت الأُستاذ / أمين الخولي.. فوقف وألقى جملةً تحملُ استفهاماً استنكارياً بقولهِ: ما كنتُ أحسبُ أنَّ

الصمت فيْ البلاغةِ، حتَّى زرت هذه الرُّبوع، وبهذهِ الجملة أنهى أحرفهُ وجلس.

فطلبنا منْهُ زيارةً أخرى، لنعرفه البلاغة فيْ الصمتِ، أمْ الصمت فيْ البلاغة، فاستجاب لهذهِ الدَّعوى، على أنْ أحضر لهُ، أو الأُستاذ / عبد الله أخوان كتاب الشافيْ / للشَّريف المرتضى فقلتُ لهُ لا أضمن لكَ ذلك، لأنَّني لا أملكهُ، وسوف أقومُ لكَ بالبحثِ عَنْهُ، فأجاب بقولهِ: إنَّني أطلبهُ لمشروعٍ تحقيقي، فسوف أُحققه وأطبعه.

فهذهِ الرَّغبة منْهُ أثارت فيَّ الطموح، والعزم، والأمل المشبوب.. فقمت بالبحث عَنْهُ، فتحصلتُ عليه عنْدَ شخصٍ منْ أهلِ القطيف يسمى / علي القيصوم، فابتعتهُ منْهُ بخمسةِ عشرِ ريالٍ، وهذا المبلغ كبير بالنسبة لتلك الظُّروف، وخياليٌّ نسبةً إلى ظروفيْ الاقتصاديَّة، إذْ لَمْ أزل مُحلقاً فيْ حياتي العلميَّة (الدرس، والتدريس، وكتابة الشِّعر) ولَمْ أنزل إلى ميدانِ العمل إلاَّ فيْ عامِ ١٣٧٤ هجرية، فاقترضتُ هذا المبلغ منْ صديقٍ لي، ولَمْ يكن هذا الكتاب لديَّ ميراث منْ أبي، ولو علمت أنْ المرحوم المسلم سيقوم بتقديمه، لما تجشمت هذه الطريق.

وتمَّ اللقاء الثَّاني، الَّذي أشار لهُ الأُستاذ / السَّيِّد علي.. فيْ نخل الأُستاذ / عبد الله علي أخوان، وهُوَ الَّذي تولَّى الدَّعوى لبقية العلماء، والأدباءِ والمفكرينِ، ونظَّم الحفل، وكان المشرف على الآثارِ الأدبيَّة / عبد الرَّحمن الشيباني، سكرتير ديوان إمارة المنطقة الشَّرقيَّة للمرحوم / عبد المحسن ابن جلوي.

وكنتُ أحد الَّذين ساهموا فِيْ هذا السمر الأدبي بمقال، وقطعة شعرية، وكان المقال يناقش الأُستاذ / أمين الخولي.. فِيْ كلمتهِ الَّتي ألقاها فِيْ قصر الإمارة: هَلْ البلاغةُ فِيْ الصمتِ؟

غير أنَّ المقال أُستبعد مِنْ الحفل، ولكنَّ الدُّكتورة / بنت الشَّاطئ ذكرت مِنْهُ فقراتٍ فِيْ مقالِها، وألقيتُ القطعة الشِّعريَّة.

وكنتُ مع بنت الشَّاطئ فِيْ حوارٍ عَنْ معاركِ الأُدباءِ المصريين فِيْ مجلةِ الرسالة، لمحررها الأُستاذ / محمَّد حسن الزيات، ومِنْ ضمنِ المعاركِ نقد الدُّكتورة / بنت الشَّاطئ.. كتاب 'دفاع عَنْ البلاغة' للأستاذ / الزيات وردهُ عليها رداً غير أدبي، فكتبتُ مقالاً تحت عنوان 'الصَّحافة العربيَّة' فِيْ مجلةِ العرفانِ اللبنانيَّة، الجزء الرابع - المجلد الثامن والثلاثون - مِنْ سنتها ١٣٧٠ هجرية لشهر جمادى الآخر، الموافق آذار عام ١٩٥١، فيهِ انتصارٌ لرأي بنت الشَّاطئ، لما دلَّلت بهِ مِنْ منطقِ الحقِ.

وكان هذا المقال أبردته قبل مجيء الوفد بشهر، ومِنْ الصُدفِ أنْ أُطلِعَتَ الدُّكتورة على جوهرِ فكرته عِنْدَ مجيئها للقطيف، ونُشر بالتَّاريخ الَّذي أشرنا لهُ آنفاً، فكَنتُ معها فِيْ حوارٍ فِيْ نقدها الخاص، والمعارك الأدبيَّة العامة.

ولهذا الحوار أشارت بنت الشَّاطئ فِيْ مقالها، الَّذي كتبتهُ عَنْ القطيف، إلى معرفةِ أهل القطيف بمعارك الأُدباءِ المصريين.

وكان مِنْ أعلامِ الوفد المعروفين لدينا الأُستاذ / أمين الخولي، وبنت الشَّاطئ، لأنَّ أمين الخولي، مِنْ علماءِ الأزهرِ، ومِنْ المؤلِّفين، وكوَّن لهُ فِيْ الجامعة طلاب اشتقوا تواقيعهم مِنْ اسمهِ، فكانوا يوقِّعون فلان مِنْ الأُمناءِ، والدُّكتورة / بنت

الشَّاطئ، هيَ إحدى طالباتِهِ، قبل أنْ تكون زوجاً لهُ، وتوقع بنت الشَّاطئ / عائشة عبد الرحمن 'منْ الأُمناءِ'.

فليس معروفٌ لدينا بنت الشَّاطئ منْ الوفدِ فقط، كما عبَّر الأُستاذ / العوامي، ولَمْ يكن المعرفة للدُّكتورة، أو أمين الخولي عَنْ طريقِ مجلة الكتاب فحسب، فقبلها مجلة الرسالة، كانت تزخرُ بالفكر العربي والمعارك النَّقديَّة، لمَّا كانت على جانبٍ منْ منهجيَّةٍ ثقافيَّةٍ رفيعة.

وأمَّا مجلة الكتاب: فكان صلة أدباء القطيفِ بها عنْدَ أوَّلِ إشراقة منها، وقَدْ نشرتُ فيها قصيدتين، واحدةٌ قبلَ مجيء الوفدِ إلى هنا، بعنوان 'الهزار الصريع' نُشرت في مجلةِ الكتاب، بالعدد الثَّاني، منْ سنتها الخامسة الموافق ٢٩ محرم ١٣٦٩ هجرية، ٢٠ نوفمبر ١٩٤٩ ميلادية، وأخرى بعد زيارة الوفد، تحت عنوان 'الخريف' نُشرت فيْ الجزء الرابع - م١٢ - منْ مجلة الكتاب المصرية عام ١٣٧٣ هجرية، ١٩٥٣ ميلادية.

أمَّا الشَّاعر المرحوم / المسلم فلَمْ يُرسل لها إلاَّ خطاباً قصيراً فيه بعض الملاحظات، بعد زيارة الوفد إلى هنا على ما أتذكر، وكان بصحبة الوفد طلاب لهم، لا أتذكرُ أسماءهم، فقَدْ أنسانيهم الفاصل الزَّمني.

وقبل خروج الدُّكتورة بنت الشاطئ منْ الحفلِ، سألتني.. أين تُنشرُ أفكار الأُدباء القطيفيين؟ فقلتُ لها.. فيْ صحفٍ كثيرةٍ، ومنْ ضمنِها مجلة الكتاب، الَّتي تصدرها دائرة المعارف المصرية، ومحررها الأُستاذ / عادل الغضبان، فقالت.. سنلتقي على صفحاتِها إنْ شاء الله، ووفت بما قالت.

كما قرأتُ فِيْ العدد الثَّالث ص ٢١٧، تحت عنوان "مقدمة في أُصول الدين" مع تحقيق، وتعليق المؤلِّف الإمام الشَّيخ / علي أبو الحسن الخنيزي ((١٢٩١ - ١٣٦٣ هـ)) النَّاشر: مؤسسة البلاغ ببيروت، الصفحات: ٩٢ مِنْ القطعِ الوسط، سنة النشر ١٤١٦ هـ ١٩٩٥ م.

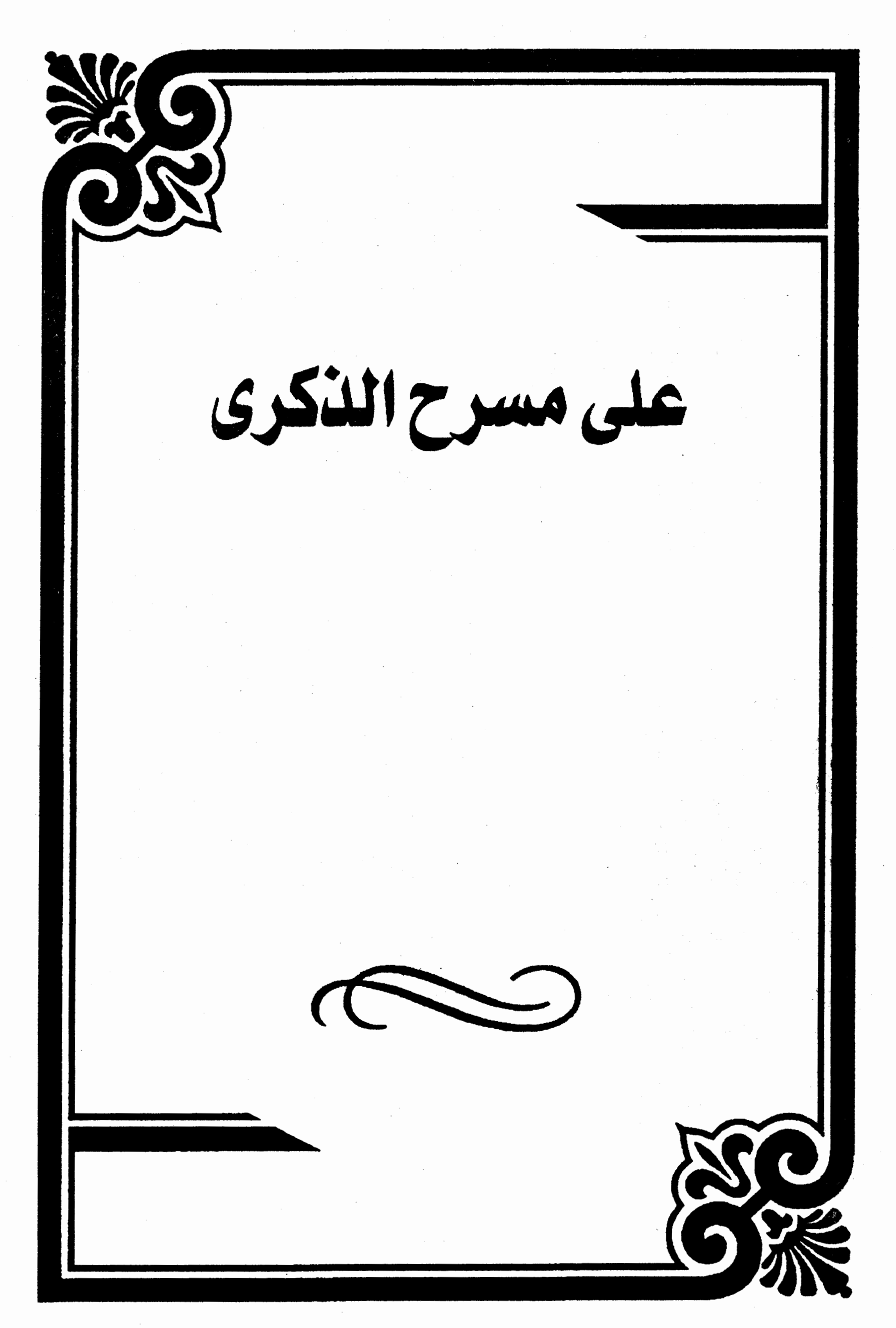
وأنا أعودُ مرة ثانية، وأشكر هذه المجلة، والقائمين عليها لعنايتهم بالآثار العلميَّة، والأدبيَّة لمفكري بلادهم، فلاحظتُ خطأً تاريخيّاً يؤرِّخُ ممارسة القضاء للإمام الشَّيخ / علي أبي الحسن الخنيزي، حيث أُرخ توليه القضاء عام ١٣٦٢ هـ، وصحة تاريخ توليهِ لممارسة القضاء، منذ نزل مِنْ سماءِ النجف الأشرف فِيْ شهرِ رجب، عام ١٣٢٩ هـ.

فكان القاضيان: هو وأبن أخيهِ الزعيم / أبو عبد الكريم الخنيزي، اللذان يقضيان إلى عامة الشيعة والسنة، بدون تمييزٍ أو تحيزٍ، وعندما أختار الله أبن أخيه الزعيم / أبو عبد الكريم، فِيْ اليوم الثَّالث مِنْ شهرِ صفر، عام اثنين وستين بعد الثلاثمائة والألف هجرية، انفرد بالقضاء دون مُشارك، وبالرجوع إلى ما أصدره مِنْ أحكامٍ وصكوك، فِيْ الفترةِ الَّتيِ أشرنا إليها، تؤيد الواقع الَّذي سجلناه هذه حقائق تاريخيَّة أردتُ منها تصحيح بعض المفاهيم.

والله ولي التوفيق...

١٤١٦/١١/١٤هـ

٢ / ١٩٩٦/٠٤م



على مسرح الذكرى

هذه الكلمةُ أُلقيت فِيْ ذكرى الأربعين، الَّتي أُقيمت إلى المرحوم / باقر أحمد الزاهر:

يعظُ النابغُ الخلائقَ حيًّا

إنَّما موتُهُ أجلُّ عظاتهْ

هكذا الحياة تطوى وتسكن حركتُها بعد اللغوب، والشوط الَّذي يمدها بهِ خالق كل شيء.

إنَّ الحياة حركةٌ دائبةٌ لا تعرف الفتور، ولا السكون، والموت سكون لهذه الحركة، الَّتي عندما تنفصل حركتها عَنْ أجسامِنا، وتقف ساكنة معطلة، فالحياة بما فيها مِنْ صورٍ، وعبرٍ، ومفارقاتٍ تعطينا مع البسمةِ دمعة، ومع الفرحِ ترحاً، ومع المرضِ صحة، وضد الفقرِ الغنى، ولولا هذه المفارقات، ما طابت الحياة وتذوقنا بؤسها، ونحسها، وسعدها، وفرحها ومرها، وحلوها.

وهيَ: أي الحياة.. عبرة للأحياء، ومطافٌ نمرُّ بهِ كأطياف غفوة، وما ننتبه إلاَّ والطيف فرَّ مِنْ أجفاننا، ولا نرى لذلك الطيف حقيقة نلمسها بأيدينا، أو شخصاً نخاطبه بحديثٍ عذبٍ، وكلماتٍ معسولة، تلذُّ لنا وتطيب.

ما أحلاكِ أيتها الحياة! وما أمرَّكِ!! فإنَّ حلوكِ كالظل القصير، الَّذي يزول بزوال الصَّباح، أمَّا مُركِ فهو طويل المدى، وشوطه يصاحبنا، ويخطو على خطواتنا، في دروبِ حياتنا المدلهمة، المبطَّنة بأعمالنا، إنْ خيراً فخيرٌ، وإنْ شراً فشرٌ، كل منا عبرة لأخيهِ، ولذاتهِ كل مِنْ تحت هذا التراب.

أليسَ بالأمس كان يعيش معنا المؤمن الحاج / باقر بن أحمد الزاهر، الَّذي وافته المنية مساء يوم الثلاثاء، فِيْ الواحد والعشرين مِنْ محرم عام ستة عشر بعد الأربعمائة والألف هجرية، على مهاجرها أفضل الصَّلاةِ والسَّلام.

أنسيتم تمتمات دعائه، وصلته للفقراء مِنْ المؤمنين، وكيف يحرص على قراءة دعاء سَمات مساء الجمعة فِيْ كُلِّ أسبوعٍ، وخدمته العامة لجميع الطَّبقات، كل ذلك قَدْ عهدنا مِنْ أبي عبد الحميد، هذا الخلق الرفيع، والبسمة الروحيَّة على شفتيهِ لا تكاد أنْ تفارقها، كل ذلك لَمْ يكن بالعهد البعيد حتى نسيتموه، كلنا يعرف أنَّ هذا الرجل المؤمن، الَّذي يحافظ على الصلوات الخمسِ أن يؤديها جماعة، فِيْ جميعِ فصولِ السَّنة، لا يعيقهُ عَنْ تأديتها حرٌّ، ولا قرٌّ، فهو مثال المداومة على هذه الطاعة، الَّتي هيَ همزة الوصل بين العبد وربه.

كما أنَّنا لَمْ ننسَ: عندما يتوفى الله صديق لهُ، أو مؤمناً يقوم أبو عبد الحميد بتأدية حقه وفاء له فِيْ قبرهِ، فيصلي ليلة الدفن صلاة الهدية، وماذا أعدُّ أو أُحصي، إنَّ اليراع لينكفئ عَنْ هذه المعاني، الَّتي تجسدت فِيْ شخصية هذا الرَّجل المؤمن، وكفى بالإيمانِ وصفاً، فإنَّهُ مِنْ خُلُقِ رجال الله الَّذين وصفهم فِيْ كتابهِ العزيز.

ولكنَّني سأوجِّهُ لكم أيُّها الحفل، فِيْ ذكرى هذا الرَّجل المؤمن علامة استفهام، لعلَّها تكون مِنْ الاستفهام التَّقريري، أو الاستنكاري؟!

لماذا نحتفل والشخص المُحتفل بهِ لا يُرى بينكم؟ أهو غائبٌ فتنتظرون عودته؟ أو مسافرٌ؟

فسيكون الرد والجواب: لا إنَّهُ سافر، كما سافر الآباء والأجداد، السفر الطويل.. الَّذي هُوَ مصير كل حي، ولابُدَّ أنْ نستجيب لهذه الدعوى، سواء كُنا راضين.. أم مُرغمين، إنَّما يفوز منا بها مَنْ زرع هذه الطريق بالورد والريحان، وأطاع الرَّحمن.. فروحٌ وريحانٌ، وجنة نعيم.

أمَّا أنتَ: يا أبا عبد الحميد.. إنْ كنتَ تسمع ندائي، فأنتَ فرشت دربك بالزهور فهنيئاً لكَ، وإنْ كانت قلوبنا تذوب عليك حسرةً وحُزناً، غير أنَّ هذا أمر الله، الَّذي لا مردَّ لهُ، ولابُدَّ لنا مِنْ التَّفويض والتَّسليم والصَّبر.

وأختمُ كلمتي هذه القصيرة المقتضبة، بأحرَّ التَّعازي إلى أبنائك، وأخيك، وأسرتك الكريمة.

٢٨ صفر ١٤١٦ هـ



الفن والشِّعر

إنَّ الفن هُوَ الشِّعر، كُلَّما ذُكر الفنُّ.. ذُكر الشِّعرُ، فالشِّعرُ هُوَ الفنُّ، والفنُّ هُوَ الشِّعرُ، والشِّعرُ: ما تجسد فيه العناصر الحسيِّة، الموسيقى الَّتي تنساب كموجٍ نهرٍ، تستحم فيه السَّماء بكواكبها وقمرها، التَّصوير الفني الَّذي يجسد الحقيقة، فِيْ صورةٍ مؤطَّرةٍ بألوانِ الواقع الطبيعي، الغناء العذب الَّذي ينفذُ إلى الجوارح، ويسمرها كأنَّها لا إحساس لها، ولا شعور.

وبكلمةٍ مختصرةٍ مفيدة: الشِّعر ما أحدث هزةً ونشوى فِيْ الروحِ لا تعرفها مِنْ أينَ ولدت؟ وكيف سرت فِيْ ذراتِ كيانك؟ ولكنَّك مأخوذٌ بإحساسٍ غريب، يهزُّكَ فِيْ خمرةٍ قُدسية، هذه الصُّورة المتجسد فيها الفن بكل ما تحمل مِنْ معنى كلمة فن.

فالحاسة الفنيَّة، الَّتي تتجسد فِيْ هذهِ الرؤيَّة الواضحة، الَّتي لا تحتاج رؤيتها إلى أداة ميكروسكوبيَّة، إنَّما تكتمل فيها الأدوات الفنيَّة، وترسمها لوحةً زيتيَّة مشرقة، لا تدرك، ولا تعرف إلاَّ بشعورٍ ضوئيٍّ مرهف.. وسلامة فطرةٍ ذوَّاقة، هيَ الصور الَّتي تتراءى فِيْ عالمِ الفكر قريبةً، أو هيَ أبعد مِنْ كوكبِ الشَّمس، فنطلق عليها القريب البعيد، أو السهل الممتنع، كما عبَّر بعض الأدباء القدماء، وإذا قرأتها تفاعلتَ معها، وسكرت بنشوةٍ حلوة، كأنَّها تهزُّك عواطفٌ منها هزّاً عميقاً، لا فرق بينها فِيْ قديمها، أو جديدها، وكلاسيكيتها، ورومانسيتها.

فالشِّعر: هُوَ نغمٌ يُسكرُ جديده الفني، وقديمه على مستوى صعيد حاسةٍ فنيةٍ واحدة، إذا كانت سيمفونيَّة مِنْ السيمفونيات

تكونت أجزاؤها مِنْ هذهِ العناصر، فاسمع معي هذه السِّيمفونيَّة، مِنْ ديوانِ الشِّعرِ الجاهلي:

ولقد ذكرتُك والرمـاح نواهـلٌ منــي

وبيـض الهنــد تقطــر مــن دمــي

فــوددت تقبيــل السْيــوف لأنهــا

لمعــت كبــارق ثغــرك المتبســم

يـا قـارئي العزيـز: قـف معـي لحظـات، نُـردد هـذا اللحـن، أو هـذه السِّيمفونيَّة، بمـا فيهـا مِـنْ حيـاةٍ متحركـةٍ متجسـدة، عاشـت قرونـاً طويلـة، ولـم تؤثـر عليهـا هـذه القـرون، ولَـمْ تُغـير مِـنْ حيويتهـا، لَـمْ يشـبها الزَّمـانُ، لا تـزالُ تعيـشُ فِـيْ ربيـع الشَّـباب تتوثـبُ كتوثبـه.

إنَّ هذا البطل الشُّجاع، يعيش فِيْ ميدانِ معركةٍ حربٍ بين الرماح والسيوف، غير أنَّهُ لَمْ ينسَ حبيبة قلبه، فهيَ كضوءٍ مشرقٍ فِيْ جفنه، وقلبه وحتَّى فِيْ ميدانِ الحرب، لا تفارقهُ، ولا ينسى ذكرها، فهيَ تعيش معهُ فِيْ وسطِ ذلك الميدان، عندما تنهل الرماح مِنْ جسمهِ، وتقطر بيض الهند مِنْ دمائهِ، هَلْ هُوَ فِيْ غفوة أمْ يقظة؟ أمْ فِيْ ربيعٍ مِنْ العرسِ؟

ولكنَّ الحقيقة: يعيش فِيْ معركةٍ داميةٍ، بين الرماحِ والسيوفِ، غير أنَّ الحب الَّذي يستلذ بهِ المعذبون، ويتحول جحيمه إلى نعيمٍ، ولهذا النَّعيم تَمثَّلَ ثغر حبيبته يضيءُ لهُ قسطل هذه المعركة، كُلَّما لمعت سيوفها.. لمع ذلك الثَّغر كأضواء الفجر فِيْ ثغرِ الزهور، فيمده بشجاعةٍ وعزمٍ، فهُوَ يعيش فِيْ فردوس حبٍّ، الَّذي تمشَّى ذلك الحُب فِيْ ذراتِ كيانه، لا فِيْ معركةٍ داميةٍ، إنَّهُ عنترة بن شداد.. بطل السيف والشِّعر.

فهذه صورةٌ تعبيريةٌ، فيها أكتمل أداء فن التَّعبير، وجسَّد حياتهُ البطوليَّة والغراميَّة.

وهناك أبيات أخرى لشاعرٍ قديمٍ، صوَّر فيها حرمانه وشكواه المريرة:

وأمرُّ ما لاقيتُ من ألم الهوى

قربُ الحبيب وما إليه وصولُ

كالعيس في البيداء يقتلُها الظما

والماءُ فوقَ ظهورها محمولُ

تصوَّر معي أيُّها القارئ هذهِ السِّيمفونيَّة، فِيْ صورتِها المتحركة كضوء الشَّمس، وهيَ تُمثل لهفةً لعاشق، وحسرةً لواله، يتألم فِيْ ألمٍ قاسٍ مُرٍّ، فهُوَ كالشَّبحِ.. لا يكادُ أنْ يتنفس مِنْ هذا الجوِّ المضبب فِيْ آفاقِ نفسهِ، والقتام الَّذي حجب عَنْهُ رؤيَّة حبيبهِ، برغمِ القرب منْهُ، ولكنَّهُ لا يحلم برؤيتهِ، فضلاً عَنْ لُقياه، ويضرب مثلاً حيّاً، يدور مع دورة الشَّمس حول نفسها، لأنَّه ظمآن.. تائه فِيْ صحراءَ، كما تظمأُ العيس، والماء تحمله فوق ظهورها، ولكنَّه لا يبلُّ أُوامَ عطشِها، ولا ينقعُ لهيب قلبها، فهو قريبٌ بعيدٌ لا جدوى في قربهِ.

إنَّهُ تعبيرٌ فنيٌّ فِيْ أداءٍ بليغٍ مكتمل الصُّورة، والظِّلال يحركُ ما غفا مِنْ تلك المشاعر، والعواطف الهائمة.

إنَّ الشِّعرَ رسمةٌ مِنْ رسماتِ الحياة، وأطروحةٌ مِنْ أُطروحاتها الفكريَّة، ورسالةٌ فيها ألوانٌ مِنَ الصورِ مِنْ معاني الخُلقِ، والحكمِ، والآدابِ والعواطف الطامحة المشبوبة، والآمال الظَّامئة إلى قطراتِ ضوءِ الفجر، وصور التَّشبيب الغزلية فِيْ كلماتِها الخضراء، الَّتي تُخاطبُ لغة

القلوب والعيون.. ما تجدُّ منها الحياةُ، وتعيدُ الشيوخَ إلى عالمِ الشَّباب.

إنَّ الشِّعرَ واكب الحياة فِيْ تطورِها.. فِيْ شروقِها وغروبِها، فهو مرآةٌ يعكسُ ألوان هذه الحياة، بما فيها من بسمة، ودمعة تتراءى لك طيوفها، وظلالها على مرآة الحياة، فانعكست فِيْ تطورٍ متجدد.. انفتح منها على سماءِ الأندلس، وتولد مِنْ هذهِ السماء إشراقةٌ ضوء في أساليبِ جديدة متطورة، لَمْ يعرفها الشِّعر الخليلي منذ قبلُ، فكان للشِّعرِ دورٌ متجددٌ مع فجر نهضةٍ جديدة، يحملُ اعطار تلك الأوراد والزهور إلى الدُّنيا، فِيْ أوزانٍ تمردت على بحورِ الشِّعر الخليلي، فِيْ ألحانٍ عذبة.. حالية الأجراس، هيَ الموشح الأندلسي، فِيْ أساليبَ غريبةٍ عَنْ ذلك العصر:

جادكَ الغيثُ إذا الغيثُ همـا
يا زمـان الوصـل في الأندلـس
لم يكن وصلك إلا حُلمـا فـي
الكرى أو خلسـة المختلـس

لحنٌ مِنْ ألحانِ الشِّعر الجديد، الَّذي أطلق عليه أُدباءِ عصرِه 'الموشحات' ينسابُ في موجةٍ سحريةٍ توقظ الأحاسيس، وصورة مجسدة العواطف، تتحرك كشريطِ سينمائيٍّ يشهده النُّظار، متوثبةً حيَّةً فِيْ عالمِ الحُبِّ، الَّذي لاَ يموت إلاَّ بموت الحياة.

ونمر على رسمةٍ مِنْ رسماتِ الشَّاعر الأندلسي: بن شهيد، حيثُ رسم هذه الرسمةَ مِنْ عيونِ المها، ومِنْ أوتارِ حنين العُشاق، فِيْ قبسةٍ مِنَ القبساتِ الضوئيَّة، وكنفحةٍ مِنْ نفحاتِ العطر، أقتبسها كاقتباس النَّهر مِنْ ضوءِ القمر، مِنَ الشَّاعر الجاهلي

أمرؤ القيسْ فغنَّى بنُ شهيدٍ فِيْ لحنٍ عذبٍ صافٍ يلِجُ الأذان..
بلا استئذان: -

ولمَّا تملئتُ منْ سُكره

ونام ونامت عيونُ الحرسْ

دنوتُ إليه على ركبة

دنو رفيق درى ما التمسْ

أدبُّ إليه دبيب الكرى

وأسموا إليه سموَ النفسْ

أُقبِّلُ منه بياض الطلى

وأرشفُ منهُ سواد اللعس

فبتُّ به ليلتي ناعماً

إلى أن تبسم ثغرُ الغلس

هذه سيمفونيَّةٌ تُوقِّعُ قلب الحياة، فِيْ صورةٍ مشبوبة فِيْ لهفة وشوقٍ عاطفيٍّ يُجسِّدُ لقاء حبيبين، فِيْ صورة خياليَّة واقعيَّة فِيْ إبداعٍ.. قل منْ يصيغ هذه الصياغة الفنيَّة، فِيْ صورةٍ مشرقة الرؤيا.

تأمَّلوا معي هذه الأبيات، وأقرأوها.. ففيها روعةٌ مسكرةٌ للأرواح، انظروا كيف صوَّر خلسة الوقت، وانتظاره الطويل، الَّذي فيه لذة الظَّفر، حتَّى تملأ حبيبُهُ، ونام جفناهُ النَّاعسان، ودبَّ فيها أطيافُ الكرى، ونامت عيون الحرس، وهُوَ يرقبُ هذه الخلسة كيف دنا له دنو الحاني، الَّذي يعرفُ ماذا خلفه وأمامه.

ويغرب الشَّاعر، ويأخذه الحنان والعطف، فيصور نفسهُ فِيْ تسلله إلى حبيبهِ، كتسلل الكرى للعين، وكظم الأنفاس،

عندما تسمو فِيْ أفقِ النَّفس، فهذا تصويرٌ مِنْ الرَّوعةِ والبلاغةِ، فِيْ حرف متحرِّك بالحياة، يتجددُ مع تجدد إشراقة الشَّمس، فهو يدبُّ إليهِ، ولكنَّه فِيْ طيفِ نفسٍ، لا يشعر به حبيبهُ، إلاَّ كما يمتص الفراش الرَّحيق مِنْ قلبِ الوردة، فيروِّي غليل قلبه، ويكحل عينهُ، وينعم بتلك الليلة حتَّى فجرِها، وهذا مِنْ الشِّعرِ الَّذي لا يموت، مهما تجددت الحياة وتطورت.

وعندما نخلص من هذه القطعة الفنية ندخل إلى أفق الهامٍ فيه صور متحركة فالشِّعر: فيهِ ألوانٌ مِنْ الحياة المتجددِّة، الَّتي تعطينا زخماً وصوراً حكمية وإرشاديَّة، وأنا أقرأُ هذه القطعة، وألمسُ فيها هذه الرؤيَّة الحكمية، الَّتي صوَّر الشَّاعر فيها ذم الخمرة، والتَّحذير مِنْ مقارفتِها فِيْ أسلوبٍ حكميٍّ إرشاديٍّ، فِيْ لونٍ مِنْ ألوانِ الشِّعر الفنِّي، لا كأسلوبِ بعض الواعظين الَّذي ينفرُّ النفوس، ولا تصغي لهُ الأذانُ، فيبعدهم عَنْ شُربِها بإشارات تعبيرية تنطوي على ثلبها وعيوبها، بهذا التَّعبير الدَّقيق، يخاطبُ هؤلاءِ العاكفين على أقداحهم، الَّذين أغرقوا الليل فِيْ هذا التيهِ والضياع:

لو كنتُ أحملُ خمراً يومَ زرتكمُ
لم يُنكر الكلبُ أنِّي صاحبُ الدار
لكن أتيتُ وروحُ المسك يفعمُني
وعنبرُ الهند مذكيٌّ على النار
فأنكر الكلبُ ريحي حين أبصرني
وكان يعرفُ ريح الزقِّ والقار



أرأيتم كيف الأُسلوب الشِّعري، والأداء الفني، اللَّذانِ يُعالجانِ داءً مِنْ أدواءِ الحياةِ الاجتماعيَّة، فِيْ أُسلوب أدبيٍّ رائعٍ، ويوجه اللوم لمن يتناول هذه الأقداح، الَّتي تفتكُ بالُمجتمع، وقَدْ حرَّمها كتابُ اللهِ لما فيها مِنْ داءٍ فتَّاك، يفتكُ بالبشر.. كداء الكوليرا فِيْ المُجتمع.

وإنَّ أبلغَ تحذيرٍ وصفيٍ موجزٍ لمعالجة هذا الداء الخبيث، الوصفة الحكمية.. الَّتي وصفها الإمام علي سلام الله عليهِ، وقال فِيْ كلمةٍ موجزةٍ مِنْ حرفٍ متحرك يدور مع الأزمان:

(جُعلت الذنوبُ فِيْ بيتٍ مفتاحُها الخمرُ)

ما أعظمه مِنْ تعبيرٍ فِيْ صورةٍ تجسِّدُ هذهِ الحقيقة، ويحتاجُ تفسيرُها وتحليلُها إلى أسفارٍ وأسفار.

وبهذهِ الأحرف البليغة مِنْ قولةِ إمامٍ عظيمٍ.. أفصح الفصحاء، وأبلغ البلغاء، بعد رسول الله، صلَّى الله عليهِ وآلهِ، نختتمُ هذه اللَّمحة التَّصويريَّة وختامُها مسكٌ.

والله ولي التوفيق.

٢٧ محرم ١٤١٦هـ

١٣ يونية ١٩٩٦م



لمحات من خطوط الحياة الأدبية في

القطيف (أصداء)

نشر هذا المقال في مجلة الواحة -

العدد الثامن - شوال ١٤١٧هـ - ص ١١٦



كانت أصداءُ تترددُ على سمعي، وتتجسَّدُ خاطرةً فِيْ فكري، عندما هتفَ بي أحد الأدباء، فِيْ نبرات حنونة ناعمة، إنَّني أطلبُ منْكَ أنْ تكتب عَنْ نشأة الحياة الأدبيَّةً فِيْ القطيف وتطورها.

وهذا الموضوع: سبقَ لي أن أدرتُ أحرفي عليه، فصلاً طويلاً مِنْ فصول كتابي 'خيوط مِنْ الشَّمس' وهو مرتبطٌ بحلقات بعضُها ببعضٍ، يستغرق هذا الفصل قرابة أربعين صفحة، أو تزيد.

وهدف الأديب مِنْ ذلك، أنْ يكون الموضوع، عَنْ هذه الحركة الفكريَّة مختصراً فِيْ نجومٍ لا تزيد عَنْ عددِ الكف الواحدة.

وأقصرُ هذا البحث، على انبثاقِ الحياة الرومانتيكية، منذُ ميلاد ضوء فجرِها الجديد، وحركتها المُحدثة الرومانسيَّة.

لا أحد ينكرُ أنَّ للقطيف دوراً خطيراً، لعبتهُ منذ فجرِ التَّاريخ.. حينما وُضع هذا الإنسانُ على هذا الكوكبِ المسمَّى بالأرض، فقَدْ شاركت القطيف فِيْ بناءِ الحياةِ في أدوارِها السِّياسيَّة، والاجتماعيَّة، والفكريَّة والعلميَّة.

وكان لأبناء الجزيرة نشاطٌ فِيْ جميعِ ألوانِ الفكرِ، وفِيْ شواطئ الخليج، حتَّى شواطئ الهند، فالبحرُ ميدانٌ فيهِ سباقٌ، وجولاتٌ لأرباب السُّفن، وعشاقٌ لاصطياد لؤلؤهِ، وثروتهِ الحيوانيَّة الطَّرية، ومِنْ سمائِها سطعت نجومُ علمٍ لها وزنها، وأدباء وشعراء.

إلاَّ أنَّ التَّاريخ أضاع قسماً كبيراً مِنْ هذهِ الحلقات، ولَمْ يحتفظ لنا إلاَّ بقلة قليلة، فنأسفُ على موطن عبد القيس، وبكرٍ، وتغلب، كيف تضيعُ أخبارُها فِيْ أنقاضِ السِّنين؟

وكأنَّني أسمعُ مِنْ وراءِ جُدران القرون، ومِنْ ظلالِ التَّاريخ البعيدة السَّحيقة.. صوتاً يترددُ مِنْ كواها، ويهتف للأجيال الصاعدة والآتية:

نصحتُ لعبد القيس يوم قطيفها

فما خير نصح قيل لم يتقبل

فقد كان في أهل القطيف فوارسٌ

حماةٌ إذا ما الحرب ألقت بكلكل



وتركنَ عنترَ لا يقاتل بعدَها

أهل القطيف قتالْ خيل تنفعُ

وكانت القطيفُ الشُريانُ الَّذي يتدفق منْهُ الحياةُ، إلى قلبِ الجزيرة، وإلى شواطئ الخليج، كشاطئ الكويت، وقطر، وأبي ظبي، ودبي والشَّارقة، الَّتي تُعرف اليوم بالإمارات، والبحرين التي تعرف سابقاً (أوال) فهيَ تُغذيهم بالثِّمار، الَّتي تنتجها هذه الأرض الخيِّرة، فهيَ واحةٌ خضراء، كأحلامِ عروسٍ تزهو على ضفافِ الخليج، وتمد ذراعيها على الرِّمال الذَّهبيَّة الصَّحراويَّة، لتُعطي حنان الدَّفء فِيْ فصلِ الشَّتاء، وبُرد يثلج الجسومَ فِيْ فصلِ الصيف، إنَّها مشاهدُ ومناظرُ روضاتٍ مُفعمةٍ بعطرِ الليمون، والأترج، والنارنج.

لو شاهدت معي أشجار اللوز، تميس كالعرائس فِيْ موكبٍ ضوئيٍّ، وملأت أنفكَ مِنْ الأعطار المنبعثة مِنْ الفلِّ، والعمار،

والياسمين بالأمسِ، الَّتي لَمْ يتبقَ مِنْ هـذهِ المناظرِ اليوم، إلاَّ ظلال تمتدُّ فِيْ نواحي مِنْ هذه الواحة، وأكثرها ينكمشُ انكماشاً على رقعٍ صغيرة.

كما أنَّ للقطيف دوراً بحرياً تجارياً، فِيْ تصديرِ ما تنتجهُ، وتوريد ما تحتاجهُ، وإحدى شواطئها المشهورة 'دارين' في العصر الجاهلي، وبقي هذا المرفأ يمدُّ مِنْ شطآنه الحياة، إلى إشراقِ ضوء الرسالة، وتوهج صبحها الَّذي أزال القذى عَنْ العيون، وكحلَّها بشمس الإسلام، الَّذي يُعدُّ أكبر النِّعم مِنْ الخالق على هذهِ البشريَّة. فدارين شاطئ مِنْ أهمِّ الشرايين الشَّاطئية، تتدفق منها الحياة، وتزدحم فيها الحركة التجاريَّة، والحركة الفكريَّة، فيضم صعيدها موسمين 'التجارة، والفكر' فأنا أُشبِّهُها بسوق عكاظ أو المريد.

وكانت هذه الحركة فِيْ ضجتِها الصَّاخبة، وفي جلبتِها المدوَّية هنا وراء هذا الجدار الرخامي، تُعطي اللصوص فرصةً ذهبيةً، تحولهم إلى طيوفِ جنٍّ، فيسطون على ما يُمكنهم سطوهم، لملأ حقائبهم فِيْ غفلةِ من النَّاسُ التائهين فِيْ بحرِ دُنياهم التجاريَّة الموسميَّة، فصوَّر هذه الحياة شاعرٌ جاهلي، فِيْ حرفٍ متحرك، كأنَّهُ شريطٌ سينمائيٌ يشاهدهُ النُّظار:

يمرونَ بالدهناء خفافاً عيابهم
ويخرجن من دارين بُجرَ الحقائب

على حين ألهى النَّاس جُلُّ أمورهم
فندلاً زوريق المال ندل الثعالب

هكذا كانت الحياةُ لوناً مِنْ ألوانِ الفكر، تتجسدُ فِيْ أُطرٍ مختلفةِ الأهداف، على صعيدٍ، وتحت سماءٍ واحدة.

ودارينُ هـذه جـزءٌ مـنْ أجـزاءِ القطيـفِ، وشاطــئٌ مِـنْ شواطئِها، وللدور الَّذي لعبتهُ فِيْ ذلك العصر، وما يُهرق عليها مِنْ قوارير العطر فِيْ التجارة اللاهثة، كـان الشُّـعراء يشُـبِّهون عرف حبيبتهم، بعطر دارين فيقولون عطرٌ داري.

ولابُـدَّ أنْ نُشيـر إلى عـامل تاريخـي، تجسـد علـى صعيـد القطيف، حيثُ كـان فيها مصنعٌ مِنْ مصانـعِ الأدوات الحربيَّـة لصنع الرماح، الَّتي هيَ إحدى أدواتِ الحربِ فِيْ العصرِ القديم، لانحصار المعارك الحربيَّة فيها، وفِيْ السيفِ والسِّهام، فهيَ جـزء مِنْ الأدواتِ الفتَّاكة المكملة للحروب.

لقَدْ طُفتُ بكَ يا قارئـي العزيـز، فِـيْ أدوارٍ بعيـدةٍ فِـيْ دنيـا التَّـاريخ، وإنَّ بحثـي مقصـورٌ علـى انبثـاقِ الحركـةِ الأدبيَّـة الرومانسيَّة، ومتى ولدت فِيْ سماءِ القطيف، وبتعبيرٍ أدق فِيْ سماءِ المنطقةِ الشَّرقيَّة لكونها تتألَّفُ مِنَ القطيفِ والأحساء، لا غيرهما فِيْ ذلك العصر.

حينما ولدت هـذهِ الحركة وبدأت، كان لها انفتـاحٌ فكـريٌّ، وأوَّل مَنْ أسس هذه الحركة، ووضعَ غراسها بقسميها (العلمي، والأدبي) الإمام الشَّيخ / علي أبو الحسن الخنيزي، عندما عـاد مِنْ رحلتهِ الدِّراسيَّة مِنْ النجف الأشرف، فِيْ رجبِ الأصب عـام تسعة وعشرين بعد الثلاثمائة والألف هجرية، على مهاجرهـا أفضل الصَّلاة والسَّلام، فكوَّن ثُلةً مِنْ الطلاب كانوا هم الـرُّواد لهذه الحركة العلميَّة والأدبيَّة، وخطط لها منهاجاً للسيرِ علـى ضوءِ التَّعاليم الإسلاميَّة.

وهنا نُريدُ أنْ نُحلل: كيف نمت بذور هـذه الحركة في هـذا الصعيد الفكري؟ وكيف تفرعت كالسنديانةِ عندما يشـذِّبها

البستانيُّ؟ كان الإمام الخنيزي يلقي تعاليمهُ الفكريَّة فِيْ مسجده، وفِيْ نواديه، وفِيْ مسجد خصَّصه مدرسةً للبحث الخارج، وقَدْ نمت فِيْ هذا الحقل الخصيب أشجارٌ لها أغصانٌ متفرعةٌ على ضفافِ نهرِ الحياة، نذكر مِنْ تلك الأغصان بعض الأسماء، كالعلاَّمة الشَّيخ / علي الجشي، والعلاَّمة الشَّيخ / محمد صالح المبارك، والعلاَّمة الشَّيخ / محمَّد علي الخنيزي، والعلاَّمة الشَّيخ / محمَّد علي الجشي، والعلاَّمة الشَّيخ / فرج العمران، والعلاَّمة الشَّيخ / منصور آل سيف، والأُستاذ الشَّيخ / ميرزا حسين البريكي، الَّذي كان له دورٌ فِيْ محيطِ الكتاتيب، فِيْ تعليمِ ثُلة مِنْ الشَّبابِ، ودورٌ آخر فِيْ محاضراتهِ المنبرية، الَّذي جدَّد الأُسلوب الخطابي، والأُستاذ / عبد الله بن علي أخوان، الَّذي هُوَ أوَّلُ أديبٍ لَمْ يتقوقع، وأتصل بالصُّحف العربيَّة، ونشر تحت أسم مستعارٍ كأبن الساحل، أو أبن الخليج، والأُستاذ / علي بن حسن أبو السُّعود، وأحمد بن حسين السنان، وعلي بن محمد رمضان، وخالد محمَّد الفرج - مدير بلدية القطيف - الَّذي جاء إلى القطيفِ، وهو أديبٌ وشاعرٌ، كتب ألواناً مِنْ الشِّعر فانضم لهذه الكوكبة، وأحمد محمَّد علي المصطفى، الَّذي نطلق عليهِ شاعر التُّجار، وتاجر الشُّعراء، ترك لهُ ألواناً مِنْ الشِّعر مخطوطةً، والشَّاعر / أحمد سلمان الصائغ المعروف: بالكويفي، الَّذي له ديوانٌ مِنْ الشِّعر مخطوطٌ.

هذه بعضُ أسماءِ مِنْ المرحلةِ الأُولى بقسميها العلمي والأدبي ولَمْ نأتِ على أفرادها، لضيق مساحة الورق المستوعب لهذا المقال مِنْ الخارطة الورقية المعدودة له للنشر.

وبعد أنْ سجلنا قاعدة المرحلة الأُولى ونشأتها، نعود فنفتحُ كوةً ضوئيَّةً، لندخل إلى المرحلةِ الثَّانية 'الحركة الرومانتيكية' الَّتي ولدت فِيْ الأربعينيات بعد الثلاثمائة والألف هجري، حيثُ فِيْ هذه الفترة، لمع كوكبٌ مِنْ سماءِ مدرسة والده الخنيزي، هُوَ الأُستاذ العلاَّمة الشَّيخ / عبد الحميد الخنيزي الخطي، فمارس الأدب، وكتب ألواناً مِنْ الشِّعر القصصي والرومانسي، فكان أول واضع لبنة فِيْ هيكلِ الأدب الجديد القطيفي فأثرى المكتبة الفكريَّة بأعماله الشِّعريَّة، والنثرية المخطوطة، وحاز على فضيلةٍ علميَّة، ونشر فِيْ الصُّحف.

وفِيْ عام الثَّامن والخمسين بعد الثلاثمائة والألف هجرياً، أشرقت كوكبةٌ مِنْ نجومِ سماءِ الأدبِ، الَّتي رعى غِراسها الإمام الشَّيخ / علي أبو الحسن الخنيزي، هم الرُّواد والدعامات لهذه الحركة الفكريَّة الرومانسيَّة، كالأُستاذ الشَّاعر / محمَّد سعيد المسلم، المؤرِّخ والكاتب الَّذي ترك بعد رحيلهِ آثاراً مطبوعةً، وكاتب هذا المقال، والأُستاذ الشَّاعر / محمَّد سعيد الجشي، الذي تركَ مجموعتينِ مِنْ الشِّعر مخطوطتين، والشَّاعر / عبد الواحد بن حسن الخنيزي الَّذي تركَ بعد رحيلهِ ديواناً اسماهُ (رسمت قلبي) مطبوعاً، وفضيلة الأُستاذ الشَّيخ / عبد الله الشَّيخ علي الخنيزي، الَّذي ألَّفَ لهُ ثروةً مِنْ الفكرِ، فِيْ حرفٍ يدورُ فِيْ أسفارٍ ((كنسيمٍ وزوبعةٍ 'كتاب نقدي'، وأدواؤنا، وضوء فِيْ الظل)) وغيرها مِنْ الآثار الفكريَّة - مطبوعة ومخطوطة - والأُستاذ السَّيِّد / علي السَّيِّد باقر العوامي، الَّذي لا يزالُ ينفحُنا بباقات مِنْ مقالاته فِيْ الصُّحف المحلية، والأُستاذ السَّيِّد / حسن العوامي الَّذي ألَّفَ، وكتبَ، وطبعَ لهُ كتابين 'المرأة

فِيّ الإسلام، والضائعونْ والأُستاذ علي بن حسن الطويل، وكاتب هذهِ الأسطر.

هؤلاء الرُّواد الأوائل الَّذين فتحوا فتحاً أدبياً، ولَمْ يتقوقعوا وينكمشوا على أنفسهم، كما تقوقعَ الأُدباء القُدامى، وعاشوا بين جدرانِ أيامهم فِيّ سماءِ القطيفِ، حتَّى ذهبوا كأطيافٍ تمر بالأذهان.

أمَّا هؤلاء الرُّواد المحدثون، فاتصلوا بأُمهاتِ الصُّحفِ العربيَّة، ونشروا آثارهم على صفحاتِها ((كمجلة الكتاب المصرية، وكمجلة الأديب، والعرفان، والنهج، والألواح والمعارف اللبنانيات، والهاتف العراقية والرائد الكويتيَّة، وصوت البحرين)) ومثيلاتُ هذه المجلات مِنْ أُمهاتِ الصُّحف.

ولا يسعني فِيّ هذه القبسة الضوئيَّة الباهتة الشعلة، أنْ أعطي عَنْ هذه الفترة تحليلاً دراسياً عَنْ روادِها، وتطورها، ونموها، وربيع ازدهارها لأنَّ البحثَ محدود بمساحاتٍ ورقية، فهيَ كخطوطٍ لفهرسِ فترةٍ نعرضُ منها ما سمحت بهِ المساحة الورقية.

وبعد وفاة الإمام الشَّيخ / علي أبي الحسن الخنيزي، عام أربعة وأربعين بعد الألف والتسعمائة ميلادي، همدت الحركة العلمية والأدبيَّة، وبعودة أبنهِ العلاَّمة الشَّيخ / عبد الحميد الخنيزي الخطي إلى وطنهِ، أعاد للحياة الأدبيَّة روحها بعد الهمود، فأنتجت ثمراً، وأتت أُكلها، فولدت فِيّ هذه السماءِ كواكبُ تُنير بآثارِها.

وقبل أنْ أُشير إلى هذه الكوكبة، هناك رائدٌ هُوَ: أحد الرُّواد الأوائل السابقين لهذه الحركة الجديدة، وهذا الكوكب

أشرقَ فِيْ سماءِ النجفِ - حاضرة العلم - هُوَ الشَّاعر / عبد اللّه الشَّيخ علي الجشي، حيثُ عاد مع أبيهِ عام السابع والستين بعد الثلاثمائة والألف هجري، بعدَ أنْ أختار اللّه العلاَّمة / السَّيِّد ماجد العوامي، ليحل الشَّيخ علي الجشي محله، فأسهم الشَّاعر / عبد اللّه فِيْ هذه الحركة مع هؤلاءِ الرُّواد، فنشر آثارهُ فِيْ أُمهاتِ الصُّحفِ العربيَّة، ولديهِ باقاتٌ مِنْ الشِّعرِ، ونصوص مِنْ النثرِ مخطوطات.

فكانت هذهِ الحلقات تُعقدُ للدرس والتدريس، كما يعرضُ كل منا إنتاجهُ فيها على الثَّاني، فأنا أُطلقُ عليها 'بالنَّادي السيَّار' الَّذي لا مقر لهُ، ولا رئيس، ولا أعضاء، وقَدْ أعطيتُ عَنْها صورة تحليليَّة، فِيْ الفصلِ الأدبي مِنْ كتابي 'خيوط مِنْ الشَّمس' وكيف كان هذا التنافس بين هذه الكوكبة، حتَّى بلغَ فِيْ شوطهِ الذروة، وهذه الأزهار مِنْ ثمارِ تلك الحركة المباركة.

وقَدْ ولدت بعد هؤلاء الرُّواد، فِيْ سماءِ أدبِ القطيفِ، كوكبةٌ فِيْ الحياة الأدبيَّة الجديدة الرومانسيَّة، وهم: الأُستاذ / محمَّد رضا منصور نصر اللّه الأديب الكاتب اللامع الَّذي لَمْ يتقوقع بين جدرانِ الأيَّامِ، ورفوف الحياة، فأسهم فِيْ هذه الحركة، ولمع نجماً صحفياً على صعيدِ المستوى العالمي، والشَّاعر السَّيِّد / عدنان العوامي، فقَدْ طبعَ لهُ ديوان مِنْ الشِّعرِ، أسماهُ 'شاطئ اليباب' والشَّاعر / محمَّد رضي الشَّماسي، ولديهِ مجموعة مِنْ الشِّعرِ مخطوطةٌ، نُشر قسمٌ منها فِيْ الصُّحف العربيَّة، والشَّاعر / سعيد ميرزا حسين البريكي، ولديهِ ألوانٌ مِنْ الشِّعرِ الجديد، طبع منْهَا مجموعةً، تُترجمُ لُغةَ الأُمهاتِ مع أبنائِها، والشَّاعر / محمَّد علي النَّاصر، الَّذي لديهِ

ألوانٌ مِنْ الشِّعرِ مخطوطةٌ، وقَدْ نشرَ كتاب أسماه 'الله الخالق القدير' والشَّاعر السِّيِّد / حسن أبو الرحى لديه مجموعة مِنْ الشِّعرِ، ويمارس المقالة النَّقديَّة، والشَّاعر / محمَّد توفيق، الَّذي لديه مجموعة مِنْ الشِّعرِ مخطوطة، والشَّاعر شفيق العبَّاد، والشَّاعر / عبد الكريم زرع، والشَّاعر / غسَّان عبد العظيم الخنيزي، الَّذي ألَّفَ وطبع له مجموعة مِنْ الشِّعرِ أسماه 'أوهامٌ صغيرة' والأُستاذ الكاتب عبد العلي يوسف سلمان آل سيف، فقَدْ أسهمَ فِيْ هذهِ الحركة، وأرَّخَ لروادها، وأُدبائِها فِيْ كتابيهِ 'القطيفِ، وأضواء على شعرِها المعاصر' وعَنْ شاعرها طرفة بن العبد، والكاتب / عبد الله حسن عبد المحسن، فقَدْ أسهمَ فِيْ هذه الحركة، وأرَّخَ لأقطابِها فِيْ كتابِه، الَّذي أسماه 'شعراء القطيف المعاصرون' والأديب الأُستاذ / سعود عبد الكريم الفرج، الَّذي أسهمَ فِيْ هذهِ الحركة، وكتبَ عَنْها كتاباً أسماهُ 'شعراء مبدعون مِنْ الجزيرةِ والخليجِ' والشَّاعر / عبد الوهاب حسن آل عبد الوهاب، المعروف بالمجمر، الَّذي ترك مجموعة شعرية، طبعها أصدقاؤهُ بعد وفاته، وأسموها 'بقايا الرماد' وعبد الله بن الشَّيخ جعفر، الَّذي لهُ ألوان مِنْ باقاتِ الشِّعر المخطوطة فِيْ أيهابها الجديد، والأُستاذ الصحفي / فؤاد عبد الواحد نصر الله، الَّذي لمعَ نجماً يضيء فِيْ سماءِ الصَّحافة، والأُستاذ / حمزة الحسن الكاتب والصحفي المعروف، والأُستاذ السَّيِّد / محمَّد الشُّرفاء، الَّذي أسهمَ فِيْ هذه الحركة، وألَّفَ 'المنطقة الشَّرقيَّة حضارة وتاريخ، وشخصية المنطقة الشَّرقيَّة فِيْ التَّاريخِ والجغرافيا، والحياة الاقتصاديَّة فِيْ المنطقة الشَّرقيَّة فِيْ جزأين' والشَّاعر / عبَّاس مهدي خزام، الَّذي طبع

لـه مجموعـة مِنْ الشّعرِ الرومانســي أسـماها 'أشـواكٌ وورود'
والشَّاعر / سعيد عصفور، الَّذي وافتهُ المنيـة، وهُوَ لـدن العـود،
وقَدْ طبعَ له ديوان قبل وفاته بقرابةِ عامٍ، وأسماهُ 'هدير الصمت'
ولكنَّـهُ صمـتَ هديـره، والأمـر كلـه لله وحـده، والشّـاعر حبيـب
محمود، الَّذي جمع له مجموعة شعرية طبعها بالكمبيوتر.

هـذه بعـض أسـماء الَّذيـن ولــدوا، وأشـرقوا مِـنْ سـماءِ
القطيفِ الفكريَّة، وقَدْ ذكرت هذه الأسماء على سبيل المثال.. لا
الحصر.. وهيَ امتداد مِنْ قبساتِ شعلتها الضوئيَّة، الَّتي أشعلتها
الرُّواد الأوائل فِيْ السَّماءِ الرحيبة.

كما أُقدم إلى أُدبائنا الرُّواد، والثُّلة الطالعة: رسـالةً أهمس
بها همس النَّسائمِ فِيْ آذانِ الزهور، وأطلبُ مِنْهم أنْ يعودوا إلـى
الحركةِ الأدبيَّة، الَّتي طوَّف إنتاجُها إلى سماءِ الحواضر العربيَّـة،
وأشرق ضوؤهـا علـى أُمهاتِ الصُّحـف العربيَّـة، حتَّـى قـال فيهـا
أحـد الأُدبـاء.. الأُسـتاذ / محمـود نعـرة، بإعجـاب فـيْ إحـدى
الصُّحف الكُبرى، متسـائلاً عَنْ الثَّقافـةِ.. هَلْ هـيَ فِـيْ لبنـان، أو
القاهرة، أو بغداد، أو القطيف؟

كيفَ أرتفـع وزن هـذا البلـد الصغيـر إلـى حواضـرِ الفكـرِ
والأدبِ؟.. إنَّهُ الفكر: الَّذي يرفع الشُّعوب بدون تمييزٍ ولا تفرقـة،
إنَّما يزنها بالحاسة الفنيَّة، الَّتي لا تقدس الصنمية، إنَّمـا تقـدس
الأثر مِنْ حيثُ أنَّه أثر.

ولا ننسـى الحـدث الأدبـي، الَّذي كـان لـهُ صـدىً فـيْ دُنيـا
الأدبِ، ودورٌ فِيْ الصَّحافةِ مِنْ إشـادة فكريَّة سجلتهُ الدُّكتورة /
بنـت الشَّـاطئ، فـيْ زيارتهـا التَّاريخيَّـةً للقطيـف، حيـثُ أخذهـا
الإعجابُ بمـا رأت، وسـمعت مِنْ آثـارَ فكريَّـةٍ، ومعـارفَ علميَّـةٍ،

سجلتهـا فِيْ حـرفٍ مقـالٍ لهـا علـى صفحـاتِ مجلـة 'الكتـاب المصريـة' وأعادتها فِـيْ كتابِهـا 'أرض المعجـزات' وهـيَ تطـل مِـنْ أفقٍ مِنْ أعظـمِ الآفـاق الفكريَّـةِ فِـيْ البـلادِ العربيَّـةِ، تسـجل هـذا الانبهـارِ والإعجـاب، فتُقـرر حقيقـةً.. تطـالبُ فيهـا بنـي الضـاد: بتطلعهـم إلـى أُدبـاء القطيـف، الَّذيـن يعرفـون عَنْ الفكـرِ المصـري وأدبائِه، ما لا يعرفهُ الخاصةُ الخاصة فِيْ مصرِ.

وقبل أنْ أُنهي مقالي، أعودُ فأُرسـل رسـالةً فكريَّـةً، أو نـداءً ضوئيّـاً إلـى أُدبائِنـا القطيفيـين: أنْ يعنـوا بـآدابِ مفكريهـم، ويفـردوا دراسـاتٍ لهـذا الفكـر.. لا يهمشـونهُ كمـا يفعـل بعـضُ أُدبائنا، وفِيْ طليعتهم الصحفي / محمَّد رضا نصر الله، الَّذي يعيشُ على مأدُبةِ أُدباءِ غيرِ وطنه.

هـذه لمحـاتٌ مِـنْ خطـوط الحيـاة الأدبيَّـةِ فِـيْ القطيـفِ، أُسجلها فِيْ حرفٍ مختصرٍ.

١٤١٧/٢/٢هـ

١٩٩٦/٦/١٨م



ذِكـــرَيــات

اذكرونـــا مثـــل ذكرانـــا لكـــم

ربَّ ذكـــرى قربـــت مـــن نزحـــا

واذكـــروا صبّـــاً إذا غنّـــى بكـــم

شـــرب الدمـــع وعـــافى القدحـــا

الذّكرياتُ: هـيَ حياةٌ ماضيـةٌ، تتمثّـلُ فـيْ مـرآة الحـاضر، وتتجسّـدُ لتعيـش سـنيناً طويلـةً صـورةً حلـوةً، أو مُـرّةً فـيْ أفـقِ الخيالِ، أو تمرُّ مـرور الظلِّ، كظل النّخيل، وتتطـوي فـيْ تلافيـف الزّمنِ السّحيقِ البعيد، فيأسفُ المرءُ كُلَّ الأسف، متمنيـاً أنْ تعـودَ لهُ وتطلَّ على سمائه إشراقةٌ منْ بصيصِ تلك الذّكريات.

أو بإشارةٍ ضوئيّةٍ تحليليّةٍ، الذّكرياتُ: هـيَ كيان أيّامٍ، وأجيالٍ عاشها المرءُ، ثُمَّ انتهتْ بين جـدران السّنين، وانحلت فـيْ ضبابِ الحياة، وتظلُّ طيوفها تلاحـق مَـنْ عاشـها، إذا بقـي بعـد تقلصها موجوداً على أعتابِ الواقع المشهـود، يسامـرُ ويُعانقُ ظـلال أيّامِها، الَّتي تمرُّ مرور الطّيوف فِيْ العيونِ، وكرفّةِ الضوء فِيْ القلوبِ.

وهُوَ يحنُّ إليها، كحنين الورود لقطراتِ الطل، والمرءُ يعشـقُ الماضـي، لأنَّهُ جزءٌ منْ حياته، وكُلّما انطوت منهُ صفحـةٌ.. طويـت منْ عمرهِ، وقـرُب أجلُهُ، وقَدْ قـال حكيـمٌ: "أطـولُ عمـرِ المـرءِ يـومِ ميـلادهِ" ولهـذه العوامل المرتبطـة ارتباطـاً كُليـاً بالإنسـان، فهُـوَلا ينفكُّ يجسّدُها لوحةً، ويرسمها فِيْ حرفٍ يتغنّى بهِ فِيْ كُلِّ آنٍ، ويشرأبُّ لهُ فِيْ كُلِّ حينٍ.

إنّها الذّكرياتُ العذبةُ الحبيبـةُ لكُلِّ نفسٍ، تخطرُ على مدرجِ هذه الحياة، فيحنُّ المرءُ منْ يومـهِ إلى أمسـهِ، وإلى ما قبلِ أمسـهِ،

وإلى ما شاء الله، يحنُّ لذِّكريات الطفولة الحبيبةُ الحلوة الطَّاهرة، الَّتي هيَ تشبه عالم الملائكة، إذْ لا شرور فيها، ولا آثام، ويحنُّ إلى أعذبِ فصلٍ فِيْ الحياة.. إلى ربيعِ الشَّباب، الَّذي لا يعوض بشيءٍ مِنْ الأشياء، وهُوَ أوج عمرهِ، وذروتُهُ وما فيه مِنْ طموحات متوثبة، تكادُ تريه المستحيل غير مستحيل، ففِيْ صفحاتِه ألوانٌ وفصولٌ مِنْ فصول الفتنةِ، واللذاذات الَّتي تطوى بطي الشَّباب.

إنَّ المرء لحريصٌ على صونِ ماضيه، وإحاطتهِ بأُطرٍ تغلِّفهُ عَنْ الضياع، وتزيلُ عنهُ الطحلب.. وصدأ السِّنين، فهُوَ لهفةٌ، وشوقٌ للتحدث عَنْ هذه الحياة، وكُل أمنياته لو عادت لهُ، ولبسها ولو ساعةً، ولكنَّه لا يستطيع على ردِّها، فيتشبَّثُ.ويتعلَّقُ بخيوطٍ مِنْ أحلامِ أيَّامِها، بما فيها مِنْ حلوٍ، ومُرٍّ، يتمنى أنْ يرجع إلى عالمِ الطفولةِ، أو إلى عالمِ التَّوثبِ، والتَّوهجِ.

الشَّباب الَّذي فِيْ وثباته، وطموحهِ الآمال المشبوبة، والزَّخم الثَّائر الهائج المائج، فإذا سبرتَ أعماق نفسكَ، وطوَّفتَ بآفاقها.. لمست هذا الشَّوق، والحنين إلى الماضي بما فيهِ مِنْ صورٍ متلونة، متغيرة متفارقة متباينة، وتتبعت نفسك، وما فيها مِنْ أسرارِ الظِّلالِ، والألوانِ، المنبثقة مِنْ ذاتك، تجدُ فيها الطفولة، والشَّباب ينكمشانِ تحت أسرارِ هذه النَّفس، الَّتي لا يعرفها إلاَّ خالقُها.

وإنْ ذرَّفَ بك العمرُ على عتبةِ الثلوجِ، ومطاف الخريف، رأيت نفسك تزدادُ شوقاً وحنيناً إلى أيامِها الماضية، فتودُّ لو كنت تعيش فِيْ عالمِ الطفولة، أو ربيع العمر.

ففِيْ مفاجئةٍ مِنْ المفاجآتِ، وبلا قصدٍ، وإنَّما هُوَ الحنينُ الباطني يدفعه إلى حياة الطفولة اللاشعورية، فيقوم بأعمالٍ طفوليةٍ، وهُوَ مِنْ حيث لا يشعر، كأنَّما هُوَ فِيْ حُلمٍ مِنْ أحلامٍ

الطفولةِ، إنْ صدقَ للطفولةِ أحلامٌ، أو يحنُّ ويذوب، كما تذوب الأنوار على صفحاتِ مياهِ النَّهرِ، كأنَّكَ تنظرُ إلى عذارى الأشجار، وعرائس النَّخيل تستحمُ فِيْ ماءِ هذا النَّهر بشفافيةٍ جماليةٍ فتَّانة، وهُوَ على وثباتِ ذكرى، منْ ذكرياتِ فصلِ الشَّباب، الَّذي يتمنَّى أنْ يتجمد قبل جليد الزَّمن، الَّذي تركهُ مشلول الحركات فِيْ سكونٍ عميقٍ، كسكونِ المقابرِ فِيْ هدأةِ اللَّيل مبطَّناً بأشباحِ المخاوفِ، وظلال الغروب.

فالذكرى قَدْ تثبُ منْ بين أنقاضِ الحياة، وتطل علينا مِنْ كوَّةِ الزَّمن البعيد، أو القريب.

لقَدْ عُدتِ بي يا ذكرى على جناحِ الحنين، والشَّوق واللهفة، وما أعذب الذكرى! الَّتي نجتر منها أحلامنا!! ونعيشُ على صفحاتِ أيَّامها!!!! أكادُ مِنْ اللهفة لكِ يا ذكرى: أنْ أذوب ذوبان الشموع، ولكن هذا الذَّوبان، والحنين لن يُعيدَكِ، ولن يزيدني إلاَّ أواماً، فأنتِ لا تضمدين جُرحاً فتحه الزَّمن الماضي، ولا تُأسين جراحاتِ أطلالِ هذا الجسد، المنهك المتعب مِنْ كدِّ الزَّمان، ولا توقفين الزَّمن الحاضر، الَّذي هُوَ فِيْ جريانهِ، وسيره كمر الطُّيور، أو كلمحات الضوء، وقَدْ تزرعين، وتنبتين فِيْ قلبي الحسرات المريرات، والشكوى المؤلمة.

فالحياةُ كلها سلسلة شكوى وألم، ولكنَّه برغم هذا وذاك، أنكِ تعيشين فِيْ قلبي، وفِيْ عيني، تسامرينني وتسيرين معي حيث ما سرت، وتنامين عندما أنام، وتستيقظين عندما أستيقظ، أنكِ جزءٌ منْ كيانِ دنياي الماضية، لا تنفكين عنه، فأنتِ كالظلِّ لي فِيْ حياتِي، أو كنقلةِ ضوئيَّةٍ مستمرة تصورين وترسمين أيامي الماضية، لوحات تماثيلٍ فِيْ حياتي بحيثُ ألمسُها

بيدي، وأمتارُ مِنْ مائدتِها عندما تطفحُ حسرةُ الألمِ إلى عالمِ الماضي فأنشرُ كتابهُ لأقرأ فِيْ صفحاتهِ الملوَّنةِ، أحرفاً لهذه البشرية، تبدأُ مِنْ ألفِ الميلادِ إلى ياءِ اللحدِ.

ماذا أقرأُ أيتها الذكرى؟ أأقرأُ آلام الإنسانيَّة وفصولَها، مِنْ شرِّها وخيرها، كأيَّام الطفولة العذبةِ، الَّتي أُصبتُ فيها بأثمنِ كنزٍ فِيْ الحياةِ، وهيَ 'عينيْ' الَّتي ترسم لي جميع الصورِ، على صفحةِ هذا الكون الممتد الواسع؟.

وبرغمِ هذا فإنَّني: أحنُّ للطفولةِ.. لأنَّها باكورة الحياة، ويرتقي بيَ الحنين إلى مدرجِ الشَّبابِ، وتعودُ بيَ الذكرى، إلى أيَّامِ دنيا نعيمٍ تحتَ ظلٍّ سجسجٍ، يفيئُني ظلُّ أبي فِيْ عالمٍ لستُ مسؤولاً عَنْ هذه الأعباء الثَّقيلة، كما أعدتِ لي تلك الجلسات الحلوة العذبة، فِيْ بيتِنا فِيْ حاضرةِ القطيف القلعة، وقَدْ زيَّن تلك الجلسة والدي.. فكأنَّي بهِ وقَدْ أخذَ مكانهُ، وهُوَ يُلقي عليَّ الدروس ليُغذِّي عقلي بالغذاء الروحي، مِنْ أدبٍ، وفقهٍ، وتاريخٍ، ودروسٍ عقلانيَّةٍ، قبل أنْ نُغذِّي معدتنا بالغذاء المادي.

لا تزالُ صورةِ تلك الحياةِ ماثلةً، كشريطٍ سينمائيٍّ، يجسِّدُ مناظرَها عندما يأتي أبي مِنْ مسجدِهِ، ونحيطُ بهِ، كما يحيط السوار بالمعصم، غير أنكِ يا ذكرى عندما مثَّلتي لي هذا الشَّريط مِنْ حياتِي، أهجتِ ليَ الألم المبرح، وعصرتِ فؤادي حسراتٍ، فِيْ كأسِ حزنٍ جاحمٍ، تطاير لهباً وتصاعد دخاناً، فِيْ جدرانِ الزَّمن السَّحيق الماضِي، وثورةٍ عارمةٍ تضجُّ ضجيج الملسوع، يبكي على أطلالِ تلك الذِّكريات.

وأنشرُ مِنْ هذا الكتاب صفحةً أخرى، لأقرأ أيَّام المرح، فِيْ تلك الحقول الغنَّاء، والدوالي الخضراء فتصافحني عرائس

النَّخيل، الَّتي تزهو بها القطيف، مِنْ بوابة القلعة الغربية 'المعروفة ببوابة باب الشَّمال' وأنت خارجٌ منها تَمرُّ تحتَ ظلال عرائس النَّخيل، وتسمعُ خرير الجداول، وزغردة العصافير، أين هذه المناظر الجميلةُ الساحرةُ الفتَّانة؟! لقَدْ انمحت هذه المناظر مِنْ واقعِها، وبقيت ذكرياتٍ تتجسَّد فِيْ قلبي وعيني، حتَّى أكادُ أراها في رؤيَّةٍ حيَّةٍ، فيعودُ واقعاً مشهوداً.. كأنَّ العيون تراه.

وأنتقلُ كنقلةِ ظل النَّخيل إذا نسختهُ الشَّمسُ، وتعودُ بيَ الهواجسُ وتمرُّ بأفقِ نفسي أطيافُ الأحبة، فأتذكر بعض الإخوان، والأصدقاء، وأحنُّ إليهم، وأذوبُ شوقاً لرفقاء روحي 'الأُدباء والشُّعراء' كأبنِ أخي عبد الواحد، ومحمَّد سعيد الجشي، ومحمَّد سعيد المسلم، وأمثالُهُم الَّذين غادروا هذه الحياة، فأصبحوا ظلال غروب، وأطياف ذكرى، أسأل الله لي ولهم المغفرة، والرضوان، ودار القرار.

حيثُ كنا نعيش هادِيء النِّفوس.. مطمئنين الفكر، نعيش فِيْ حياةٍ غير معقدة، تبتسم كابتسامات الفجرِ على ثغورِ الورود، وصافيةً كصفاء السماء فِيْ لونها الشَّفاف الأزرق تسبح فيها النُّجوم، والقمر الفضي فِيْ رقةٍ وهدوء، بغير ضجيج كضجيج الأجهزة الكهرُبائيَّة اليوم الَّتي تخنق الجو، وتكدِّر صفاءه، وتُلقي عليه سحائبَ دكناء مما تنتجهُ المصانع مِنْ 'بترول، وغاز، وطائرات، وسيَّارات'.

كل هذه الأجهزة، لوَّثت الجوَّ، فعُدنا محرومين مِنْ هذا المنظر الحبيب إلى النِّفوس.

وقَدْ قال شاعرٌ غزلٌ: -

جفنُهُ علَّم الغزل، ومِنْ العلمِ ما قتل

كُلَّما حـاولتُ أنْ أهـربَ عنـكِ أيَّتهـا الذكـرى الحبيبـة، شـددتني بأربطـةِ الزَّمـنِ المـاضي، وقيدتنـي بقيودهـا، حتَّـى لا أستطيعَ التفلت مِنْ قبضتكِ الحديديَّةِ، وكيف أتفلتُ مِنْ جزءٍ مِنْ حياتي، أصبحت ذكرى تطوف على ذهني، وتتجسَّدُ فيْ قلبي، وأمام عيني كشريطٍ متحرِّك، ينقلُني إلى حياة وددتُ أنَّها لا تنتهي، ولا تنطوي؟ ولكن ليس لي فيها أمرٌ، ولا تصريفٌ، ولا نهيٌ، ولا يدانِ، إنَّما الأمرُ فيها للواحد القهَّار، الَّذي سخَّر اللَّيل والنهار وجعلهما آيتينِ للإنسان.. لعلَّهُ يتذكر، أو يخشى.

كُلَّما أردتُ أيَّتها الذكرى، أنْ أطوي هـذا الكتـاب، عـاودتني أطيـافُكِ بإلحـاحٍ وإصـرارٍ، تخـاطبُني بهمـسٍ مِـنْ وراءِ حُجـب المجهول: افتح كتـاب الذكـرى، وأقـرأ بين أسطره، والمس خـلال حروفه قلوباً نابضـةً متوثبـةً بالحيـاة، وأرواحـاً تمـوجُ كـأضواءٍ، تتسربُ فِيْ هذا الأفق الرَّحب الواسع.

وماذا افتح أيتها الذكرى مِنْ كتابك المـاضي؟ وبـأي صفحـةٍ أبدأ؟ وبأي عنوانٍ فصلٍ مِنْ هـذه الفصـولِ؟ أبا لطفولـة البلهـاء الوادعة، وما أحلى الطفولةَ، وأيَّامَهـا، لا أتذكرُ مِنْ هـذا الفصـل إلاَّ المـرح، ومـا ألـمَّ بي مِنْ حدثٍ لا أنْسـاهُ، ولا يُمحـى مِنْ كتـاب حياتي حتَّـى الممـات، ومـا أعقبهـاً مِنْ براكينٍ تتفجَّـرُ ألمـاً باكيـاً، عندما أظمـأُ لنهلةٍ مِنْ حرفِ كتابٍ ضجَّت بيَ اللهفةَ والحسـرة، فأسيلُ عليهما ألماً وشكوى مُرَّةً، فأعودُ ولهانـاً وأنـا أسيفُ حـزنٍ وألمٍ وأنا ظامئٌ والمنبعُ فِيْ يدي، فأسيرُ فِيْ منعطفـاتك، فتعودُ بيَ القهقرى فـأتلَّهى، وأتسـلَّى ببثِّ شـكواي إلـى سـماءِ عبقـر، أستنزلُ منها لحناً حزيناً يخفِّفُ هـذه الويـلات، فتهدأُ الشـكوى الثَّائرة.

وما افتح مِنْ صفحـاتك أيتهـا الذِّكـرى، وهـيَ ذاتُ ألـوانٍ وصورٍ؟ أأقرأُ عنوان فصل الشَّبـاب، وذكرياتـه الَّتي تتسـابُ فِـيْ أحرفهِ وهجاً متوثباً، وثورةً عارمةً، فالشَّبابُ ثروةٌ وثورةٌ، وأتذكرُ الظِّلال الحانية عليَ مِنْ أبي، حنو النَّخلةِ على ماءِ النَّهـرِ، فهـذا فصلٌ مِنْ أعزبِ فصول الحياة، وأتذكرُ أيام الكتاتيب: حين كنـا نعيشُ بهـا كسـجناء بـين جدرانهـا القاتمـة، ونجلس علـى تلـك الحصر، الَّتي تُسَفُّ مِنْ خوص النَّخل بأيدٍ قطيفية، تنطبع عليهـا أقدام الطُّلاب المتصببة بالعرق، فتنتقل هذه الطَّبعة إلى ملابسِ الطُّلاب، حينمـا يجلسـون علـى تلـك الحصـر، فتشـاهد منظـر الطَّبعـات علـى ملابـسِ التلاميـذ حينمـا يـتركون مجالسـهُم، ويذهبون لمغادرة الكتاتيب، وتسمع زمجرة المعلم بصوته الجهوري يصرخُ فِيْ الطُّلابِ، وفِيْ يمينه مِخصرتُهُ يسلطها على مِنْ يشـاء دون حسابٍ أو مسؤولية، ويعفو عَنْ مَنْ يشـاء، بـدون نظـرةٍ علـى واقـعٍ ملموسٍ إذْ ليس عليه رقيبٌ مِنْ أولياءِ الطُّلاب لمناقشـته، وبعد الانطلاقة منها، نذهب للحقول ونلهو كما تلهو العصـافير، ونمرحُ كما تمرح الحمائـم البيضـاء، فِيْ ظلِّ الحقولِ، ونقطـف اللوز مِنْ قضوبهـا، ونجني الرُطبَ، وعذارى الورود، ونستحمُّ فِيْ تلك العيون الطَّبيعيَّة.

وفاتني أنْ أُشيرَ إلى حياةِ الكُتَّابِ، وآباءِ الطُّلابِ، والمعلم، فهناك مقولةٌ لبعض الآباء يغلِّفونها بشعاراتٍ، قَدْ لا يعرفونَ ما تنطـوي عليـه، فيسـرفون كُلَّ الإسـراف فيرسلون مقولةً عنيفـةً، بأسلوبٍ منفِّرٍ للطَّالب: (جئتُك بابني لحماً، وأُريده عظماً) إنَّها المفتاح المبرر، أو الأُطروحة الَّتي تعطي المعلم السُّلطان والسَّيطرة على الطُّلابِ، الَّذين لا يزالون براعماً فِيْ أكمامها، لَمْ تتفتح بعد

لضوءِ الشَّمس، فهم كالسُّجناء فِيْ محل مُعتمٍ مُغلَّفٍ بأربعةِ جدر، إذْ لا كهرباءَ ولا ضوء، إلاَّ إشراقة ضوءٍ مِنْ فتحةٍ واحدةٍ إنْ وجدت، تحتَ قوةٍ عنيفة.. لا تعرفُ الأساليبَ التَّربويَّةَ، فكيفَ بها تقوِّمُ النُشءَ، وهيَ بعيدةٌ كل البعد عَنْ العناصر التَّربويَّة؟! وكيفَ تُعنى بهذه الغرسات فِيْ حقلِ هذه الحياة، إلاَّ ما ندر مِنْ بعض المعلمين وهُمْ على قلَّة؟ ولهذه الأساليب ترى فشل هذه الكتاتيب، وعدم نجاحِ الطُّلابِ فيها، فأكثرهم يخرجون منها أُميين، وبعضهم يعرف فكَّ الحرف، والسر فِيْ ذلك، هيَ تلك الأساليب العنيفة، الَّتي يسرف فيها المعلم إلى حدِّ الإسراف، مما يُنفِّرُ الطُّلاب ويبغِّض لهم الكتاتيب التَّعليميَّة لما يلاقونهُ مِنْ قسوةِ جلاَّد.

فلهذه العوامل التَّربويَّة المغلقة ننطلقُ كطلاب إلى دُنيا الحقول، أو إلى العيونِ، وحمَّام أبو لوزة، وما يماثلُهم.. وهيَ كثيرةٌ فِيْ هذا البلد الخيِّر 'ومَنْ لَمْ يُحسن العوم.. يسبح فِيْ ساب الخرَّارة' ونلهو بلهو الطفولة فِيْ الحقولِ، كالطُّيور بما يتساقط مِنْ رُطبٍ مِنْ عرائس النَّخيل، وشجر الليمون، واللوز، والتين، ونؤوبُ إلى أعشاشِنا، عندما يغطِّي اللَّيل المدينة، ويبطِّن سماءها بأشباح مظلمة داكنة.

كُلُّ هذه أطيافٌ تتراقصُ فِيْ أجفانِي، وفِيْ قلبي، وذكريات مرح الطفولةِ فِيْ بيتي بالقلعة.

إنَّني أمرُّ بهذه الحياة، كمرورِ حالمٍ غفا فاستيقظ ففرَّ مِنْ أجفانِهِ ذلك الحُلم اللذيذ السَّعيد.

فماذا أذكرُ أيتها الذِّكرى؟ أأذكرُ حنان أمي، الَّذي هُوَ نبعٌ يفيضُ علينا سلسالاً يُروِّي أنفُسنا، وعشٌّ نأوي إليه، لننفض أتعابنا فنستريح فِيْ ظلِّهِ، وهيَ تقص علينا ألواناً مِنْ أنباءِ الماضي.

وأذكرُ مِنْ هـذا الكتـاب 'السَّـمر الأدبـي' الَّـذي نعقـدهُ فِـيْ صعيـدِ غرفـةِ مكتبتـي، أو مُكيتبتـي، ونحـنُ فِـيْ نهـمِ جـوعٍ إلـى الحرفِ، مع الإخوانِ العلامة فضيلة الشيخ عبد الحميد الخطي والعلامة الأُستاذ الفاضل الشَّيخ / عبد الله الخنيزي، والأسـاتذة / السَّـيِّد علـي السَّـيِّد بـاقر العوامـي والأسـتاذ / علـي حسـن الطويـل، والسَّـيِّد / حسـنِ العوامـي، ومحمَّـد سعيـد المسـلم، ومحمَّد سـعيد الجشـي، وعبـد الواحـد الخنـيزي الَّـذي لازمنـي ملازمة الظلِّ، ونحن فِيْ مناقشةٍ فكريَّةٍ فِيْ كُلِّ مساء.

وبعد وفاة أبي: تحولت النَّقلة الأدبيَّة مِنْ غرفتي الصَّغيرة إلى غرفةِ مكتبةِ أبي، فنجتمع فِيْ كُلِّ أمسيةٍ على أقداحِ الشَّاي، وقـراءة الكتب.. كعُقد يجمعهُ سلك واحد مِنْ الفكرِ والخواطرِ، وكانت هـذه الجلسـات يترأسـها الأخ العلاَّمـة الأُسـتاذ الشَّـيخ / عبـد الحميـد الشَّيخ علي الخنيزي كمـا يحضرهـا الأخ الشَّـيخ / حسـن الخنـيزي، وعبد الرؤوف، والأصدقاء.. الَّذين كانوا يرتادون هذا الأفق.

وعندما تُلقـي الشَّمس أطياف الغروب، نخـرجُ لنرتـادُ علـى ضفَّـةِ البحـر، ونجلسُ علـى صخـورهِ عنـد الضفَّـةِ، وكـان البحـر مجـاوراً إلـى القلعـة حـاضرةِ القطيـف، لا تكـادُ تخـرج مِنْ بوابتـهِ الشَّـرقيَّة المسمَّاة ببوابـةِ البحـر، إلاَّ وتلقَّـاك البحـر بجـزرهِ ومـدهِ، وسـفنهِ الذَّاهبـة، والآيبـة. فـإذا انطلقـتَ علـى هـذه الضفَّـة إلـى النَّاحيةَ الشَّمالية قليلاً، رأيتَ منظراً خلاَّباً، فعند شمالك البحر، وجنوبك عرائس النَّخيل تسبح بظلالها فِيْ مـوجِ البحـر، فهنـا منظرٌ شاعريٌ طبيعيٌ، يوحي الشِّعر مِنْ الطَّبيعةِ.

لقَدْ انطوت هذه الذِّكرى، وماتت.. فلا نخيل، ولا بحر، لقد تقلصَ البحـرُ عَنْ أسـوارِ القلعـةِ، وامتـدت رقعـة الأرض أمتـاراً

بعيدةً، فأنتَ لا ترى البحر، ولا ترى النَّخيل فقَدْ يبِسَتْ أطياف هذه الذِّكرى، وأصبحت ذكرى لِمَنْ شهد هذه المناظر ورآها.

أمَّا المتأخرون: فلَمْ يحظوا بهذهِ الرَّوعة الجماليَّة، فيعيشون ذكراها على مسرحِ ألمٍ وشوقٍ.

لقَدْ مررتِ أيتها الذِّكرى بآفاقِ نفسي، بما فيكِ مِنْ فصولِ لهوٍ ومرحٍ، وشبابٍ، وألمٍ، ونشاطِ حياة علمية، وتفجعٍ على مصارع أحباب، سنصير إلى ما صاروا إليه، صورٌ انعكست على مرآتك، تعكسها طيوفٌ تُرى.. ولا تُلمس، إنَّما أحسُها إحساساً روحياً، وقلبياً، وبين الأجفانِ كرؤيَّةِ حالمٍ.

لقَدْ أعدتِ ليَ أيتها الذكرى هذا الفصل مِنْ كتابكِ الحبيب، ذو الصفحاتِ المتعددة، فصفحةٌ بعد صفحة نُشرت ليَ مِنْ صفحاتِ كتابِ الماضي، وأيَّامهِ الخالية فِيْ بيتي، فِيْ حي البستان، بعد أنْ ذهبت القلعة أنقاضاً، وانطوى البحر أمتاراً، مشت على مائهِ رقعة الأرض بأقدامٍ لا ترحم، وكان جاثماً بين يدي القلعة، وعرائس النَّخيل القائمة على جهتي غربها وشمالها، كأنَّها أشباحُ جنٍّ تحرسُها، والبحر فِيْ صمتهِ عند الجزر، وهديره فِيْ المدِّ كأنَّهُ عفريتٌ، أو حارسٌ أمينٌ لكِ أيتها القلعة.

كُلُّ هذا أصبحَ خيالاً يطوفُ كذكرى، يمرُّ فِيْ أفقِ خيالٍ لا يتصورهُ، إلاَّ مَنْ عاشَ على هذا الصَّعيدِ، ففاجأتِني بهذه الزورة وما أكثر المفاجآت!!.

ولنْ أنْسى فصلاً مِنْ فصولِ ذكرى حياتي، فِيْ بيتي فِيْ حي البستان، حيثُ الغذاء الرُّوحي، والتجمع الكوكبي الفكري فِيْ سمائهِ، والحياة الفكريَّة المخضوضرة تزدهر، وتنمو فِيْ صعيدهِ، وفِيْ جوهِ نَشرتُ لي مجموعتين شعريتين (شيءٌ أسمه الحب،

وشمس بلا أفق) أمَّا "النَّغم الجريح" فنشرتهُ وأنا أعيش فِيْ حاضرةِ القطيف القلعة، قبل أنْ أطوي صفحات كتابي ذكرياتٍ مرَّة وحلوة، مررت بأفقها، وعشت على صعيدِها.

كما أنَّني لا أنْسى ذكرى أعيشُها فِيْ بيتي فِيْ حي الحسين، وما وفقني ربي مِنْ إنتاجٍ باقاتٍ فكرية، حيثُ نشرتُ مِنْ سماءِ هذا البيت (مدينة الدراري، وكانوا علىً الدرب) فإنَّ جذورها ترتبط بسوسنةِ أرضيةِ القلعة، الَّتي سقاها أبي، وتعهدها أخي الأُستاذ العلاَّمة الشَّيخ / عبد الحميد الخنيزي الخطي، فسأظل وفيّاً مشدوداً لهذه الذِّكريات، الَّتي تحركت مِنْ وراءِ جدران السِّنين، وطافت بآفاقِ نفسي لألون بها هذهِ الحروف، وأجسِّدُ بها مناظرَ متحرِّكةً، ودنيا مخصوصبةً تصور ما غفا مِنْ دنيا القطيفِ، على صفحاتِ الحاضرِ، وهيَ رسمة للماضي، وصفحةٌ مِنْ الحاضرِ.

١٤١٧/٧/١٥هـ



الفن الأدبي

المـــرءُ يأمـــلُ أن يعيـــشَ

وطـــولَ عيـــش قـــد يضـــرُّه

تفنـــى بشاشتـــه ويبقـــى

بعـــد حلـــو العيـــش مـــرُّه

وتخونـــه الأيـــام حتـــى

لا يـــرى شيئـــاً يســـرُّه

كـــم شـــامت بـــي إن هلكـــتُ

وقائـــل للَّـــه درُّه



تأمَّلوا معي فِيْ هذهِ القطعة السِّيمفونيَّة، وقفوا ثوانٍ أمام هذهِ اللوحة الزَّيتيَّة، هَلْ تتصورون أنَّها غيرُ قطعة مِنْ الشِّعرِ الجديد، الَّتي لو نُسِبتْ إلى أحد أعلام الشُّعراءِ المُحدثين.. لما تردد قارؤها فِيْ نسبتِها لهُ؟! ولكنَّها ليستْ كذلك، إنَّما هيَ لشاعرٍ جاهليٍ، قَدْ دارت حولهُ الأرضُ مئات الدورات الكوكبيَّة، هُوَ / النابغة الذُّبياني.. يرسم هذه الرسمة، لتعيش فيها الحياةُ صوراً متجددةً، فِيْ حروفٍ كمرآةٍ تصوِّرُ مُرَّ الحياةِ وحلوها، وينفذُ إلى سرِّ أعماقِ المرءِ، وهيَ الإطارُ الَّذي يؤطِّر البشريَّة، وعندما يُبلى ويذوبُ تنتهي بانتهائهِ حياتُهُ.

إنَّ هذه القطعة يتجلَّى فيها الأداءُ الفنِّي، فهُوَ الأداءُ البلاغي 'السهل الممتنع' الَّذي جاء فِيْ تعبيرٍ مترقرقٍ منسابٍ، كأمواجِ الجداول تستحم فِيْ مياهِها عرائس النَّخيلِ، وتزغردُ

على أشجارِها العصافير، ولَمْ يحمل حروفاً مِنْ لغة تنفرُ المسامعُ مِنْهَا، إنَّما هيَ لغةٌ تنسابُ فِيْ ألحانٍ موسيقيَّة تلج الآذانُ بلا استئذان، إنَّهُ التَّعبيرُ الَّذي يُطلقُ عليهِ السِّحرُ الحلال.

فلنعُد يا قارئِي العزيز إلى هذهِ السِّيمفونيَّة، وتصور معي هذه الصور المتحرِّكة الَّتي تصلُ بكَ إلى أعماقِ حياتِنا، وتتغلغلُ وراء دنيا البشرية، إلى ما وراءِ العقول، إلى ما وراءِ المنظور.

المرءُ هُوَ قطعة متحرِّكة كادحة، وكلهُ أمل مزروع فِيْ حقلِ الحياةِ، ولكنَّ هذا الزَّرع، وهذا الكدح، وما يبطِّنهُ مِنْ شوكٍ، وطموحٍ، وآمالٍ مخضوضرة تغفو على سماء مستقبلية، يحاول المرء مسَّ واقعيتها بيديه، فتفرُّ مِنْ كفِّه، ولا يصلُ إلى طموحاتِ نفسه، وتحقيقِ حاجاتهِ حتَّى يقتنصَهُ الموتُ، وكُلَّما تجددت له حياتُهُ مِنْ زرعِ أملٍ مخضوضرٍ، كاخضرارِ الرياحين فِيْ فصلِ شبابٍ متوثب، وإذا انطوى هذا الفصلُ، وذرَّف على عتبةِ الخريفِ.. ذبُل أملهُ وأصفر كاصفرار ورق الغصونِ فِيْ كفِّ الخريف.

قَدْ تعود على المرءِ هذه الآمال، الَّتي قَدْ يُطيلُ فِيْ آفاقِها الكدح بالضرر.. إنْ هيَ طالت، وقَدْ تطول وتعود بهِ الحياةُ فِيْ مد ارجها، على عتبةِ ثلوج السِّنين حتَّى تُفني بشاشَتهُ، وتُمحي بسمتهُ، وتُنسيهِ حلاوة ما تمتع بهِ فِيْ تلك الأيَّام الماضية فِيْ عُرسِ شبابِهِ.. فيرى بعد انتهاء شوقها إلا فناءَ بشاشتهِ، وبوخَ شوطِها، فلا يحسُّ إلاَّ بمرارةِ بُقيا صبابة مِنْ عيش شيخوخة واهنة، وأطياف غروب مُتدلية، بما تبقَّى لهُ مِنْ عيشٍ كله صابٌّ ومرٌّ وألمٌ، يلازمُهُ ملازمة الظلِّ فِيْ محيطه كُلَّما حاول التَّحرك، ويثب الخيال فلا يقف فِيْ هذا المحيطِ (مَحيط الألم) بل يثورُ

طوفاناً هائجاً تحت جُنحٍ عاصف، فتخونهُ الأيَّامُ، فلا يرى فِيْ مناظرِها الحلوة الجميلة منظراً يُسليه، أو يسرهُ، إلاَّ ما تضبب فِيْ عينه مِنْ قتامِ ليلٍ وشيخوخة واهنة.. إنْ بقي لهُ بصيصٌ مِنْ ضوءٍ يبصر بهِ، وإحساسٌ يحسُّ بهِ إذا لَمْ يتحول إلى شخصٍ خرفٍ، لا يدري ماذا يدورُ حولهُ، أو إلى قطعة ألمٍ.. يجري فِيْ عروقه، كلهيب مُستعرٍ فِيْ دمهِ، وهُوَ يتشبَّثُ بأهداب هذه الحياة، كما يتشبثُ غريقٌ بطُحلبٍ، ويتعلقُ بماضيه، ويجتره اجتراراً، وهُوَ يسحب خلفه أطيافَ أعوامٍ ثقالٍ زرعت فيه الضعف، والوهن، ومشت على جبهته وجسمه تخددها، وتخطُّ، وترسمُ خطوط الأيَّام الَّتي لا ترحمُ، وتمرُّ مرور عجلة الزمن القاسي على البشريَّة حتَّى تنطوي، وتمر طيوف الغروب، فتغربُ شمسُ كل شخصٍ وراء الحياة، لحياةٍ أُخرى.. الَّتي لابُدَّ منها لكل بشرٍ.

والشَّاعر فِيْ رسمتهِ الَّتي لا تتجاوز أصابع اليد، رسم لنا حياة المرء، وبعد انتهائه مِنْ هذه الدُّنيا، فكل شخص عندما تنطوي حياتُهُ، ويعود ظلاً مِنْ ظلالِ الغروبِ، وينتقلُ نقلةً مِنْ هذا العالمِ الفانِي، إلى مقرِ العالمِ الأُخروي الباقي، إلى النَّعيم إنْ كان مِنْ السُّعداءِ، أو إلى جحيمٍ إنْ كان مِنْ الأشقياءِ، ينقسمُ الَّذين خلَّفهم وراءهُ فِيْ هذهِ الدُّنيا إلى قسمينِ (شامت بموته، ومادحٍ ومطرٍ له يُعطر سامعيه بما فيه من أخلاقٍ) فكأنَّ الموت أسدل على عيوبهِ ستاراً، وفتح الأعين على محاسنهِ.

أمَّا الشامتون بهِ: فهؤلاءِ لَمْ يكونوا قَدْ حالفتهم الحكمةُ، لأنَّهمُ شمتوا بحدث سوف يشربون كأساً مِنْ كؤوسه، وهذا ليس مِنْ صفاتِ العقلاءِ، الَّذين يرون بأعينهم مصارعِ البشريَّة، تحت أقدام أشعةِ الشَّمس، وأطياف اللَّيل.

ولكنَّ الشَّاعر رسمَ هذه الخلجات، فِيْ تعبيرٍ كاشفٍ عمَّا فِيْ هذه الأنفس، الَّتي لَمْ تبصر الواقع والعاقبة، وضببً فِيْ عينِها الحقدُ والانتهازيَّة، الَّتي لا تعقبها إلاَّ الحسرات والندم، ولا تردُّ عليهم بمردودٍ يثمر لهم بخير.

هذه حروفٌ مِنْ خطوطِ رسمة صورنا فيها حقيقةً، رسمها هذا الشَّاعر الجاهلي، الَّذي كَأنَّما هُوَ يعيش على صعيدِ حياتِنا الجديدة، ويُشاركنا آمالنا، وآلامنا، وصدق نبيُنا العظيم خاتم الرسل – صلَّى الله عليه وآلهِ – حيثُ قال: –

(إنَّ مِنْ البيانِ لسحراً، وإنَّ مِنْ الشّعرِ لحكمة)

١٤١٧/٠٨/١١هـ

١٩٩٦/١٢/٢١م



"رسمت قلبي"

ديوان شعر للشَّاعر / عبد الواحد الشَّيخ حسن الشَّيخ علي الخنيزي» النَّاشر / مكتبة الأنجلو المصرية «وقَدْ نُشر هذا المقال بمجلة الواحة بالعدد الخامس عشر بالربع الثاني ١٤٢٠هـ ١٩٩٩ م - ص ١٥٧



لقَدْ تكررتْ مني رسالةٌ ضوئيَّةٌ مِنْ حروف فِيْ مقالاتٍ شتَّى، وجهتّها إلى مفكري القطيف، وهمستُ فِيْ آذانهم، أو صرختُ صرخةً كما يصرخُ الشَّخصُ فِيْ واد، فتضيع تلك الأصداء، غير أنَّني لَمْ أتمثَّل بصرختي هذه.. كالصَّرخةِ الضَّائعة فِيْ وادٍ يضيعُ فيه الصدى، وتنتهي فِيْ اللامحدودِ، وتموت بموت مُصرِخِها.

إنَّني طموحٌ فِيْ زرعِ هذه الكلمة، حتَّى تنمو وتخضوضر، فتكون كالسِّنديانة تمدُّ فروعَها، وتأتِي أُكلها، فتنبتُ السوسنَ والوردَ، وتفرشُ تاريخ القطيف بالحرف الأخضرَ، تبصر مِنْ خلاله عقولاً تنسابُ كأنوارٍ تُنيرُ معاطفَ التَّاريخِ.

إنَّ رسالتي الضوئيَّة، الَّتي وجهتّها طالباً فيها: العناية بتُراثِنا الفكري، ماضياً، وحاضراً (فإنَّ مَنْ ليسَ لهُ تاريخٌ ماضٍ فلا حاضرَ لهُ) فإن الماضي له دورٌ تأثيريٌّ فِيْ حاضر المجتمعِ القطيفي، ودورهُ الاجتماعي، ودور القطيف فِيْ التَّاريخِ، وحضارتها القديمة، وما لها مِنْ إثراء فكريٍ، وحضاريٍ، وحياةٍ زراعيَّة مخضوضرة، يبست على كفِّ الزَّمن القاسي، وأبعادٍ سياسيَّةٍ، ووطنيَّة فِيْ التَّاريخِ السَّحيقِ، والحاضر القريب.

هذه رسالةٌ ضوئيَّةٌ: الَّتي هتفتُ فيها بمفكري القطيف، أملاً أنْ يسيروا على ظلالِ هذا الضوء، كي لا يضيعَ حاضرهم – كما ضاعَ ماضيهم، وأنْ نتناسى الظَّاهرة النَّفسيَّة الَّتي تأصلتْ، وامتدَّت جذورُها فِيْ النِّفوسِ: فتأصلتْ مُنْذُ الفجرِ الأوَّلِ لهذا الوطن حسب ما استقرأتُهُ، واستشففتُهُ مِنْ مرآةِ عصورٍ، ذهبتْ فِيْ تاريخِ الضَّياع.

أمَّا ما درستهُ فِيْ آفاقِ مفكرينا الجُدد، الَّذين قَدْ يحفلونَ بتراثِ الآخرين، ويُهمِّشون مفكريهم، فيعيشون على غيرِ مائدتهم، إلاَّ نُدرةً مِنْ هؤلاءِ، وقلَّةٌ الَّذين هُمْ حفلوا بتاريخِ مُفكريهم، ورسموا خارطةَ قطيفهم 'الواحة الخضراء' الَّتي تحْلُمُ على هذه الشُّطآن (شطآن الخليج الزرقاء) فهم على وفرٍ مِنْ السبقِ، والفضيلة.

فلنتناسى الحسد الَّذي لا يرحمُ، وما حلَّ فِيْ قلبِ أُمَّةٍ، إلاَّ وحرقها بنارهِ، وبالتَّالي أبادها.

كما أنَّ آمالي فِيْ الجيلِ الصَّاعدِ الجديد، حسب ما أقرأهُ مِنْ هذه النَّفسيات، سيكون مسارها غير مسار أولئك القدماء.

أيُّها المفكر.. أيُّها الأديب، إذا كنتَ مفكراً، وتُدرك ما وراءِ دراستك إلى تراثِ زميلك، وإشادتك به.. ففيه صورٌ تكشفُ لكَ خطواتك الَّتي تصعدُ بكَ شوطاً على أُفقٍ بعيد المرمى، وتخطو بكَ، وبِمَنْ كتبتَ عَنْهُ إلى آفاقٍ واسعةٍ فِيْ الفكرِ، والواقع حتَّى تبعثَ وطنكَ مِنْ إهماليَّة حياةِ مغمورٍ إلى حياةٍ واسعةِ الأصداء.. جديدة الشَّباب.. مُتألقة الأرجاء، فتكونُ نقلةٌ مِنْ مرحلةِ المغمورية إلى رُتبةِ الشُّهرةِ الواسعة الآفاق.. المنفسحة الأجواء، المشرقة بأنوارِ ثقافتِها، وفكراً جوَّالاً، كأضواءِ الشَّمس على هذا الكوكب.

فإنَّنا نعيشُ فِيْ عصرٍ: أصبحَ كأنَّهُ قطعةٌ واحدةٌ، يتصلُ أفرادهُ بعضُهم ببعض، عَنْ طريقِ الرؤيَّة والسمع، فِيْ كُلِّ دقيقةٍ يُستجدُّ فيها مِنْ إيقاعاتِ أحداث، وأنباءِ حوادثٍ فِيْ هذا العصر على هذه الكرة، فإنَّهُ عصرٌ منفتحٌ بكُلِّ ما تحمل هذه الكلمةُ مِنْ معنى الانفتاح، ومتحركٌ كحركةٍ مستمرة، فقَدْ تحرَّكَ فيهِ حتَّى الحجر الجامد، وتكلمَ فيهِ الحديدُ الصامتُ، فهو عصر المعجزات، وعصر الكمبيوتر، وما فيهِ مِنْ تطورٍ فكريٍ، منذ فجرِ

الإنسانِ الأوَّلِ، يتطور مع مواكبة تطور الإنسان.. ما بقي يعيشُ على هذا الكوكبِ.

ولنأخذُ مِنْ بعضِ الثَّقافاتِ مثلاً حيّاً، فقَدْ كان بين: الدُّكتور / طه حسين، والأُستاذ / إبراهيم المازني.. خصومة عنيفة بلغت شوطاً، حتَّى خرجت عَنْ حدودِ الآدابِ، ونزلت إلى حضيضِ التُرَّهاتِ، والسُّخرية، ولكنَّهُ عندما توفي المازني، تناسى الدُّكتور / طه حسين هذه الخصومة، ليزرع فِيْ أرضِ الثَّقافة بذوراً فتأتي أُكلها فأمر بتعليم أبنائه مجاناً، ونادى بطبع آثارِهِ وكان حينئذٍ وزيراً للمعارف، وكأنِّي برد جواب الدُّكتور إلى استفهامٍ إنكاريٍ موجَّه إليه عَنْ هذه الخطوات الفاضلات.. إنَّ هذا هو مجد مصر، وإنَّني كرَّستُ حياتي إلى مصر.

إنَّ هذه الحكاية سواء إنْ كانت، أو لَمْ تكنْ، وكيفَ كانت تعطينا لوناً مِنْ ألوانِ نظرات المفكِّرين، الَّذين لا تقف نظرتهم المحدودة بين أقدامِهم، بل تنفذ إلى ما وراءِ جُدرانِ الزَّمن المستقبلية مهما تطوَّرتْ تلك الأفكار وتخاصمت، وتناحرت فِيْ معاركَ فكريةٍ قلمية، الَّتي هيَ أمضى مِنْ الصمصام، فارتباط هذه القصة الفكريةً، لما أسلفتُهُ مِنْ إشارة، إلى ما وراءِ الإهمال.. إلى التُّراثِ لتُعطي دفعةً ضوئيَّةً مِنْ الإنعاش الجاد، فِيْ المحافظةِ على تراثنا.

ولكوني أتحدثُ عَنْ شاعرٍ، ارتبطت حياتُهُ الأدبيَّة بانبثاق فجرِ الحياةِ الأدبيَّة الرومانسيَّةً، وسار مع الكواكب، الَّتي لمعت فِيْ سماءِ الفكرِ القطيفي، وكتب كما كتبوا، وقرأ فيما قرأوهُ مِنْ دواوينَ شعرٍ محدثة وقديمة، وشارك فِيْ النَّدوات الفكريَّة، والسَّمراتِ الأدبيَّة، وفِيْ النَّادي السيَّار الَّذي أعطيتُ عنهُ لمحةً

فِيْ (خيوط من الشَّمس) فِيْ أحدِ فصوله، الَّذي يصورُ الحياة الأدبيَّة الرومانسيَّة فِيْ القطيفِ.

وإنَّني أُريدُ فِيْ هذه الأحرفِ أنْ أُديرَها، وأقصرها على ديوانِ (رسمتُ قلبي) كي لا تصدق عليَّ مقولة 'الإهمال إلى التُّراثِ' ما دمتُ أستطيعُ أنْ أُلمَّ، وأكتبَ عَنْ تراثنا.

وقبل أنْ ندخُلَ إلى فواصلِ الدِّيوان، فلابُدَّ مِنْ لمحة مقتضبةٍ عَنْ حياةِ الشَّاعر، والآفاق الَّتي سارَ فيها، ولدَ الشَّاعر فِيْ شهرِ جمادى الأولى عام خمسة وأربعين بعد الثلاثمائة والألف هجرية، وتوفِّيَ فِيْ التاسعِ عشر من شهر شعبان مِنْ عام واحد بعد الأربعمائة والألف هجرية، الموافق ميلادي.. الواحد والعشرين من شهر يونية عام واحد وثمانين بعد التسعمائة والألف، ونشأ فِيْ أفقٍ علميٍ، تحت ظلِّ جده الإمام الشَّيخ / علي أبي الحسن الخنيزي، حيث هذه الدوحة المباركة، تُغطِّي بفروعها الخفيد الشَّاعر، ووالده الشَّيخ / حسن، عَنْ وهجِ حرارةِ هذه الحياة، ولهبِ كدحِها المرير، فأدخلهُ جده الكُتَّاب، الَّذي كان يُديرهُ فضيلتا الأُستاذين.. الشَّيخ / محمَّد صالح، وأخوه الشَّيخ / ميرزا أبني الحاج / حسن البريكي، وكان ذلك الكُتَّاب هُوَ قمَّة الكتاتيب فِيْ ذلك العصر، وقَدْ أعطيتُ عَنْهُ لمحةً تفصيليَّةً، وعَنْ سيرِ طبيعته فِيْ كتابِي (خيوط من الشَّمس)، فتعلَّم فِيْ الكُتَّاب ما يتعلَّمهُ الطَّالب فِيْ ذلك العصرِ، مِنْ كتابِ الله، وما يُعرف بالخطِّ والحساب، الَّذي نُعبِّرُ عَنْهُ اليوم بالرياضيات، ثُمَّ درسَ القواعد فِيْ اللُّغةِ العربيَّة، فقرأ كتاب الإجروميَّة، وكتاب قطر الندى وبل الصدى، وألفية ابن مالك، على يدِ الحاج / أحمد بن محمَّد حسن علي الجشي، كما درسَ

كتاب المُغني لابنِ هشام على يديَ، كما أستلهم مِنْ أشعةِ إلهام سماءِ جده، وكان معلمُهُ الَّذي وجَّههُ فِيْ مسارِ أفقِ الشِّعر والأدبِ، عمُّهُ العلاَّمة الشَّيخ / عبد الحميد الشَّيخ علي الخنيزي الخطي، حتَّى أخضوضر وأذاع عطره.

فلأعُد وأسلِّط البحث الضوئي على هذا الدِّيوان، بعد رحيل الشَّاعر فِيْ ذمَّةِ التَّاريخِ - أسألُ الله لي وله المغفرة والرضوان ودار القرار - وأهمس فِيْ أُذنه لعلَّهُ يسمع صوتي، وهو فِيْ عالمِ اللامحدود عالمِ الرُّوح، عالمٍ جاور فيه ربّاً رحيماً، وخالقاً غفوراً، غمرته رحمته بألطافه، إنَّهُ اللطيف الخبير ورحمتُهُ أوسعُ مِنْ كُلِّ شيءٍ، ومغفرته أكبر مِنْ ذنوبنا.

هذه أحرفٌ هيَ مدار بحث، وعلى ضوئها نفتحُ هذا الدِّيوان، لنقرأ ما بينَ دفتيهِ، أسماهُ شاعرُهُ بكلمةٍ: هيَ كلمةُ حُبٍّ وغرامٍ.

(رسمتُ قلبي) ديوان أحد أدباءِ القطيف، وأحد نجومِ سماءِ الحياة الأدبيَّة الرومانسيَّة، ومِنْ أوائلِ روادِها الشَّاعر / عبد الواحد الشَّيخ حسن الخنيزي، ولَمْ يترك مِنْ أثرٍ سوى هذا الدِّيوان، وقَدْ طبعهُ فِيْ حياتهِ، فأحسن لنفسه، وأحسن لوطنه، وإنَّه أخبرني: قَدْ كتبَ بعدَ طبعِ هذا الدِّيوان، بعض مقطوعاتٍ مِنْ الشِّعرِ، لا تتجاوزُ أصابع اليد أو تنقصُ قليلاً، ولا أعلمُ أين مصيرُها، ولو لَمْ يُطبع هذا الدِّيوان فِيْ حياتِهِ لضاع والتهمهُ العدم، كما ضاع غيرُهُ مِنْ آثارِ مفكري هذا الوطن.

وهذا الدِّيوان يتكونُ مِنْ مائة وأربعة وأربعين صفحة، مِنْ حجمٍ صالحٍ للجيْب، ويضم بين دفتيهِ تسعاً وثلاثين قصيدة، وكله يكاد أن يكون لوناً واحداً 'النسيبْ' الغزل الَّذي يتغزل بنصف الإنسان.. بالمرأة فاتنة الرِّجال، وملكة القلوب، وقَدْ

تمردتْ منه بعضُ القطع، كالقطعة الَّتي هيَ فِيْ أبنه ممدوح، وقَدْ ختمها بخاتمةٍ فيها إبداعٌ، وزخمٌ، وهُوَ يصوِّرُ الحياة الملائكيَّة، وهيَ حياة الطفولة البلهاء البريئة: -

إنْ قلت بابا غنَّت الدُّنيا، وأشرقت

أو قلت ماما!! رفّتْ الآمال زاكيةَ النفاح

والدِّيوان مشرق الدِّيباجة، قطعةٌ مِنْ الموسيقى.. تنسابُ كلحنِ موجٍ نهرٍ صافٍ، وهُوَ ناعمُ الكلمات.. منتقاة الألفاظ، ونحلل هنا قطعةً مِنْ قطعهِ النسيبية، التي هيَ بعنوان:

نوال

يا نُقرةَ القيثار يا أُغرودَةَ الكُروم!

يا نَجمةٌ تألَّقَت... فانجابَت الغيُومْ!

وأملاً غَنَّى.. لنا فبَددَ الوُجُوم!

نَوالُ! يا مَزرَعةً على ذُرَى النُجوم!

عَينَاك جَدوَلان من مَنابع الخُمُور

ومَوجَتَان انسابَتا من عَالَم الحُبور

تَغرقُ فيهما السكَارَى، وتنتَشي الدُهُور

وناهداك بُرعُمان نَثَّ منهُما العَبير

ونَجمتَان احتلّتَا مَساربَ الشُعور

بينهما تنَسابُ نَشوَى مَحاجرُ النسور

وتَنثَي سكرانَة الأحدَاق من سحْر ونُور

نَوالُ! يا هَمسَ ارتعاشَة العَبير في الزَهَر

وتَمتمـات البَـوح عربيـداً علـى فَـم الوَتَـر!

وأمَــلاً غَنَّــى لنــا فَانهمَــرَ المطَــر!

وأخصَــــبَ الــــثَرى وأورَقَ الحَجـــر

وارتَجلَــت سُــفوحُنا أطَايــبَ الثَّمَــر

دُومـــــي كمــــا شَـــــاءَ الهَــــوَى

مَزرعَــــــةً علـــــى القَمَـــــر

مَشاتلاً مـنَ الضيـاء في الرُبَـى والمنحـدر

وفكـرةً جَامحـةً تمـرّدَت علـى الفكَـر

وقفـةً تأمليةً معـي عنـد هـذه القطعـة السِّـيمفونيَّة، لنلمس فيها تصويراً فنيّاً، وحُبّاً مجسَّداً فِيْ قلب نابضٍ يذوبُ آلامـاً مِـنْ الحسراتِ، ولهفةً مشبوبةً تتنزَّى مِنْ خـلالِ هـذه الحـروف، تكاد أنْ تقفز مِنْ عالـم الخيـالِ إلـى عـالمِ الواقـعِ، ولنَطُـف فِيْ آفـاقِ هذا الدِّيوانِ، لنقرأ قطعة أخرى بعنوان: -

أعشقُ فاها

قَـــالوا: تُحَـــبُ نَـــوالاً؟ فَقلـــتُ: أعشَـــقُ فَاهــــا!

كَـــمْ قُبلَـــة... لَحَنْتُهـــا علـــى فَمـــي شَفَتَاهــــا!!

هذان البيتانِ صوَّرَ فيهما الشَّاعرُ معنىً سحريّاً، لا يتذوقُهُ إلاَّ أرباب الفنِّ، الَّذين هاموا فِيْ آفاقِ الجمالِ، وعشقوه: -

قَـــالوا: تحـــبُ نَـــوالاً؟ فَقلـــتُ: أعشَـــقُ فَاهــــا!

إنَّ السرَّ فِيْ الفنِّ: هُوَ جواب المتسائل بجوابٍ رمزي، يوضح مـا وراء الصور، فقَدْ أشرتُ إلى أنَّ هذا الدِّيوان لا يكاد يفلتُ مِنْ إطارِ التَّغزُّل بوصف المرأة، وصف جسدها الشهواني الفانِي، ولَمْ يصف

شاعرنا الرُّوح الَّتي تحملها المرأة فيْ طيَّاتِها، وتتسكب على خُلقِها الرَّفيعِ، وتعيشُ بها فِيْ حياتِها الزَّوجيَّة، وتربية الأجيال.. فهيَ كمربية مِنْ أكبرِ المربيات، الَّتي يعجز الرَّجل أنْ يدخل هذه الحياة 'حياة العناصر التربوية' فلَمْ يشر شاعرُنا إلى هذه الآفاق، الَّتي هيَ أبقَى مِنْ الجسدِ، وعليها مدار المجتمع، فالأُمُّ كمدرسة إنْ صلُحتْ.. صلُح المجتمعُ، وإنْ فسدت.. فسد المجتمعُ، وليتَ الشَّاعر نفذ إلى وصفِ ما وراء المادة.. إلى روحِ حوَّاءَ، وطبيعتها الخُلقية، وآفاقها البيتيَّةَ، وأحلامِها الأُمومية، الَّتي لا يستطيع الرَّجل أنْ يسد مسدَّها، فِيْ هذا المجال 'مجال التَّربية للبنينْ' الَّتي هيَ مِنْ أصعب ألوانِ الحياةِ البيتيَّة، بل هيَ أصعبِ عقدةٍ مِنْ عقدِ الحياةِ الاجتماعيَّة.

ولنعُد إلى آفاقِ الدِّيوان، لنقرأ قطعة أخرى تحت عنوان:

حكاية موعد

لَوَّحَ الفجرُ كفَّهُ، فانطَوَتْ منْ ... صَفْحة الكون بردةُ الديجور

فاستَفاقَتْ، جذلانةً تتثنَّى ... وتغنِّي، مغرداتُ الطيور

وبدَى للعيان، ما كانَ قد أخفتْهُ ... كفُّ الظلام خَلفَ ستور

فإذا الحقلُ لوحة منْ جَمال ... أبْدَعَتْها كفُّ الصَناع القدير

زهرةٌ قرب جدول، وصداحٌ منْ ... هزار، وهمسةٌ منْ غدير

وبساطٌ منْ الحشائش زَاه ... نسَّقَتهُ يدُ الربيع النَّضير

والغصونُ الهيفاءُ تخطر نشوى ... كلما هَزَها نسيمُ البكور

مسرحٌ تسْبحُ النواظر فيه ... فترى كلَّ فاتن ومُثير

فَتراءَتْ خلفَ الرَّشيق منَ البان ... فتاةٌ مذهولةُ التفكير

لفَّها الحزنُ في وشَاح منْ الصَّمت ... فلاحتْ كقطعَة من صخور

وإذا الحرفُ ضَاقَ بالقصد ... صار الصمتُ أقوَى وسائل التعبير

هذه فاصلةٌ منْ فواصلِ قصيدة تربوا على خمسين بيتاً، صوَّر الشَّاعرُ فيها منظر الطبيعة، لوحةً منْ اللوحات الزَّيتيَّة، هيَ فاتحة فصل القصة (**حكاية موعد**) فاستمر الشَّاعر فِيْ حكايتِه، وفصولِ قصتِه، وصوَّر فيها الهواجسَ، الَّتي مرَّت على هذه الفتاة، فِيْ تصورِها أنَّ حبيبها أخلفَ الموعد، فعاشت فِيْ جاحمِ ألمٍ مريرٍ تعد السَّاعات الثَّقيلة، ويمر عليها الوقت بطيء، كأنَّها تحملُ أثقالاً تُبهظُها، حتَّى تحوَّلت إلى صمت، كصمت الصُّخور، وصمتُها كان أبلغ منْ تعبيرِها، فأحياناً يكونُ بالصَّمت رموزٌ، وإشاراتٌ لا تؤديها الكلمات الفصيحات كرسائل الحُبِّ، والشَّوقْ الَّتي تختصرها العيون للعيون، فِيْ رمزِ جفنٍ، وإشارةِ عينٍ، وترجمةِ قلب لقلب، كشحنات كهرُبائيَّة تنتقلُ منْ الضَّوءِ إلى الضوءِ، فتذوب فيهِ، فتكون شعاعاً واحداً، أو بعبارةٍ أدق: كيف حان الموعد.. ولَمْ تحن ساعة اللقاء بحبيبها؟! ومرَّ الموعد مرور السَّحاب الجهام، فظنتْ بهِ هذه الفتاة الرَّقيقة الظُّنون، وراحتْ تضرب أخماساً فِيْ أسداساً، وكادتْ تموت اللهفة فِيْ قلبِها، وتيبس لُغة الحب على ثغرِها، وتحوَّلتْ إلى حياةٍ صامتةٍ، فكان الصَّمت عندها أقوى منْ وسيلةِ التَّعبيرِ.

وبينما هيَ فِيْ هذا الذُّهول العميق، الَّذي غرقت فِيْ أمواجِهِ، وغابتْ وراء اللاشعور.. لا تحس فِيْ أينَ هيَ تعيش، وكادت تأفلُ حياتُها الغرامية، لما تُعانيهِ منْ وجدِ حرِّ الصبابةِ الوالهة القاتلة، وفِيْ فجأة سحرية موقظةٍ يطلُّ عليها حبيبُها، كما يُطلُّ الفجر منْ كوى الظَّلماء، أو كالطلِّ على ثغرِ الزُّهور فِيْ صحراءَ ملتهبةٍ، فينساب عليها بردٌ يثلجُ قلبَها، ويفرخُ روعُها ويذوبُ غضبُها، ويتحولُ إلى هدأةٍ ناعمةٍ، وسمرٍ فيهِ ظفرٌ.. وأيُّ

ظفرٍ أعذبُ مِنْ لقاءِ الحبيب بحبيبته بعد يأسٍ مريرٍ، أوشك أنْ يفلتً هذا الموعد المضروب بينهما، ويغيب وراء طيوفِ الشَّمس:

فما صبابةُ مشتاق بـلا أمـل   من اللقـاء كمشتاق على أمـل

ثُمَّ نختارُ قصيدةً فيها شكوى وألم، تسيلُ فِيْ ظفرات، وأنَّات حرَّاءْ، وهذه مِنْ اللون الَّذي تمرد على قصائد هذا الدِّيوانً، لأنَّني قلتُ أكثرُ باقاته مِنْ ألوانِ النَّسيبِ، وهيَ الصِّبغة الَّتي أصطبغ بها الدِّيوان فِيْ صورهِ وتعبيراته فأحببنَا أنْ نَثبتها كاملةً، وهيَ قطعةٌ لا تزيدُ على ثمانيةِ أبياتٍ بعنوان: -

في ربيع الشباب

في رَبيع الشَباب كفَّنتُ أحلاَمي

وأودَعتُها حَشَا تجرياتي

وعلى مزهري ذبحتُ أناشيدي

وواريَت، في الثَرى، رَغباتي

ووأدتُ المنَى الحبيبةَ في فَجْر

صباها، وضيئةَ القسمات

لا رَبيعي طلقٌ، ولا صُبحُ أيَّامي

ضَحوكٌ، والبؤسُ في البَسمَات

سلبتني الأيامُ متعةَ أحلامي

العذارَى، ومأملي في الشَبَاب

تثب الذكرياتُ من جَدث

الماضيَّ جرحى، مخضَباتُ الإهاب

الليالي حَربُ العباقرة الأحرار

سلْمُ المنافق الكذَّاب

كُلَّمـــا ذرَّ في سماهـــا نَبيـــغٌ

جَرّعتـــه، بقســـوة، كـــأسَ صـــاب

وقفةٌ تأمُّليةٌ أمام هذهِ السِّيمفونيَّة، لنتذوق هذا الشِّعر.. الَّذي يسيلُ ألماً، ويذوبُ حسرات، فالشَّاعرُ يصوِّرُ حرمانهُ وبؤسهُ فِيْ الحياة، ويأسه المتضبب فِيْ سمائِه، الَّذي بطَّنَ حياتهُ بقطعٍ مِنْ اللَّيل المظلم، وأخرس شبَّابتهُ، فعادت بلحنٍ متفجعٍ باكٍ فِيْ هذه القطعة، فوأد أمانيهِ فِيْ طي التُّراب، وذبح بسماته على مذبحِ البؤسِ، فليس لديه صباحٌ يتمتعُ بضوئِه، ولا ليلٌ يُسامرُ قمرهُ، ونجومهُ.. فهُوَ غارقٌ فِيْ لُجَّةٍ مِنْ لُججِ اليأس، واليأسُ لا يرحمُ، ويُعطينا لوناً مِنْ ألوانِ محاربةِ الليالي للأُدباءِ والمفكِّرين، ولا تُهادنُ العباقرة، ولو لحظةً مِنْ اللحظات، كما تُسالمُ المنافقَ الكذَّابَ، الَّذي يعيشُ بشخصيةٍ مزدوجة، فيلبس برود الكذب، والتدجيل، ولكل ظرف لباسٌ، فالليالي هِيَ حربٌ للعباقرة، الَّذين يعيشون أحراراً، وسلمٌ للَّذين يُخاتلون فِيْ الحياةِ، ويلبسون اللَّيلَ لباساً يتسترون بهِ ليخفوا أعمالهم.

والشِّعر الدرامي: أي الحزين.. هُوَ لحنٌ مِنْ لحونِ الحياة، يتغنَّى بهِ المحرومون، ويستطيبهُ التُّعساء البائسون، وترتاح لهُ النُّفوس المعذبة فِيْ هذه الحياة، وقَدْ عزفتُ على هذا اللحن فِيْ فترةٍ مِنْ حياتي، حينما ضببت سمائِي آلامُ الفقرِ، وإصابتي بالعينِ، فانعكستْ صوراً باكيةً، وبُركاناً متفجراً فِيْ ديوانِ (النغم الجريح)، هذه جملة فاصلة تعريفية، أو اعتراضية كما يقولون.

فلنعُد إلى تكملةِ هذه القطعة الحزينة، الَّتي صوَّر فيها الشَّاعرُ فترةً مِنْ فتراتِ حياته الباكية، وهِيَ منسابةٌ فِيْ فواصلها الحزينة، تفصحُ عَنْ ألمٍ مريرٍ، كانسيابِ الألمِ فِيْ جسمِ العليلِ،

أو كالليل فِيْ صمتِهِ وأشباحه فِيْ مُقلِ التُّعساء، والشِّعر الَّذي يرتفعُ عَنْ التَّعريف، ويعطيكَ شُحنةً كهرُبائيَّةً، تهزُّ جسمك هزّاً، وأنتَ لا تشعرُ مِنْ أين فاجأتك هذه الهزَّة، فالوردةُ فِيْ جمالِها وسحرِها متفتحةٌ فِيْ غُصنها 'شعرٌ مِنْ أبدعِ الشِّعرِ' والقمرِ عندما يُلقي أشعتهُ كالدررِ فِيْ النَّهر 'مِنْ أبدعِ الشِّعرِ وأفتنه'.

إنَّ أبدع الشِّعرِ: هُوَ جمال الطَّبيعة.. الجمال الَّذي يُعطيك هزَّةً ونشوةً.. إنَّه الشِّعر المنظوم والمنثور، الَّذي خلقهُ خالقُ الطَّبيعة والسَّماواتِ والأرضِ.

فالدِّيوان: هُوَ فِيْ رسمته الرَّشيقة، وأسلوبه السَّاحر، هُوَ شعرٌ كشاعرهِ، الَّذي كان فِيْ أناقته مثالُ الأناقةِ إلى أبعدِ الحدود، وفِيْ شكلِ هندامهِ يُضربُ مثلاً بذلك الهندام إلى أناقة المتأنقين، وفيه ظاهرةٌ مِنْ مظاهرِ الحياة الخُلقية 'الإنصاف' فهُوَ لا يغمطُ حقاً لذوي المفكِّرين، بل يعطي النصفَ مِنْ نفسه، وهذه ميزةٌ تميزُهُ بصفات كريمة، يستحقُ الإشادة بها، وكان رحمهُ الله لا ينفكُّ عني، فهُوَ يلازمُني ملازمة الظلِّ للشَّاخص فلذلك أحسستُ عند موته بفراقٍ مُرٍّ، وفراغٍ فِيْ عيني، ولكنَّها نقلةٌ مِنْ العينِ لتبقى صورةً فِيْ القلبِ حيَّةً، ولا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله.. والأمر كله لله، وهذا ما أردت تبيانهُ فِيْ هذا الحرفِ عَنْ هذا الدِّيوان فِيْ هذا البحث، ولعلِّي أديتُ بعض الحق، ووفيتُ بهذه اللمحة لأبنِ أخي، كرائدٍ مِنْ روادِ هذه الحركة، وكوكبٍ مِنْ كواكبِها اللامعة السيَّارة، الَّتي سطعت فِيْ سماءِ أدبِ القطيفِ.

١٤١٨/٢/٢٥ هـ

١٩٩٧/٦/٣٠ م



مدخل

نُشر هذا المقال مدخلاً في كتاب الخطي في نظر المثقفين في الطبعة الأولى وفي الطبعة الثانية 'شهر ربيع الثّاني ١٤٢١هـ'



بســم الله وبه نستعين

إنَّ لكُلِّ مدينةٍ، أو حقلٍ، أو قصرٍ، أو كوخٍ.. مدخلاً يُجتازُ منْهُ لتلك المدينـة، أو ذلك القصر، أو الحقل، وإنَّ مدخلـي هنـا محفوفٌ بمصـاعبٍ، وقتادٍ لا لكونِ الطريـقِ شـائكةً، ولا لما هُوَ بين يدي مِنْ حقلٍ ملونٍ بـالورودِ، والزنـابق، لأنَّنـي أُريـدُ أنْ أُديرَ حديثـي عَـنْ مـا وراءِ أعمـاقِ هـذه الكلمـات.. لا عَنْ صورتهـا الحرفيـة، إنَّمـا الإشـارة الضَّوئيَّة لِمَنْ صَوَّرته فِيْ حـروفٍ خضـراءَ، أو رسـماتٍ جسَّدت مَـنْ رسمت، فِيْ بعضِ معانيهِ مِنْ محاسنه الكُثْر.

فأنا أقفُ كموقف المتهيب، الَّذي يبصـرُ مِـنْ شـاطئه أنـواراً، تكادُ أنْ تخطفَ بصرهُ، فليس هنـاك عقبةٌ تحولُ بيني، وبين هـذه المجموعة الملوَّنة بشتَّى الباقات، مِنْ شعرٍ ونثرٍ، فـالقولُ فِـيْ هـذه الآثارِ، والتَّقرير فِيْ هذه الحروفِ.. لَمْ يكن بالعقبة الكؤود.

فلعـلَّ مِنْ الخيـرِ أنْ أحكمَ عليهـا، أو لهـا فـأكونَ مصيبـاً، أو مخطئاً، ولكنَّ السرَّ يكمـنُ فيمـن قيلـت فيـه، فهُـوَ كمـا قـررتُ إنَّـهُ أُستاذي الثَّـاني بعـد أبـي، وقَدْ قـررتُ واعترفـتُ بـالتلمذة فِـيْ مقالاتٍ كُثرٍ، ندَّت مِنْ شفتي، والتلميذ قطعةٌ روحيةٌ مِنْ أُسـتاذه، فيصعبُ على التلميذِ فيمـا يصعـب التحـدث عَنْ أُسـتاذه، لأنَّـهُ لا يُوَّفيه حقه، مهما رسمت تلك الرِّيشة مِنْ فنٍّ، فهـيَ لا ترسـمُ إلاَّ بصيصَ ظـلالٍ مِـنْ الظَّـاهـرِ لا تنفـذ للأعمـاق، وقَدْ رسـمتُ لـه صورةً مقتضبــةً، لَـمْ تـوَّف علـى شـخصيته، ولَـمْ تعـطِ الصُّـورة الكاملة، للعوامل الَّتي أشرتُ لها، كما تجدها فِيْ بعضِ البحـوث

الَّتي كتبتُها، فهُوَ صاحبُ مدرسةٍ فكريةٍ، وأوَّلُ واضعِ لبَنةٍ فِيْ هيكلِ الشِّعر الجديد، فِيْ بلادهِ القطيف.

فالعلاَّمة الأُستاذ الشَّيخ / عبد الحميد الشَّيخ علي الخنيزي 'الخطي' لو لَمْ يكن مِنْ شعب مغمور، لكان لهُ دورٌ غير الَّذي كان، فالشَّعبُ المغمور لا يصلُ إلَى رتبةِ الجندي المجهول، الَّذي درَجتْ عليهِ الدُّولُ المتحضرة فِيْ هذا العصر أنْ تُقيم رمزاً، وتنصب تمثالاً لرميمِ أشلاء، طحنتها الحرب يُسمَّى باسمِ الجندي المجهول، لذلك الجند الظَّافر، أو المهزوم، وتحتفلُ بهِ فِيْ ذكرى كُلِّ عامٍ، وتنثرُ بين يديهِ الأوراد، والرَّياحين.

أمَّا الشُّعوب المغمورة: لَمْ تحظَ حتَّى بمميزاتِ الجندي المجهول، ولا ترقى للاحتفال بآثارِ عباقرتِها، لأنَّ قادة الفكر فِيْ الأكثرِ لا يُقيِّمُونَ ما قيلَ، وإنَّما يُعشيهم بريقُ مَنْ قال، فيظلُّ ذلك الشَّعب المغمور مغموراً، حتَّى يُقَيِّضَ لهُ اللهُ مَنْ ينصبُ له تمثالَ الجُندي المجهول، ويُقيمُ له الاحتفالات، ويبَّصرُ الأعين إلى الأنوارِ الَّتي تتلألأُ فِيْ سمائهِ، وإلاَّ ضاع مع تاريخِ الأمسِ الغابر، برغمِ العباقرة الَّتي ولدت على أرضيتهِ، ولمعت كواكباً فِيْ سمائه.

ولعلِّي أُعزي ضياع تاريخ مفكري أهل القطيف 'بلاد عبد القيس، وتغلب، وبكر، ووائل' للظَّاهرة النَّفسيَّة الَّتي أشرتُ لها، وجسَّدتها العقدة النَّفسيَّة، الَّتي هيَ مركَّب النَّقص، أو الحسد فِيْ نفوسِ مفكرينا، ولعلَّها ولدت منذُ فجر التَّاريخِ الأوَّل مع الإنسان القطيفي.

فالأديب القطيفي: لا ينوِّهُ عَنْ زميلهِ، بل يغمطُ فضلهُ، ويغلِّفُهُ بستار الإهمال.. حتَّى يبتلعه الزَّمن، وكم مِنْ مُفكرين قطيفيين ابتلعتهم الحياة، وضاعوا في أعماقِ الزَّمن السَّحيق، لَمْ

ينتفضوا فيزول عنهم القبر، والكفن، ويُشاركون الأحياء فيْ ضروبِ عيشهم، وذلك للأسلوبِ الَّذي بُطِّن بالإهمالِ والضَّياع، وقَدْ بقيت هذه الظَّاهرة النَّفسيَّة حتَّى يومنا هذا، وقَدْ أشرتُ لها فِيْ كتابيَّ ﴿خيوط من الشَّمس﴾ و ﴿أضواء من النقد في الأدب العربي﴾.

وتكراري لهذه الظَّاهرة: للوخزات النَّفسيَّة، والحسرات الرُّوحية نتيجة الإهمال المسرف، المتعمَّد مِنْ بعض أُدبائِنا، الَّذين يحترقون بخوراً فِيْ مجامرِ آثارِ أُدباءِ غيرِ القطيفيين، ويعيشون على مأدبةِ غير مفكريهم، وقَدْ رفعتُ صوتي لعلِّي أُوقظُ المتناومين، وإنْ لاح لي فِيْ عتمةِ ليلِنا أضواءٌ، تبشِّرُ الساري بميلادِ صباحٍ فِيْ جوِّنا الدامس، وتشعرُ بميلادِ أفقِ تفكيرٍ جديد، وإنْ كانت على ندرة، قامت شريحةٌ مِنْ أدبائنا مشكورةً بتسجيلِ تاريخِ أُدبائها، ومفكريها، والتَّباشير فِيْ الأفق تفرج مِنْ الضَّبابِ المتراكم كوىً، نطلُّ منْهَا على حياة مِنْ مفكرين مُنصفين، قَدْ تجسَّدت فِيْ هذه المجموعة، الَّتي بين يدي، صدرت مِنْ أقلامِ أُدباءَ، تحوَّلت خواطرُها إلى حروفِ شعرٍ ونثرٍ لحريٌّ بأنْ أقولَ إنْ جازَ ليَ القولُ:

إنَّ حياتَنا الأدبيَّة القطيفيَّة صحتْ مِنْ غفوتها، وعاد للحسِّ دورٌ يشعرُ بالفضيلةِ ويقدرُها، ويُشيدُ بها، ويهتفُ بمجدها، لأنَّها جُزءٌ مِنْ مجده وكيانه، وما هذه المجموعة، أو الأَلبوم مِنْ صورٍ لوِّنت بمختلفِ الرِّيشات لتزرعَ الكلمةَ الخضراء، فِيْ أُستاذِ الجيل المَروِّي للحرفِ الأخضرِ، والَّذي زرعهُ فنبت فِيْ طريقِ القطيف ورودًا، وأزهاراً تُذيعُ أعطارَها، وكواكباً تُنيرُ عتمتَها، هُوَ ذلك الأُستاذ العلاَّمة الشَّيخ / عبد الحميد الشَّيخ علي الخنيزي الخطي.

لقَدْ ذهبتُ بكَ يا قارئي بعيداً، وأنا أُريدُ المدخل لهذه المجموعة، الَّتي سأُطلقُ عليها اسماً، فأُسميها ﴿ألوان مِنْ الصور﴾ أو ﴿باقاتٌ من الورود﴾ وهذه التَّسمية تخضعُ لرأي أُستاذي الخطي.

وإنَّ شخصيَّة الأُستاذ صاحب المدرسة الحديثة فِيْ الشِّعرِ وأُستاذ الجيل، والموجِّه لهُ، فإنَّ أُدبائِنا الجُدد كلهم عاشوا على مائدتهِ، وشربوا مِنْ كأسهِ، وبعبارةٍ أدق: إنَّ الحركة الفكرية الجديدة فِيْ القطيف، سُقيت مِنْ ينبوعهِ، وشذَّب غصونَها، كما يُشذِّبُ البُستانيُ حقلهُ، حتَّى تفرعت، واستطالت سنديانةٌ تطاولُ بعُنقِها السماء.

ولهذهِ العوامل قلتُ: إنَّني أقفُ أمام شخصيةِ أُستاذي متهيباً، برغم طلبهِ مني أنْ أكتبَ لهذه المجموعة مقدمةً أي فسح ليَ الطَّريق، وسهَّل ليَ السَّير، ورفع لي المنار، ليُرشدَني فِيْ دروبِ الفكر، وأسلوب التَّحليل.

وبرغم ما أعرفهُ فيه، مِنْ نفسٍ حُرةٍ تؤمِنُ بحريةِ الرأي، والنَّقد البنَّاء، وترك الحرية لطلابه فِيْ تعبيرِ الرأي، وبرغمِ ذلك: فإنَّ مدخلي هذا شائكٌ، ولكنَّني سأُديرُ هذا البحث على نقطتين ضوئيتين دائرةٌ تكشفُ ما تحتويهِ هذه المجموعة ولو بحرفٍ مُقتضب ودائرةٌ تُشرقُ مِنْ أفقِ شخصيةِ أُستاذِنا العلاَّمة الخطي.

إنَّ الدائرة الضَّوئيَّة، الَّتي تكشفُ مرآةَ ما وراء هذه الكلمات الخضراء، فهيَ مختلفة الأُسلوب والصور، ومتباينة الأفكار.. موحدة الهدف، أُطرت فِيْ إطارٍ واحد، ولَمْ يكن لي هدفٌ مِنْ دائرتي الضَّوئيَّة، أنْ أضع هذه الآثارَ على سَّفُودِ النَّقد، أو بين يد النَّاقد الصيرفي، فهيَ تُشيرُ إلى تجسيدِ

شخصية زعيم عصرِنا الحاضر القطيفي، الَّذي لا يملأُ فراغهُ شخصٌ مِنْ الشَّخصياتِ، ولا يسدُّ عنهُ أحدٌ، فهُوَ يتميزُ بأناةٍ، ونظرات ثاقبة مستقبلية، تقرأُ فِيْ يومِها ما فِيْ غدِها.

فهذه الآثارُ جمعَتْ فكرةً، فِيْ أفقٍ ضوئيٍ، يُشيرُ إلى معنى شخصية واحدة، ويرمزُ لما فيها مِنْ فضائلَ وأخلاقٍ، وتُشيرُ إلى آثارِ الخطي، والعبقرية الفذَّة الَّتي رسمها بريشته، وجسَّدها بإزميلِهِ لوحات مِنْ الفنِّ فِيْ ﴿وحي الثَّلاثين﴾ و﴿اللحن الحزين﴾ و ﴿معركة النُّور مع الظَّلام﴾ و ﴿خاطرات﴾ و ﴿من كل حقل زهرة - رباعيات﴾.

إنَّ هذه الآثار لعميقة الفكرة، وجديدة الديباجة، ورائعة التَّصوير، وحينما تقرأُ للخطي تأخذُكَ النَّشوةُ، والهزَّةُ الرُّوحية، حتَّى ينطوي الوقت، وأنتَ غارقٌ فِيْ نشوتك الرُّوحية، لا تشعرُ بانقضاءِ هذا الوقت، ولا يعتاضُك ملَلٌ، ولا سأمٌ.

والشِّعر: هُوَ الّذي يُحدثُ فِيْ النَّفسِ إشراقةً ضوئيَّةً، يملؤها غبطةً، أو دمعةَ حزينٍ، أو نفثةَ مكروبٍ، أو جُرحَ جريحٍ، مِنْ جراحاتِ الزَّمن، وما أكثرُ جراحاتِ الزَّمنِ.

وقبل أنْ أطوي حديثي عَنْ هذه المجموعة الفكرية، أُحبُّ أنْ أُشيرَ إلى حقيقة تاريخيَّة، تتعلقُ بميلادِ أُستاذِنا الخطي، لئِلا تكونَ متضاربةَ الرِّوايات.. متباينة التَّاريخ.

فروايةٌ لبعض الأُدباء: أنَّ ميلاد الخطي عام ١٣٣٥هـ، والعلاَّمة الشَّيخ / فرج العمران عام ١٣٣٢هـ، والشَّيخ / نزار سنبل أشارَ لتاريخِ ميلادهِ ١٣٣١هـ، وفضيلة الأخُ الأُستاذ الشَّيخ / عبد الله أشار إلى ميلادِ الخطي عام ١٣٣١هـ، وهيَ الرِّواية التَّاريخيَّة الواقعيَّة، حيثُ سندُها ما كتبهُ، وأرَّخهُ والدُنا الإمام بقلمهِ، فِيْ

سجلِ دفترِ ميلادِ أبنائه، فأمام هـذه الحقيقـة التَّاريخيَّـة، تتبخـرُ جميعُ الرِّوايات، وتتحوَّلُ إلى ضباب يتبخرُ مع الأمسِ الدابر.

كمـا أُحـبُّ أنْ أهمـس فِـيْ أُذنِ الشَّاعـر / عدنـان السَّـيِّد محمَّـد العوامـي، كلمـةً تنبـعُ مِـنْ قلـبٍ يُحـبُّ لـهُ الازدهـار فِـيْ الحرفِ، وكلمتي هذه العتابية أو التَّوجيهية: -

كيـف سـاغ لشـاعرٍ موهـوبٍ أنْ يطـويَ القـرونَ القهقـرى، ويرجـع عَـنْ عصـرهِ، وهُـوَ يسيـر علـى طـائرةٍ جـامبو، عصـر الحاسوب، وعصر الكهرباء، وعصر المعجزات الفكرية، إلى سماءِ مائدة عصرٍ لَمْ يُعايش أسلوبَ حياتهم، وما فيها مِنْ ألوانِ عيشٍ، تعيشُ على رمالٍ، تتموجُ كما يتموجُ السَّراب تحت ضوء أشعة الشَّـمس، فِـيْ صحـراءَ ملتهبـةٍ، يسـيرون علـى الإبـلِ، ويرعـون الشـويهة، ويصفـون الغَضَـا والعيـس، إلـى أمثـالِ هـذه اللُّغـة الَّتـي تنفرُ المسامعُ منها وتشمئزُ الطبائعُ لها!!.

فـأنتَ فِـيْ قصيدتـك الرَّائيَّـة فاتحـة هـذه المجموعـة، سـرتَ بغير ما تسير به فِيْ هذا العصر، وطرتَ بغيرِ جنـاحك إلـى ذلـك الأفقِ، مستعيراً لُغة العصرِ القديم ﴿العيس، والغَضَا﴾.

وأنتَ الشَّاعرُ الموهوبُ، الَّذي غنَّى بجمـالِ المرأة، فِـيْ كلمـة خضـراءَ نزاريـة الديباجـة، ومـا أدري.. كيـف تحوَّلـتَ مِـنْ جـوِّكَ الشَّاعري النزاري إلى جوٍّ صحراوي!!.

أمَّـا الدائـرة الضَّوئيَّـة الَّتـي تَشـرقُ منهـا شـخصيةُ الخطـي، فـإنَّني أنقلُ بالحـرفِ الواحـدِ مـا كتبتـهُ عَنْـهُ فِـيْ ﴿خيـوط مِـنْ الشَّمس﴾ لتؤطِّر هذه الحلقات، وتُكمل الصورة.

العلاَّمة الشَّيخ / عبد الحميد، المولود فِيْ اليومِ الخـامس مِنْ شهرِ رمضـان المبـارك، عـام واحـد وثلاثـين بعـد الثلاثمائـة

والألف هجرية، فهو فكرٌ جوَّالٌ، وحركةٌ دائبةٌ لا تعرف الفتورَ فِيْ القراءة، والمطالعة. أعدّهُ والدهُ منذ الصغر للدِّراسة الدِّينية، فقَدْ درسَ فِيْ وطنه على بعض الأساتذة، ووالدُهُ مِنْ ورائِه يوجهُهُ، ويعلمهُ، ويشرحُ لهُ المسائل العلمية، والفكرية، والأدبية، فوالدُهُ أُستاذهُ الأوَّل، والنِّبراس الَّذي أضاء لهُ الآفاق العلمية.

وعندما بلغَ مرتبةَ سنِّ الزواج.. زوَّجهُ والدُهُ، وأرسلهُ للنجفِ الأشرف (حاضرة العلمِ والفكرِ) فِيْ شهرِ شعبان – عام ستة وخمسين بعد الثلاثمائة والألف هجرية – فكان المثال العبقري الممتاز فِيْ كُلِّ ما درسهُ، وتلقاهُ مِنْ فقه، وأصول، وفلسفة، فبرَّزَ على أقرانه فِيْ ميدانِ العلمِ، والفكرِ، حتَّى صارَ نجماً فِيْ سماءِ النجف، يضئُ لرجالِ الفكرِ، ويقتدون برأيه، ويرجعونَ إليهِ. وهُوَ حقٌّ، وجدناهُ نعمَ السميرُ، وخيرَ جليس، وعفوياً، ليس فِيْ شخصيته، أو حياته تكلُّفٌ، أو تزمتٌ، أو تعقيدٌ، إلى ما يتمتعُ به مِنْ طهارةِ ضميرٍ، وإيمانٍ.

وكانت النجف فِيْ ذلك الوقت، قمَّة الفكر، وميداناً للفكر الصَّحفي، والثَّقافي، على مختلف آفاقها الأدبية، والعلمية، فأورقت سماؤها ربيعاً مخصوصباً، تفتحت فيه شاعريته المبدعة، وقلمهُ الخصب مكَّنه شموخاً أدبياً، وعبقريةً وثَّابةً، ولهذه المؤهلات، والعناصر، كانت الصُّحف الَّتي تصدر فِيْ سماءِ النجفِ آنذاك، تتمنَّى أنْ ينشر آثاره الفكرية على صفحاتها. كما كتبَ مِنْ الشِّعرِ، والأدبِ، ألواناً مِنْ واقعِ الحياة، ومِنْ معاناة التجربة، وهُوَ الأديب الكبير، والمبدع، وليس هذا مدحاً، وإنَّما هُوَ تقريرٌ لحقيقةٍ واقعية، فبين يدينا ثروةٌ خطيةٌ مِنْ الشَّعر، والنَّثرِ، يصلُ فِيْ الإبداعِ، والزَّخم إلى أعلى قممِ الأدبِ، فما

كتبَ فِيْ لون مِنْ الألوانِ الفكريـة، أو الحيـاة الاجتماعيَّـة، إلاَّ جسَّدهـا، فكأنَّكَ تعيشُ معهُ فِيْ التجربةِ، والمعاناةِ.

وحتَّى فِيْ أسلوبـهِ الكتابـي، لونـاً مِنْ الرفعـةِ فِيْ رسـائله الأخويـة، ومذكراتـه البسـيطة العاديـة، فهُـوَ مجموعـةٌ تضـمُ عبقريات فِيْ كُلِّ مـا تحملُ معنـى العبقريـة، ويحفظُ قطعـاً مِـنْ الأشعارِ لمجموعةِ شعراءَ كُثُر، فِيْ طليعتهم / أبـو الطيب المتنبـي، وغيرِهِ مِنْ عمالقةِ الشِّعرِ، ولهُ ذوقٌ مرهفٌ حسَّاسٌ، ينفذُ به إلـى ما وراءَ الصُّور.

وبعد وفاةِ والدهِ الإمام - رحمه الله - عـاد لوطنـه فِيْ يومِ أربعـة وعشريـن مِـنْ شـهرِ محـرم - عـام أربعـة وستيـن بعـد الثلاثمائـة والألـف هجريـة - يحملُ فضيلةً علميةً، وفكـراً أدبيّـاً نيّراً، فهُوَ: أوَّل مَنْ وضعَ اللبنة الأُولى فِيْ هيكلِ الأدبِ القطيفـي الجديد للشَّباب، وطوَّر أسلوبَ القصيدة الشِّعريَّة، وكـان النَّـاقد البصير، الَّذي يميِّزُ بين الدر، والفحم.

كما أسهمَ فِيْ حياةِ القطيفِ العلمية، والفكريـة، فقَدْ درسَ على يدهِ لفيفٌ مِنْ الشَّباب، وأمتاروا مِـنْ علميتـه، فدرسـوا علـى يديـهِ 'النحو، والبلاغـة والأصول، والفقـه'. كمـا أنتـجَ كوكبـةً مِـنْ الشُّعراءِ، والأُدباءِ، ومِنْ حملة الأقلامِ، ومِنْ فضـلاءِ رجـالِ العلمِ، وكاتب هذه الخيوط: يدينُ لهُ بالفضل، والتَّعليم. كما تركَ ثُلةً مِنْ الأُدبـاء، والمفكريـن، فِـيْ محيـطِ هجرتـه الدِّراسـية بـالنجف الأشرف، الَّذين رشفوا مِنْ سلسالِ جدوله، فهُوَ صاحبُ مدرسـةٍ فكريةٍ، عاشت على مائدتها عقولٌ.

غير أنَّنـا أسِفنا لإهماله، وهدرهِ لهذه الطَّاقـات الفكريـة، الَّتي تركها تضيعُ، ولَمْ يحتفلْ بها، ويسجلها برغمِ النِّداء المتكرر،

والصَّرخات المنبعثة مِنْ القلوب، بأنْ يستعيد هذه الطَّاقات، ويسجلها فِيْ أحرفٍ تضيءُ للأجيالِ، فالوقت فرصةٌ ذهبيةٌ مِنْ العمرِ، لا يزالُ فيها سَعةٌ.

فأنتَ تراهُ – وهُوَ ينهدُ إلى عتبةِ ما بعد الثمانين – فكراً شاباً، وحياةً مخصوصبةً، كأنَّها فِيْ فصلِ الرَّبيعِ، يحدثك عَنْ كُلِّ فكرٍ بعيدٍ وقريبٍ.

كما أسهمَ فِيْ مجتمعِ القطيفِ، فِيْ الحياةِ العامةِ، يشاركهم أفراحهم وآلامهم، وكان المفزع لهم فِيْ النوائبِ، حتَّى أصبحَ يملأُ فراغاً، لا يستطيع فِيْ هذا الظَّرف أنْ يسدَّهُ غيرُهُ، فأصبحَ شخصيةً يُشارُ لها بالبنان.

وفِيْ شهرِ صفرٍ – عام ١٣٩٥هـ – أُسند إليهِ منصب القضاء الشيعي فِيْ القطيفِ، ولا يزال يُديرهُ بأمانةٍ، وثقةٍ، وصدقٍ، وعدالةٍ وإيمانٍ، لا يفرقُ بين ذي رحمٍ، وأجنبيٍ، أطال الله عمرهُ المديد.

هذه لمحةٌ مقتضبةٌ عَنْ حياةِ العلاَّمة / الخنيزي الخطي

١٤١٨/١١/٢١ هـ

١٩٩٨/٠٣/١٩ م



تعليق على كتاب

"أديب وأديبات من الخليج"

نُشر هذا المقال بجريدة اليوم بالعدد ٩٦٣٦ في يوم الثلاثاء الموافق '٢٤ رجب ١٤٢٠هـ - ٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٩٩م'





إنَّ للقلمِ فضلاً على هذا الإنسانِ، تفضَّلَ بهِ خالقُنا، وقَدْ أقسمَ بالقلم لخطورة عظمتهِ وفضلهِ، حيثُ خطَّ لنا الحرفَ الأخضرَ، فالحرفُ الأخضرُ هُوَ نعمةٌ مِنْ نعمِ اللهِ الكُثْر، الَّتي أنعمَ بها على عبادهِ، وهيَ لا تُعدُّ ولا تُحصى، فكان للحرف دورٌ خطيرٌ لعبهُ فِيْ آفاقِ الحياة، يصورُها أحلاماً وآلاماً وأفراحاً، فِيْ صورٍ ذات ألوانٍ وظلالٍ عجيبةٍ، ويرسمُها أخلاقاً للبشرِ فِيْ إنسانيةٍ مهذبةٍ.. وعاليةُ الخُلُقِ، تتعاملُ مع بعضها البعض فِيْ طهرٍ ونقاوة، لتهذيبِ هذا البشر، وإيقاظهِ مِنْ سُباتِ غفلتهِ الليليةِ، وأبعادهِ عَنْ شهواتهِ الحيوانية، والوصول بهِ إلى أوجِ السعادة، فطوَّعَ الخالقُ لنا الحرفَ أداةً طيعةً انبثق ضوءً مِنْ الفكرِ، الفكر الَّذي تميَّزَ بهِ الإنسانُ عَنْ جميعِ المخلوقات، وكما قال الشَّاعر العربي (لولا العقولُ لكان أدنى ضيغمٍ أدنى إلى شرفٍ مِنْ الإنسانِ).

فالفكرُ: الضوء الَّذي بعثَ الحرفَ مخضوضراً، فأنبت فِيْ هذه الحياةِ زنابقَ ووروداً، وسطَّرَ مسيرة الإنسان منذ فجرِ حياتهِ، حينما وُضعَ على هذا الكوكب.. الَّذي يدور حول الشَّمس، ولولا الحرفُ لضاع التَّاريخُ، وصار موجةً مِنْ دخان، ولفَّهُ فِيْ زوايا النِّسيانِ، وبالحرفِ المنبثق عَنْ الفكرِ، أو بالأحرى الَّذي هُوَ إشعاعةٌ مِنْ إشعاعاتِ الفكر، الَّذي أنارَ عتمة الحياة، وتفضَّل خالق البشرية، فأرسلَ لنا أنواراً فِيْ ومضاتٍ مِنْ الحرفِ وأنوارَ مصابيحِ فِيْ دعوةِ الرُّسلِ، فكانت هدياً وإنقاذاً إلى الإنسانِ، وقَدْ ازدان.. وتوِّجَ بتاج لا تاج مثلهُ، منذُ خلقَ اللهُ هذا الكونَ، حتَّى بعثة خاتم الأنبياء 'الرَّسول الأعظم (ص)'

بالقرآن، فأعطاهُ طاقاتٍ مِنْ الضوءِ يفخرُ بها، ورفعهُ إلى أوجٍ ما بعده أوجٌ، وتوَّج اللُّغة العربيَّةَ بتاجِ الفصاحةِ والكرامةِ، ومدَّها بألوانٍ مِنْ الحياة، ولولا القرآنُ: لأصبحت اللُّغة العربيَّة ميتةً.. أو تكادُ، فَهُوَ النميرُ الَّذي يمدُّها فتخضوضرُ وتُزهرُ، فالحرفُ طاقاتٌ تعبيريةٌ نتخاطبُ بهِ ونكتبُ بهِ، ونسجِّلُ تاريخَنا، ومفاخرَنا، وعواطفَنا، وخلجاتِ أنفسِنا فِيْ خاطراتٍ ضوئيَّةٍ، وأفراحَنا وأحزانَنا فِيْ إشاراتٍ كهربائيَة، ورموزٍ تُفصحُ عمَّا وراء الخط، وكل ما فِيْ زوايا الحياة، ولا غناء عنهُ لأمَّةٍ مِنْ الأممِ، مهما تطوَّرت، بل لا يصحُّ هذا التَّطور، والرُّقي.. إلاَّ عَنْ طاقاتِ الحرفِ.

إنَّ هذه التوطئة التَّمهيديَّة، جاءت بمناسبةِ صدورِ كتاب ﴿أدباء وأديبات من الخليج﴾ الطبعة الثَّانية - بالدار الوطنية للنَّشر والتوزيع ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، للأُستاذ الأديب / عبْد الله أحمَدُ الشباطْ، وتربطُني بهذا الأُستاذ رابطةُ صداقةٍ ومودَّةٍ، ورابطةُ روحية.. هيَ رابطةُ الفكرِ والأدبِ، وهذا الكتاب "الطَّبعة الثَّانية" قَدْ قتلَ المؤلِّفُ فيهِ وقتاً مِنْ حياته، وسلخَ أيَّاماً مِنْ عُمرِهِ، وحبَّذا قتلُ مثلَ هذا الوقت، فإنَّهُ ثمرةُ حياةٍ خيِّرة، وعملٌ طيبٌ، وأنا بدوري: أُشيدُ بهذه، الَّتي ترسمُ تاريخَ هذه المنطقة، فِيْ رسمةٍ واضحةِ المعالمِ.. مشرقةِ الضَّوءِ.

والأُستاذُ لا يزالُ بين الفينةِ والفينةِ، يتحفُنا بهذه الباقات العطرةِ، وتصديرُ كتاب (أُدباء وأديبات من الخليج) بعثَ فيَّ رغبةً ملحةً أنْ أُعلق بعض التَّعليقات، وكان الأُستاذُ فِيْ كتابهِ حُرَّ الرأي والفكرِ حيثُ فتحَ فِيْ تصديرهِ للطبعةِ الثَّانيةِ أفقاً يضيءُ بحرية الرأي، فِيْ مضمونِ إنَّهُ يُرحِّبُ بآراء القرَّاء حول هذا الكتاب، وأنا مِنْ القرَّاءِ.. فتعليقاتي على الطَّبعةِ الأُولى والثَّانية: -

فإنَّ الطَّبعة الأُولى مُلئت باختلال الأوزانِ الشِّعرية، فِيْ قصائدَ مختارة، مِنْ الشُّعراءِ الَّذين خصَّهم الكتاب بالدِّراسة، ولَمْ تصحح فِيْ الطَّبعةِ الثَّانيةَ، وأُعيدت بأخطاءِ الأولى، فأقفُ أمام الطَّبعةِ الثَّانية وقفةَ امتداد الظِّلِّ، الَّذي يزولُ بزوالِ الشَّمس ليومِنا هذا، إنْ صحَّ هذا التَّعبير.

فالدِّراسات الَّتي كُتبتْ عَنْ الشُّعراءِ السَّابقين – فِيْ النُسخةِ الأُولى – نُقلت كما هِيَ بالحرفِ الواحد، لَمْ تتوسعْ وتمتد على امتداد بعض آفاقِ الشُّعراءِ الَّذين توسعوا، وانفسحت لهم الحياةُ الفكريةُ، وامتدَّت آفاقهم على سماء عبقر، أمَّا الَّذين انكمشوا، كما ينكمشُ الظلُّ.. فليس على الأُستاذِ / الشباطْ نقدٌ فِيْ ذلك.

كما أُحبُّ أنْ أُشيرَ ولو إشارةُ أنمُلة شخص، مِنْ شاطئ إلى شاطئٍ بعيد، حيثُ جاءت فِيْ بعض الدِّراسات أُلقابٌ بعيدةٌ كُلَّ البُعد لا تنطبق على أصحابِها، والألمعيُ الَّذي يفهمُ بالرَّمز، وقَدْ يكونُ الرَّمزُ أبلغَ مِنْ التَّصريح، وأُحبُّ أنْ أفتحَ ملفّاً لدراستهِ عَنْ شعري، فأصحح ما وهى مِنْ عظمةِ الأبيات الشِّعرية.. وكسرِها، ولو جُبرت عظمتُها.. لسلمت مِنْ الكسرِ، وهِيَ فِيْ الطَّبعةِ الأُولى، كما هِيَ فِيْ الطَّبعةِ الثَّانية.. واهية العظام، ومغلوطة التَّراكيب، فلنبدأ بفاتحة القصائد الَّتي افتتحَ بها الأُستاذ / الشباطْ دراسته **(الغد الباكي)**: –

أرى من زوايا حياتي غدي
شموعاً تموج بوهج الغرام

يغني لغيري برغم الدنا
وأسري برغمي بهذا القتام

طيوف المخاوف في مقلتي

تراقص مثل طيوف الغمام

أحس بهذا الفراغ العميق

وتلمس كفي دنا باردة

❖ ❖ ❖ ❖ ❖

هذه الأبيات مغلوطةٌ فِيْ تعبيرِها وتركيبِها، فالصَّحيحُ.. وبإمكان الأُستاذ المؤلِّف أنْ يرجعَ إلى ديوانِ 'النغم الجريح' فيقراؤها وهيَ هكذا: -

أرى - من زوايا حياتي - (غدي)

شموعاً.. تذوب بوهج الضرامْ

يضيءُ لغيري - برغمي - الدنى

وأسري - برغمي - بهذا القتامْ

طيوفُ المخاوف، في مقلتي

تراقص مثل طيوف الحمامْ

أحسُّ بهذا الفراغ العميق

وتلمسُ كفِّي دنىً باردة ...!

❖ ❖ ❖ ❖ ❖

هذا ما أردنا: تصحيح الأبيات.. الَّتي مرَّت واهية العظام، ونعودُ إلى قصيدةِ 'سألتني أسماء' مِنْ ديوانِ (شمس بلا أفق) صفحة ٧٣، فنصححُ ما أختلَ مِنْ وزنِ أبياتِها، فقَدْ جاءت فِيْ الدِّراسة فِيْ كتابِ الأُستاذِ / الشباطْ.. الطبعةَ الأُولى والثَّانية: -

ما الذي أسكت النهر عن الشدو

وهذا الربيع فجر الطيور؟!

أيها الصادح الذي أسكر الزهر

فذاعت أسراره في العبير

وقعَ بدل الهزار النَّهر، وكيف يكون للنَّهرِ شدو، والنَّهر لهُ خريرهُ السِّحري، فهذه غلطةٌ عجيبةٌ، وتصحيحُها هكذا: -

مَا الَّذيْ اسكتَ الهَزَارَ عن الشَّدو

وهذا الربيعُ فجرُ الطُّيور؟!

أيُّها الصادحُ الذيْ أسْكَرَ الزَّهْرَ

فذاعتْ أسرارَهَا فيْ العبيْر!

ونقفُ أمام بعض القصائد، الَّتي درسها الأُستاذ / الشباطْ.. منْ ديوان 'شيءٌ أسمهُ الحبْ' فنصححُ للقرَّاء ما وهى منْ عظمتها وكُسرها، ونبدأُ بالأوَّل حسب منهجية جدولة دراسة الأُستاذ:

اضربي القلب فثم الشعر حي ليس يفنى

تفجري نبع قوافي تخلب الألبان حسنا

وعديني وامطليني ودعي قلبي معنى

أنت في جفني أطياف تراءت وهي وسنى

أنا لولا أنت ما فتحت في دنياي جفنا

أنا لولا أنت ما وقَّعتُ كالأطيار لحنا



الصحيح هكذا: -

تَفجُريْ نبْعَ قواف

تَخلبُ الألْبابَ حُسْنَا

وهذا المقطع منْ قصيدة ﴿الحلم الخافق - صفحة ٢٣﴾ ديوان 'شيء أسمه الحبْ': -

لـم يبـقَ مـنْ مــي سـوى طيفهاوذكـريات كـبقايا حُطـام

هل طويت كالأمس؟ هاأنني أحسُها تجري دماً في العظـام

وجهك ياميُ كبدر السماء قد غابَ عن عيني خلفَ السحاب

وراءَ خمس من سني التي مرت وحشو القلب منها عـذاب

ذكرى ليال من غرام ذوى أعزُ ما عنـدي بهـذا الوجـود

تفيقُ ندىً عـاطراً في دمي تذكو على بحر نـار الصـدود

❖ ❖ ❖ ❖ ❖

والصحيح هكذا: -

تعْــبقُ نــدّاً عَاطــراً فــيْ دَمــيْ

تـذكُـوْ علـى مَجْمـر نــار الصُّـدودْ



وهـذا المقطع مِنْ قصيدةِ ﴿من لهيب الحرمـان - صفحـة ٧١﴾ ديوان 'شيء أسمه الحب': -

ودعــــتنا فــــي فجــــر الصبــــا؟

وبقــيت أبكــيها بدمــع قانــــي

مــا كــنت أحلــم أن تفــرق بيننــا

كـف القضـايا مـا كـان فـي حـسباني

حــتى رأيــت اللــيل فــي ناظــري

شــبحاً كئيــب اللــون كالحرمــان

❖ ❖ ❖ ❖ ❖

والصحيح هكذا: -

ودَّعتُهـا - يامَيُّ! - فـيْ فَجْـر الصبَّــا!

وبَقــيْتُ أبْكيهَــا بدمْــع قَـانــيْ

مَـا كُنْـتُ أحلَـمُ أنْ تُفَـرِّقَ بينَنَـا

كـفُّ القضَا ... ما كَانَ فـيْ حُسبانيْ

حتَّـى رأيْـتُ اللَّيْـلَ يمْـلأُ نـاظـريْ

شبَحـاً كَئيْـبَ اللَّـون كالحرْمَـان

❖ ❖ ❖ ❖ ❖

وهـذا المقطـع مِنْ قصيـدة ﴿لا للطـلا - صفحـة ١١٦﴾ ديوان 'شيء أسمه الحب': -

كـفنت حبـي فـي ربيـع حياتـي

ودفنتـه فـي عالـم النسيـان

وحطمت أكوابي على صخر الأسى

ونثرتهـا فـي لاهـب النيـران

وجعلـت منهـا اكؤسـا لا للطـلا

بـل لأذكـار مـرارة الحرمـان

والصحيح هكذا: -

وجَبَلْـتُ منهـا أكْؤُسـا لا للطِّـلا

بـلْ لادِّكـار مـرارَة الحرْمـان

❖ ❖ ❖ ❖ ❖

وهذا المقطع من قصيدة ﴿لا تقولي - صفحة ٤٥﴾ ديوان 'شيء أسمه الحب': -

لا تقولـي ... فـإن صوتـك لا زال

صـداه يـرنُّ فـي اذنيـا

لا تقولـي فـإنني سـوف أغـدو

زهـراً عاطـراً أو لحنـا شجيـا

سوف أغدو بعد الحياة حديثا

في فم الدهر كوثراً علويا

أنا كالبدر ضاحكاً في الروابي

أنا كالخصب يغرس الحدب فيا

أنا في الكون قطرة فاض منها

جدولٌ يملأ السباسب ريا

❖ ❖ ❖ ❖ ❖

والصحيح هكذا: -

لاَ تقوْليْ فإنَّنيْ سوفَ أغدوُ

زَهَراً عاطراً ولَحْناً شَجيَّا

أنَا كالبدْر ضَاحكاً فيْ الرَّوابيْ

أنَا كالخصْب يَفْرشُ الجدْبَ فيَّا

❖ ❖ ❖ ❖ ❖

وهذا المقطع مِنْ قصيدةِ ﴿صدرك رمانة مثمرة - صفحة ٧٨﴾ ديوان 'شيء أسمه الحب': -

وصورت نفسك في جنة

يشع على بدرها المرمر

وأنت انفلات على صدره

وصدرك رمانة مثمر

وأنت على كفه برعمٌ

تفتح عن وردة تسحر

وشعرك شلال عطر غر

يسب ترامى يضوع به العنبر

وقدمـــك مثــل عمـــود الصبـــاح

ووجهـــك كالـــبدر بـــل أنـــور



والصحيح هكذا: -

وصــــوَّرت نفْسَــك فـــيْ جَنَّـــة

يَشـــعُّ عَلـــى جُدْرهـــا المرْمَـــرُ

وَقـــدُّك مثـــلُ عَمـــوْد الصَّبـــاح

وَوَجْهُـــك كـــالبَدْر بَـــلْ أنْـــوَرُ

❖ ❖ ❖ ❖ ❖

تلكَ الأبياتُ الَّتي أردنا تصحيحها مِنْ الخطأ، الَّذي وقعَ فَيْ طبعتي كتاب الأُستاذ 'أدباء وأديبات من الخليج' وأجهلُ السرَّ فِيْ هذه الغلطات، الَّتي لَمْ تختصَ بها الدِّراسةُ عَنْ شعرِي، بل تسري فِيْ جميعِ الدِّراسات، وأكبرُ الظَّنُّ أنَّهُ خطأٌ مطبعيٌّ، وكان المفروض على الأُستاذ أنْ يصححَها فِيْ الطبعةِ الثَّانية، وهناك على هامشِ هذا الملف إشارةٌ إلى الأُستاذِ، حيثُ لَمْ يذكر فِيْ الطَّبعة الثَّانية ما صدر لي مِنْ دواوينٍ شعريةٍ جُدد، وقَدْ عني الأُستاذ بدراسة 'شمس بلا أفق' وأعاد الدِّراسةَ فِيْ كتابهِ (آفاق خليجية) كما عني بدراسةٍ عميقـةٍ لديوان (مدينة الدراري) نشرها فِيْ صحيفةِ اليوم عددٍ (٨٤٧٦) بتاريخ (١٥ ربيع الثَّاني ١٤١٧هـ ٢٩ أغسطس ١٩٩٦م) و (كانوا على الدرب).

وإنَّ كتابات / الشباطُ، أو بالأحرى دراساتهُ، الَّتي أصدرها دراساتٌ رائعةٌ فِيْ أسلوبٍ عميقٍ، وطرحٍ فنيٍّ على منهجيَّةٍ تعبيريَّةٍ جديدة، لَمْ تكن مِنْ الدِّراسات الكلاسيكيَّة، الَّتي عندما تتحدثُ عَنْ أديبٍ: أنَّهُ ولدَ فِيْ يومِ كذا، ومات فِيْ يومِ كذا، إنَّما

هـذه الدِّراسـات.. هـيَ دراسـاتٌ فنيَّةٌ، تعيهـا ذاكرةُ التَّـاريخِ، وهُـوَ يُعنـى بكُلِّ آثـارِ مفكـري الخليـج، غـير أنَّـهُ أهمـل بعـض مفكـري الخليجِ فِيْ كتابيه، وكان لهم الوزن فِيْ ميزانِ الفكرِ والأدبِ، ولا أعرفُ منهُ غيرَ الوطنية، وعدم الانحياز لفئةٍ دون أخرى، ولعلَّ هـذا الخطـأ يُصحـحُ فِيْ طبعـة ثالثـة، كمـا أضـافَ فِـيْ الطَّبعـةِ الثَّانيـة، الَّتي اتسعت دراستُهُ الثَّانيةً عَـنْ الأولـى، فضمَّت بـين دفتيها أُدبـاء جُدد، وهنـاك خطـأٌ فِيْ العاملِ التَّاريخي النسبي، حيثُ جاء فِيْ ترجمةِ العلاَّمة الأُستاذ الشَّـيخ / عبـد الحميد الخنيزي الخطـي، وأنـا أنقلُها حتَّـى أُصححُها، فهـيَ كمـا جـاءت حرفيّاً فِيْ كتاب 'أدباء وأديبات من الخليـج' الطَّبعـة الثَّانيـة – صفحة ٣٦١ – (هذا خطيبٌ ومحدثٌ وأديبٌ وشاعرٌ مِنْ الـرُّوادِ الأوائل.. ولد فِيْ بيتٍ تحوطهُ فيهِ الثَّقافة مِنْ كُلِّ جانبٍ، فوالـدهُ الشَّيخ / علـي الخنيـزي، وجدهُ أبو عبد الكريم، وأخوهُ / محمَّد سعيد وعبد على الخنيزي).

فهنا يا أُستاذُ خطأٌ فِيْ النَّسب، حيثُ أنَّ الشَّيخ / أبو عبد الكريم ليس جد الخطي، وإنَّمـا هُـوَ ابنُ عمـهِ ابنُ أخـي والـده، وجده حسن بن مهدي، وكيف خفي عليك نسب العلاَّمة الأُستاذ، وهُوَ علمٌ مِنْ أعلامِ رجالِ العلمِ والفكرِ، والخطأ الثَّاني فِيْ اسم أخيهِ.. فضيلة الأُستاذ الشَّيخ / عبد الله الخنيزي، فإنَّ أسمهُ جـاء بلفظـة 'عبد علـى' ولا أعـرفُ هـل هُـوَ خطـأٌ مطبعـيٌّ لأنَّـك تعرفهُ شخصياً، وبينكَ وبينهُ زياراتٌ، عندما كنتَ تعملُ فِيْ سـلكِ التَّعليمِ والأُستاذ الشَّيخ / عبد الله.. علمٌ مِنْ أعلامِ العلمِ والأدبِ والفكرِ، ورائدٌ مِنْ الـرُّوادِ، لا يخفى عليك أسمهُ، وفِيْ الطَّبعـةِ الأُولى جاء أسمُهُ صحيحٌ، كما جاء أسمهُ صحيحاً فِيْ دراستِك

لشعري بالطَّبعةِ الثَّانية، ولا أدري كيف وقعَ الخطأُ فِيْ دراسةِ شعرِ أخيه (الطبعة الثانية).

وبودِّي لو تتبعتُ فِيْ إشارة شاملة لجميع الدِّراسات، لشعر الشُّعراء، ولكنَّهُ يعسرُ عليَّ، وأُحبُّ أنْ أفتحَ ملفَ الأُستاذ العلاَّمة / الخطي.. فأُصححَ ما وقع مِنْ أغلاطٍ أوهت بعظمةِ تلك القصائد، فنبدأ بالخطأ والتَّصحيح: -

م	الصفحة	الخطأ	الصواب
١	قصيدة (ليلة النعيم) ص: ٢٦٢	واطلقي	وأطلقي
		اطو	فاطو
		تحي	تحيي
٢	قصيدة (مناظرة) ص: ٢٦٣ - ٢٦٤	في السماء	في سماه
		في الأحداق	في الآماق
		يعدو خلف الدجى بالعناق	ويعدو خلف الدجى كالعتاق
		بعمود من شقة	بحسام من موجة
		والنسيم	والنسم
		وتمطي	وتمطَّى
		بلحظ	لحظ
		تملى	ثملى
		خمرة القد	خمرة الوحي
		يلهم الشعر رقيق	يلهم الشعر من دقيق
		ثقل وثاقي	عضّ وثاقي

م	الصفحة	الخطأ	الصواب
٣	قصيدة (ليلة النعيم) ص: ٢٦٥ - ٢٦٦	وتولى الذي	وتوارى الذي
		وسرت	فسرت
		للقاء	للقا
		وتغنى	يتغنى
		صحائف سود	صحائف سوداً
		من الألحان	من الريعان
		أثر والصدى ما له من مكان	أثر والنعيم ملء كياني

هذه ملاحظاتي أُسجِّلُها، وآملُ أنْ يتسعَ صدرُكَ.. فتأخذَها وتُصحح الأخطاء، ولا أقصدُ بهذه الأخطاء الَّتي أشرتُ لها، وحدَّدتُ صورتَها، إنَّما تمر بيراعتك على جميعِ الأخطاءِ الَّتي ملأت الكتاب، وأنا لا أنسى لك هذا الجُّهدَ، وهذه اليراعة المعطاة الوطنية، الَّتي يفيضُ منها الخصبُ، فيُنبت الورود والزنابق للأجيال، وإذا لَمْ نُصحح الأغلاط التَّاريخيَّة، والأخطاء اللقبية، ستأخذها الأجيال الجديدة حقيقةً واضحةً، وما دمنا نُنشدُ الحقَّ، فنمحي الخطأ ونُثبتُ الصَّحيحَ.



العلم والمعلم

هذه الكلمة أُلقيت بمناسبة تكريم المعلم في اليوم العالمي وقد ألقاها نيابةً عن كاتبِها الأُستاذ / عصام عبد الله الشماسي في الحفل الذي أقامه مركز الإشراف التربوي بالقطيف في قاعة مدرسة سعد بن عبادة المتوسطة بالقطيف.



(الجهـل لا تحيـا عليـه جماعـةٌ

كيـف الحيـاةُ علـى يـدَي عزريـلَ)

إنَّـي افتتـحُ مقـالي هـذا بهـذا البيـت، الَّـذي فـيْ مفهومـه ومضمونه إشارةٌ ضوئيَّةٌ، ترمزُ لذم الجهـل.. بمـا أنَّـهُ جهلٌ، فـإنَّ الجهلَ لا تحيا عليه الشُّعوبُ، ولا الأممُ، إنَّما هُوَ ضربٌ مِنْ الموت المعنوي، ولا تتحركُ الأممُ، ولا تستنيرُ إلاَّ بنـورِ العلـمِ، فـالعلمُ هُـوَ المصباحُ الَّذي يُسرجُ ويُضيءُ فِيْ محرابِ القلوب، وفِيْ عتمةِ الحياةِ المدلهمة، ويفتحُ دنيا مِنْ ألوانِ الفكرِ، الَّتي تُبدعُ مِنْ ألوانها العجيبةِ صوراً واقعيَّةً إلى الخلقِ، فالعلمُ نعمةٌ مِنْ نعمِ الخالقِ على عبيده، وخلق لهم العلمَ ليعيشوا سُعداءَ فِيْ حياتهم، ويُخطِّطونَ برامجَ مجتمعهِم علـى ضـوءِ مصـابيحِ العلـمِ، والعلـمُ كمـا يُرشـدُنا فِيْ حياتنا.. يُرشدُنا إلى عبادةِ خالقنا، وبالتَّالي نفوزُ فِيْ أُخرانا، فالعلمُ يدعو للإيمان، ولا يدعـو للكفـرِ والطُّغيـان، فـالقرآنُ الكريـمُ فِـيْ ديمومـةٍ اسـتمرارية، يُشـيرُ ويُعلـمُ ويفتـح ألـف دنيـا مِـنْ العلـمِ للمفكرينَ، ويُرشدُ لآياتهِ الكريمةِ، حيثُ قال تبارك وتعالى[1]:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

(صدق الله العظيم)

---

(١) آيـة رقـم ١٩٠، ١٩١ مِـنْ سـورةِ آل عمـران.

فاقرأ هذه الآية، لتعرفَ ما فيها مِنْ أنوارٍ كاشفة، تُهدي وتُشيرُ للمفكِّرين.. لا للجاهلين، لأنَّ الجاهل لا ينتفعُ فِيٍّ حياته بشيءٍ مِنْ ضوءِ العلمِ، بل هُوَ مِنْ الخاسرين، إذاً فالعلمُ شرفٌ ومجدٌ وقمَّةٌ سامقةٌ.. تتحسرُ دونَها الأبصارُ، وأصدقُ تعبيرٍ ينطبقُ على شرفِ العلمِ، فِيْ مفهومِ قولةٍ للإمامِ عليٍّ سلام اللّه عليه: -

«كفى بالعلمِ شرفاً أنْ يدَّعيهُ الجاهلون، وكفا بالجهلِ نقصاً أنْ يتبرأَ منهُ الجاهلون».

وتوطئتي هذه الَّتي أدرتُها فِيْ حرفٍ عَنْ العلمِ وشرفِه، هيَ تقديمٌ للحديثِ عَنْ دورِ المعلمِ، وما له مِنْ تربيةٍ لعقولِ الأجيال، وتقويمهِ للأفكارِ الناشئةِ الجديدة، الَّتي هيَ مستقبلُ الحياة، وشبابُها الوهَّاج، ومفتاحُ سعادةِ الشُّعوب، فالمعلمُ هُوَ المربي للأجيال، والمرشدُ للعقول، والباني كيانَها، فالمعلمُ يذوبُ ويحترقُ كالشمعة، ليسرج المصابيحَ لطلابهِ فِيْ سبيلِ إسعادهم، فهُوَ يعيشُ فِيْ حياة رتيبةٍ مكررةِ اللحن، فِيْ دروسٍ معادةٍ فِيْ كُلِّ صباحٍ، وتُكرر فِيْ كُلِّ يومٍ، فهُوَ يبني عقولاً.. ولكنَّهُ يتهدَّمُ وتفنى حياتُهُ فِيْ طريقِ التَّعليمِ والإرشادِ، إذا كان المعلم عدلاً ومرشداً وواعياً، يسيرُ فِيْ استقامةٍ منهجيةٍ، على خطِّ الإسلامِ.. غير منحرفٍ كما قال الشَّاعر: -

وإذا المعلم لم يكن عدلاً مشى

روح العدالة في الشباب ضئيلة

وإذا المعلمُ ساء لحظَ بصيرة

جاءت على يده البصائرُ حولا

إنَّ للمعلمِ دوراً لعبهُ فِيْ حياة التَّعليم، فهل ترى أشرفَ وأعظمَ وأخطرَ ممَّن يُنشئُ العقولَ، ويُثقِّفُ الشَّبابَ، ويرفعُ الأجيالَ، عندما يذوبُ خُلقاً فِيْ طلابه، فإنَّ الأخلاقَ مفتاحُ السعادة، وفجرٌ ينحرُ اللَّيلَ على أعتابِ الجهلِ، الجهلِ الَّذي لا يرحمُ الأُممَ، فالمعلم إذا اكتملت العناصر التربوية فِيْ روحه، فهُوَ الإنسانُ الَّذي يجب أن نحتفلَ بيومه، وأنْ نقدرهُ، وأنْ نشيدَ بذكرهِ، وأنْ نجعلَ له ساعات، لنحتفلَ بما أنتجَ منْ منجزات علميةٍ وتربويةٍ، فإشادتُنا بذكرهِ هيَ إشادةٌ بالعلمِ.. الَّذي أرسلَ فكرهُ التَّعليميَ ضوءاً منَ الأنبياءِ والرُّسلِ، فالأنبياءُ والرُّسلُ: هُمْ أعظمُ وأشرفُ وأكرمُ معلمينَ، ولولاهم ما اهتدينا، ولا عبدنا خالقَنا، ولا عرفنا حرفاً منْ حروفَ العلمِ، وفِيْ طليعتهم أشرفُ الأنبياء.. سيِّدِ الخلْقِ منْ الأولينَ والآخرينَ — الخاتم للأنبياء.. محمَّد صلَّى اللهُ عليه وآله وصحبه وسلَّم — الَّذي بُعثَ رحمةً للعالمين، فهذه الرَّحْمَةُ لا تُقصرُ على ناحيةٍ منْ نواحي الحياةِ، بل هيَ تُغطي كُلَّ ناحيةٍ منْ نواحي البشريةِ، فاحتفالُنا اليومَ بيومِ المعلمِ، الَّذي هُوَ احتفالٌ بفضيلة العلمِ وكرامته، لا شكَّ هُوَ تقديسٌ للمجدِ الَّذي تُنشدهُ الشُّعوبُ، وتسعى لهُ منذ فجرِ الإنسانِ الأوَّل، فإذاً لم نأتِ ببدعٍ إنما حقيقة في دور هذه الحياة الصاعدة في طريق العلم والمجد فآمل من ذوي الفكر والمثقفين أن يقدروا رجال العلم.

والله يوفق الجميع

والسَّلام عليكم ورحْمَة الله وبركاته

٠٩/٦/١٤٢٠هـ



ساعات بين التقنية والتطور

نُشرت في أحد أعداد مجلة

قافلة الزيت



إنَّ هـذه الكلمـةَ، أو هـذا الحـرفَ.. الَّـذي يرمـزُ ويُشـيرُ لهـذا العنـوان، هُـوَ معنـى مِـنْ معـاني المفهـومِ العلمـي الجديـد، الَّـذي انبثـقَ مِـنْ أفكـارِ حضاريـة مِـنْ القـرنِ العشـرين، والَّـذي نعيـشُ علـى آخـرِ قمَّتـه، وقَـدْ شَـهدنا فـِيْ آفاقـه دنيـا مِـنْ الأفكـارِ العجيبـةِ الغريبـة، الَّتـي لـو حُدِّثنـا عَنْهَـا قبـلَ أنْ تقـعَ ونُبصرَهـا ﴿ومـا راءٍ كمـن سـمعَ﴾ولـولا تجسُّدهـا علـى دنيـا الواقـعِ ولَـمْ نشـهدها، لأنكرناهـا النكـران الَّـذي لا جـدال فيـه، ولكنَّنـا لا يسـعُنا اليـومَ أنْ ننكرَهـا ونجحدَهـا، وهـيَ تُمْثـلُ بـينَ أعيننـا فِـيْ واقـعٍ ملمـوس، فـالتَّطوَّر الجـاد الصَّـاعد فِـيْ الحيـاةِ بسـرعةٍ كسـرعةِ الضَّـوء، يعطينـا دفعـةً مِـنْ الإيمـانِ الرَّسـيخ، والعقيـدةِ الصلبـةِ فِـيْ الإيمـانِ، بـأنَّ الله هُـوَ الخـالق والمميت والمحـي عـالم الغيـبِ والشَّـهادة.

كُلَّ هذه الإنبثاقات الحضارية، والتَّطورات الفكرية، تُرشدُ الجاحدَ إلـى الإيمانِ بالله، إذا تأمَّل وتصوَّر بعقله المخلوق، كيف قفزَ إلى عالمٍ تقنـيٍ، ألم يكن هـذا بإرادة تعليميَّـة وإرشاديَّـة مِـنْ الخالـقِ المُنعمِ علـى عبيده؟ ولـولا فضلـهُ.. لما صـارَ الإنسـانُ لما صار إليهِ اليوم، أمَّـا المؤمـنُ فيزدادُ علـى إيمانـه إيمانـاً، لأنَّ هـذا الفكـرَ وصاحبـهُ، مخلوقـان مِـنْ بعـض خَلْـقِ الله، الَّـذي فطـر السَّـماواتِ والأرضِ، وهمـا أكبـر خلـقٍ يـدلانِ علـى عظمـةِ الله، ويُعجبُني قولُ أحد الشُّعراء:

يعـترض العقـلُ علـى صـانع

مـنْ بعـض مصنوعاتـه العقلُ

إنَّ مفهوم هذه القولة مِنْ هذا الشَّاعر، لحقيقةٌ إيمانيةٌ توحيديةٌ واقعيةٌ، ومِنْ الغرائب، ومِنْ الجهلِ والنَّقص، أنْ يعترضَ هذا العقل المخلوق على مَنْ خلقهُ، ولا يستطيعُ أنْ يفكِّرَ، أو يبقى ثانيةً مِنْ الثواني، إلاَّ بمشيئة الله وإرادته، فالإنسان هُوَ عقلٌ مفكرٌ، لا لحمٌ ودمٌ فحسب، ولكنَّهُ ضعيفٌ ناقصٌ، جاهلٌ بحقائقِ ما غاب عنهُ، ولَمْ يرها مجسَّدةً بين عينيهِ، نستثني مِنْ ذلك المؤمنين، الَّذين يؤمنون بما أنزلَ اللهُ مِنْ كتبٍ ورسلٍ.

لقَدْ طلعتُ بكَ يا قارئي، وذهبتُ بكَ فِيْ منعطفات طويلة بعيدة، عَنْ العنوانِ الَّذي رسمتُهُ، أو بالأحرى لعلِّي لَمْ أخرجْ عنهُ، وكانت هذه التوطئة لموضوعي، الَّذي أُريدُ أنْ أُديرَ حديثي عنهُ، هيَ مِنْ صُلبهِ لأنَّها ترسمُ حياةَ تطورٍ، والباعثُ لهذا العنوان، وهذا البحث.. ما تلقيتُهُ مِنْ دعوةٍ زيارةٍ مِنْ أرامكو السُّعودية، لجولةٍ نقومُ بها، لمشاهدةِ التَّطور فِيْ مدينةِ الظَّهران، وحقولها، وما فيها مِنْ تقنياتٍ متطورة، وزيارةٍ إلى حقولِ 'شيبا' بالربع الخالي، حيثُ وصلتني دعوة مِنْ 'سعادةِ رئيس أرامكو السعودية' عَنْ طريق رئيس وحدة العلاقات الإعلاميَّة الأُستاذ / أحمد عابد شيخ، تُحَدِّدُ الزيارة يوم السبت والأحد، السادس والسابع، مِنْ شهرِ ذي القعدة عام عشرين بعد الأربعمائة والألف هجرياً، الموافق الثَّاني عشر والثَّالث عشر، مِنْ شهرِ فبرايرِ، عام ألفين ميلادية، فكانت لهذه الدعوة استجابة ورغبة شيقة، لأنَّها سوف تُتيح فرصة ذهبية، لتجمعني بثُلَّةٍ مِنْ ذوي الفكرِ، على اختلافِ مشاربها فِيْ سماءِ الأدبِ السعودي، فكان منها الصَّحفي والشَّاعر، والأديب والكاتب، وهمزة الوصل الَّتي ربطت هذه الكوكبة، فِيْ جلسةٍ أدبيةٍ واحدةٍ، كحلقةِ نجومٍ تلألأت أضواؤها،

مِنْ كوىً مختلفة، غير أنَّ هذه الأضواء، تنسكبُ مِنْ منبعٍ واحدٍ، هُوَ الفكرُ، وهيَ الدعوة الَّتي سبَّبت هذا الاجتماع مِنْ أرامكو السعودية، فأشكرها على هذه الدعوة، ونأملُ أنْ تتكررَ، ولو فِي كُلِّ عامٍ مرةً واحدةً، فضمَّتْ هذه الدعوة الثُّلَّة الفكرية، فِي جلسةٍ بقاعةِ فندقِ 'المريديان' مساء الجمعة.. ليلة السبت الخامس مِنْ شهرِ ذي القعدة، الموافق الحادي عشر مِنْ فبراير ليتم التعارف بين تلك النُّخبة، وبعد تحية الإسلام والتعارف فِيْ جلسةٍ أدبيةٍ، ذهبنا لتناول وجبة العشاء فِيْ الفندقِ المشارِ إليه على حسابِ أرامكو السعودية، وبعدها كان اللقاء فِيْ صبيحة يومِ السبت، لتبدأ الجولة، حيثُ البرنامج المخطط لهذه الزيارة، فأقلَّتنا إحدى حافلاتِ أرامكو السعودية، وبيننا مرشدون مِنْ موظفي علاقات أرامكو السعودية، يشرحون معالم الفكرِ والتطورِ، فرأينا ما يُبهر العقلَ والفكرَ، فمِنْ مشاهداتنِا أوَّلُ بئرٍ تدفقَ مِنْهُ البترول، وقَدْ أخبرنا أحد موظفي العلاقات لأرامكو السعودية: أنَّ ولي العهد سمو الأمير / عبد الله بن عبد العزيز آل سعود.. حفظهُ الله، أطلقَ عليها اسم 'بئر الخير' وكانت هذه التسمية اسم على مسمَّى، لأنَّها فاتحة الخير.. فاضت على المملكةِ بالنعمِ، ومن مشاهداتِنا الجولة فِيْ معرض أرامكو السعودية، حيثُ وجدنا فِيْ تقنيتهِ (التطور السريع) الَّذي يحتاج إلى عديد مِنْ السِّنين الطويلة، ولكنَّهُ قفزَ قفزةً جسَّدتهُ فِي سنينَ قصيرة.. ما لا يبلغهُ آخرون فِيْ سنينَ طويلة، ، ووقفنا على لوحاتٍ تُمثلُ مراحل ضخِّ البترول واستخراجه وتطوره، وكيف كان الغاز يحترق فِيْ الجوِّ، حتَّى حُوِّلَ إلى مخزون، يُستعملُ عند الحاجة وشاهدنا البواخر العملاقة، مجسَّدةً فِي

المعرض كما ترسوا على ضفاف الميناءِ وهيَ تُعَبَّأُ بالبترول، كما شاهدنا لوحةً فنيةً تُسمِّرُ الأبصارَ، وتأخُذُ الألبابَ بروعتِها، حيثُ تصوِّرُ العناصر الأوَّلية للزيت، وكيف تموت الحيوانات وتتحلل وتتفاعل مع التربة، لتتكوَّن بترولاً بقدرة الله العظيم، كما شاهدنا الجبال والبحار والأرض، الَّتي تتفاعل فيها تلك العناصر، ولا أستطيع أنْ ألمَّ بما فِيْ هذا المعرض مِنْ لوحات تقنيةٍ، برغمِ شرحِ موظفي أرامكو السعودية، حيثُ فتحوا لنا لوحاتٍ ضوئية ترينا بدء تدفق البترول منذ وضعت اللمسات الأُولى، وقام بإدارةِ ضخٍّ أوَّلِ بئرٍ، المغفور له الملك / عبد العزيز آل سعود، وقَدْ أشرنا إلى أوَّلِ بئرٍ حُفرت، وهيَ بئرُ الخير، كما شاهدنا صوراً تُعطي مشهداً مِنْ بدءِ ممارسةِ العمل فِيْ الظَّهران، حتَّى يومنا هذا، والفكرة النيِّرة لهذا المعرض: أنَّهُ وُجِدَ لخدمة الطُّلاب، فأبوابهُ مفتوحة على مدارِ العام، ما عدا يومي عيد الفطر والحج، فيؤمُّهُ جميع الطُّلاب على مختلفِ آفاقِ دروسهم، مِنْ أفقِ المرحلة الابتدائيَّة إلى أفقِ المرحلة الجامعيَّة ليأخذوا منه دروساً عمليةً، يُطبِّقوها على الواقعِ الملموسِ.

وبعد خروجنا مِنْ المعرض، ذهبنا إلى مركزِ التحكم، وهذا المركز بأزرَّته الصَّغيرة، يتحكم فِيْ نظامِ الكهرباءِ لمدينة الظَّهران وغيرها، وفِيْ تعبئةِ البواخر العملاقة بالبترول، وضخِّهُ فِيْ الأنابيب، لتوزيعه فِيْ مناطق المملكة، ومِنْ الأغرب: أنَّ الأنبوب الواحد.. الَّذي يزود المملكة، يُضخُّ فيهِ البترولُ ومشتقاتهُ (**كالزيت، والكيروسين، والوقود الخاص بالطائرات**) وكل هذه العناصر.. تُضخُّ فِيْ هذه الأنبوبة الواحدة، ويخرجُ كُلُّ عنصرٍ متميزاً عَنْ العنصرِ الآخرِ.. لا يمتزجان.

وبعد هذه الجولة: اجتمعنا برئيس أرامكو السعودية، الأُستاذ / عبد الله جمعة، فكان ذا أخلاقٍ رفيعةٍ، وصدرٍ رحب، يتلقَّى أسئلة المفكِّرين والصحفيين بهدوءٍ وثغرٍ بسَّامٍ، ويجيبهم عليها بما يناسب السُّؤال، ومن ضمن الأسئلة التي طرحت والمناقشات قد طرحتُ هذا السؤال هل لآبار الزيت دورٌ على تأثير المياه الجوفية ونضوبها كمدينة القطيف مثلاً حيث كانت واحةً حالمةً خضراء فنضبت مياهها والتحفت الثرى ولم نخرج بنتيجة إيجابية، وأخيراً ذهبنا إلى مضيفِ أرامكو السعودية، حيثُ أعدُّوا لنا مأدُبةَ الغداء، فتناولنا تلك الوجبة مع سعادة رئيس الشركة وكبار الموظفين، وأخيراً لا آخراً ودَّعنا الأُستاذ رئيس أرامكو السعودية، وموظفي العلاقات العامة، وفاتني أنْ أُشيرَ إلى أنَّ جُلَّ الموظفين الَّذين يديرون هذا المعرض، ومركز التحكم 'سعوديون' كما أخبرنا رئيس الشركة وختاماً أشكرُ أرامكو السعودية، على هذه الدعوة، حيثُ كان لها الترحيب والاستقبال الحسن، والعناية التامة بضيوفها، هذه ساعات حالمة قضيناها فِيّ متعةٍ وجوٍّ مشرقٍ.. ضيوفاً فِيّ رحابِ آفاقِ أرامكو السعودية.

٨/١١/١٤٢٠هـ

١٤/٠٢/٢٠٠٠م



تعقيب وتصحيح

ورأيت إتماما للفائدة أن أُلحِق هذه الأطروحة بالمقال الذى أدرته حول القضاء ونشر في مجلة الواحة 'عبقري غطى عليه التاريخ' فأنا أثبته هنا حرفيا كما نشر.

'عبقري غطى عليه جدار التاريخ'

مع رجال عاصرتهم (٨) تعقيب وتصحيح

محمد سعيد الشيخ على الخنيزى

توطئة: جهد وطني.. ولكن

إن التاريخ وثيقة من الوثائق الثمينة الغالية التي هي أمانة في أعناقنا وبالتاريخ تحفظ المآثر وتخلد الأمم وتعيش الأفكار أنوارا تهدى السائرين في عتمة الحياة وفى دروبها الملتوية فالتاريخ ركيزة من ركائز الحياة الماضية والآتية، فإذا انطمست ركيزة أو انحرف مؤرخ، أو نسى أحداث التاريخ جاء التاريخ مجانبا للحقيقة المنشودة وقد يظلم بعض الشخصيات ويضفي على بعض الشخصيات وكم من عبقري غطى عليه جدار التاريخ ودفنه ركاما بين أيامه ولياليه لا أريد أن أطيل الحديث حول حركة التاريخ وسكونها وما اكتنفتها من ظروف واهواء وريشة رسمت للتاريخ مناظر بعضها صورت الحقيقة وبعضها جانبتها.

إنما أردت بهذه التوطئة القصيرة لادخل إلى موضوع قرأته في مجلة الواحة الغراء في عددها العشرين الصادر في الربع الأول عام واحد بعد الألفين ميلادي ضمن ملف القضاء، فالقضاء ليس هو مؤسسة اجتماعية أو كإحدى المؤسسات التي هي كأداة تؤدي دورها في المجتمع ثم تنتهي إنما القضاء منصب

مقدس في الإسلام منذ بعث خاتم الأنبياء (ص) فدوره الفصل في حياة المجتمع تدور عليه في أحكامه كالنفوس والأموال والدماء والفروج والأعراض والقضاء في المملكة العربية السعودية: قضاء إسلامي يرتكز في أحكامه على دعامتين (الكتاب والسنة) فهو من أقدس المناصب وحتى في البلاد المدنية كالغرب، التي لا تستعمل القضاء في البلاد إلا حسب قوانينها المدنية التي تضعها فهو لديها محترم ومقدس ولا أريد أن ادخل بك ياقارئى في بحث متشعب وهدفي من هذا التعقيب أن أصحح بعض المفاهيم التأريخية التي وقعت في مقال الأستاذ الصديق/ السيد على السيد باقر العوامى تحت عنوان

(رجال عاصرتهم - الشيخ أبو عبد الكريم الخنيزى).

والأستاذ / العوامى: يشكر على هذه الجهود الوطنية التي قام بها في هذه الحلقات المتوالية وهدفه الإخلاص والإشادة برجالات بلاده ولكنَّ صدأ التاريخ والفجوة الزمنية أوقعته في خطأ بعض مفاهيم للتاريخ ونسيان لحوادثه البعيدة التي مر عليها أكثر من نصف قرن وليتسع صدره لردي وتصحيحي لبعض الأخطاء.

أولاً: احتكار الخدمة السياسية والاجتماعية

ذكر في صدر مقاله تخصيص الزعيم الشيخ / أبي عبد الكريم الخنيزى (ر. هـ) انفراده بالخدمة السياسية والاجتماعية دون غيره ونسى الشيخ / محمد على الجشي والشيخ / منصور آل سيف الذى هو أحد الزعماء والشيخ حسن على البدر و الإمام الشيخ أبا الحسن الخنيزى فإنه أي (أبو الحسن الخنيزي) خدم هذه البلاد وقضاياها الاجتماعية والسياسية منذ وطأت

رجله أرضها في رجب عام تسعة وعشرين بعد الثلاثمائة والألف هجري منفردا تارة وأحيانا مع ابن أخيه وطورا مع بعض الشخصيات كالزعيم علي بن حسن أبي السعود والعلامتين الشيخ/ محمد على الجشي والشيخ منصور آل سيف واحمد سنبل والزعيم / عبد الله نصر الله مضافا إلى أعباء القضاء حتى رحيله عن هذه الدنيا الفانية وسوف أُذكِّره ببرهانٍ حيٍّ فقد حضر تركة الإمام أبى الحسن الخنيزى وابتاع منها ثلاجة بأربعين روبية وفي تلك الجلسة احضر الأخ الشيخ / حسن أبو عبد الواحد (ر. هـ) منضدة ابتاعها/ عبد الحميد سعود أبو السعود والشاهد هنا حيث كانت تضم تلك المنضدة أوراقا للشيخ أبي الحسن الخنيزى تدور بينه وبين المغفور له جلالة الملك عبد العزيز آل سعود طيب الله ثراه فأخرج الأخ أبو عبد الواحد من داخل المنضدة تلك الأوراق حيث أنه لا تتبع المنضدة في البيع وأردف الأخ/ أبو عبد الواحد هذه وثائق غالية عندي لأنها تدور بين أبي وجلالة الملك عبد العزيز آل سعود طيب الله ثراه واذكر من ضمنها برقية مرفوعة من الشيخ/ أبي الحسن الخنيزى بتوقيعه الخاص تدور حول حادث السيد الصفوانى وهذا الحادث وقع في الخمسينات بعد الثلاثمائة والألف هجري وهذه الأوراق كلها صارت عند الأخ أبي عبد الواحد وما ادري ماذا فعل بها الزمن وأنت يا أستاذ / أبا كامل.. قد صار عندك تداخلٌ حيث أشرت إلى طبيعة عمل الشيخ / منصور آل سيف والشيخ/ محمد على الجشى حيث قاما بزيارة جلالة الملك / عبد العزيز آل سعود في مهمة وطنية كما أشرت للعلامة السيد ماجد العوامى في اشتراكه في بعض الأحداث فتخصيصك

للزعيم انقضته بنفسك على نفسك ونحن لا ننكر دور الزعيم الشيخ / أبي عبد الكريم الخنيزى في خدمة هذا الوطن وتضحياته إنما حصرك فيه دون غيره يخالف الحقيقة التأريخية ويغمط حق الآخرين.

ثانيا: حصر القضاء في فرد

يا أستاذ / أبا كامل..

حصرت القضاء في الزعيم/ أبي عبد الكريم الخنيزي، وقلت عندما مرض أناب عنه عمه في القضاء وكلتاهما غير صحيح فأبو الحسن الخنيزى منذ وطأت رجلاه أرض الوطن كان يقضى بين الناس فالخنيزيان هما القاضيان للطائفتين (الشيعة والسنة) وقد رأيتُ الخصمين يأتيان مع (الخوي) بأمر من الأمير يترافعان عند الشيخ أبي الحسن الخنيزى وأنا أسوق لك البراهين ففي عام سبعة وخمسين بعد الثلاثمائة والألف هجري وقع نزاع بين سعيد الضامن وعبد الله بن حسين الفرج أحيل رسميا للإمام الخنيزى وكان المحاميان لهما / حسين الشبيب عن سعيد الضامن وحسن الفرج عن عبد الله الفرج وبتّ فيه بالوجه الشرعى بعد أن عجز غيره عن حلها وتفاصيل هذه القضية ومصدر روايتها في كتاب خيوط من الشمس وقد رأيت الشاعر / خالد الفرج مع احمد البقشي يترافعان عند الإمام الخنيزي قرابة عام التاسع والخمسين وفى العام نفسه بعد وفاة السيد مكي المشقاب عام ثمانية وخمسين بعد الثلاثمائة والألف هجري أحيلت معاملة رسمية من شرطة القطيف هي شكوى من المرحوم حسن على المرزوق حول ميراث زوجه من زوجها السابق السيد مكي المشقاب على وصيه السيد إبراهيم المشقاب.

أما قولك يا أستاذ فقد عمل أبو الحسن الخنيزى في القضاء بالنيابة عن ابن أخيه فلا صحة له ولا أدرى من أين أتيت بهذه الرواية وليس هناك محكمة تجمع رئيسا ونائبا وكتابا إنما كل من الخنيزيين يقضيان في بيتيهما بدون مرتب ولا أوراق ولا دفاتر كل هذا من جيبهما قربةً إلى الله وهل هناك أمر من ولي الأمر يخول أو يأمر الشيخ أبا عبد الكريم بجعل عمه نائبا عنه؟ وإنني لم اسمع بهذه الرواية وأنا اللصيق بالخنيزيين إلا منك يا أبا كامل بعد أن مر على هذه الأحداث أكثر من نصف قرن ويا ليتك تسندها لراوٍ من الرواة وأنت المعاصر لهما ولكن قد تصدأ الذكرى وهناك براهين كقضية العلامة الشيخ محمد بن نمر حينما رفع عليه دعوى آل رقية والشيخ محمد توفي عام ثمانية وأربعين بعد الثلاثمائة والألف هجري حين رفض التقاضي عند غير الإمام أبي الحسن الخنيزي و أريد أن أوضح نقطة عن سير القضاء:

فقد كان يأتى الخصمان اختيارا وطوعا للخنيزيين وإذا رفض المدعى عليه الحضور لدى الشرع طوعا عليه هدده المدعي بالخروج على الشرع ونزل من الأعين عند الناس.

ليس فقط قضية المرهون

والأغرب منك يا أستاذ قولتك أن الشيخ أبا الحسن الخنيزي لم يتدخل في قضية اجتماعية سياسية إلا في قضية الشيخ منصور المرهون وابنه الشيخ علي لان الشيخ أبا عبد الكريم كان في البحرين وغريب جدا لان قضية الشيخ منصور وقعت في يوم الثامن من شوال عام واحد وستين بعد الثلاثمائة والألف هجري والشيخ أبو عبد الكريم لم يسافر البحرين إلا في شهر محرم عام اثنين وستين بعد الثلاثمائة والآلف هجري وأبو الحسن الخنيزي لم

يتوقف في مسيرته الدينية أو الاجتماعية أو السياسية على أحد من الأشخاص بل هو حركة دائبة لا تعرف التفتير في خدمة هذا الوطن في جميع قضاياه وفي مواقفه المشهودة كالمطالبة في تخفيض الزكاة وغيرها من المطالب الوطنية وتشهد له المكاتبات التي بينه وبين جلالة الملك المغفور له / عبد العزيز آل سعود التي أشرنا إليها وعندما وقف المرحوم عبد الله بن حسين آل نصر ضد الشيخ أبي عبد الكريم كان الشيخ أبو الحسن الخنيزي يناصر ابن أخيه لانه على الحق فيرسل إلى مقلديه فيسحبون توقيعهم وعلى سبيل المثال لا الحصر (إبراهيم الرميح ومنصور الحلال) فينضمون إلى الشيخ أبي عبد الكريم وأنا شاهدت هذه الأحداث عن كثب وكانت إحدى الركائز لهزيمة عبد الله النصر ونسيت مقالتك التي عبرت فيها عن الشيخ أبي الحسن الخنيزي بعالِم الشعب وما معنى عالِم الشعب؟ هل هو الذى يعيش في برجه العاجي أو الذى يشارك الناس آلامهم وأفراحهم ولا سيما الطبقة الفقيرة منهم فالشيخ أبو الحسن الخنيزي هو الذى ينزل إلى أصحاب الأكواخ في أكواخهم فيعلمهم الدين الإسلامي والأخلاق الفاضلة التي نص عليها الإسلام.

مع السيد / حسن العوامى:

كما وقع الأستاذ / سيد حسن العوامى في مقاله (القضاء الشيعي في القطيف) الواقع والطموح ص ٤٣ بمجلة الواحة العدد العشرين الربع الأول ٢٠٠١ م في مفهوم خطأ تاريخي حيث حصر مدة قضاء الإمام / أبي الحسن الخنيزى في عام وتسعة اشهر وهذا خطأ يجانب الواقع وقد صححنا هذا المفهوم بالبراهين الواقعية وهناك برهان ملموس حيث كانت تلك الفترة منهجيتها أن

يكتب القاضي مذكرة يطلب فيها من كاتب العدل صكا رسميا لاثبات العقارات فيها ويعيدها القاضي لكاتب العدل لتسجيل ذلك العقار وقد وجدت أوراقا رسمية في عام الستين بعد الثلاثمائة والألف هجرية وما قبل هذا التاريخ وما بعده صادرة ومثبتة من الشيخ على أبي الحسن الخنيزي اطلعت عليها عند بعض الناس حينما كنت أمارس المحاماة وإن كنت تقصد بالعام وتسعة أشهر بانحصار القضاء في الشيخ أبي الحسن الخنيزي دون غيره بعد رحيل ابن أخيه فهذا صحيح واحب أن أشير هنا إلى ظاهرتين ميزتا الإمام أبا الحسن الخنيزي والزعيم أبا عبد الكريم الخنيزي فقد وقع لكل منهما إيقاع فأبو الحسن جاء ابنه المرحوم العلامة الشيخ/ عبد الحميد قبل سفره للنجف لطلب العلم ولعله عام خمسة وخمسين بعد الثلاثمائة والألف هجري حيث سفره كان عام ستة وخمسين بعد الثلاثمائة والألف جاء يترافع مع شخص يدعى الشنخنخ وباختصار حكم الوالد على الابن وربح الدعوى الشنخنخ وهذا الحدث سمعته من نفس العلامة وكان يردده معجبا به.

كما وقع للشيخ أبي عبد الكريم ترافع عنده بين أبيه وشخص من إخواننا السنة وحكم أبو عبد الكريم على أبيه وربح الدعوى الآخر وهذه غاية النزاهة والعدل حيث لا يفرق الخنيزيان بين ذي رحمٍ أو بعيد.

عودة لرجال عاصرتهم والمجتهدين الأربعة:

كما حصرت يا أبا كامل المجتهدين في أربعة ونسيت العلامتين الشيخ / محمد بن نمر، والشيخ حسن على البدر وقلت عندما رحل الشيخ / أبو عبد الكريم: أن جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ... أرسل برقية إلى أسرته وهذا خلاف الواقع

إنما البرقية جاءت تعزية باسم الشيخ / أبي الحسن الخنيزي والحقيقة بنتُ البحث وإن علماء القطيف هم الذين قادوا مسيرة الخير كل بما أعطاه الله من طاقات وخدموا هذا الوطن.. فجزاهم الله خير الجزاء.

اقتراح:

وبقى عليَّ فقرة واحدة هي اقتراح عليك يا أبا كامل: أن تصلح الأخطاء التاريخية منذ الحلقة الأولى حتى هذه الحلقة ومن ضمنها أن الزعيم على بن حسن أبو السعود عين في المجلس البلدي بأمر ملكي وفى تلك الفترة كان التعيين والفصل وحتى رئيس البلدية وموظفيها وجميع أجهزتها تعيينهم وفصلهم خاضع إلى سمو أمير المنطقة الشرقية المرحوم الأمير / سعود ابن جلوى حيث لم تنشأ وزارة للبلديات واقتراحي أن تضمها وتجمعها في كتاب يرجع إليه وأنا ما كتبت هذا التعليق إلا للتصحيح وليس لهدف غير ذلك وحتى تعرف الأجيال هذا التراث الضخم وتعرف الخطأ من الصواب.

والله الموفق للجميع لما يحبه ويرضاه



إليك يا أبا فؤاد

هـذه أحـرفٌ أرفعهـا إلـى روحـك وقـد ألقاهـا الابنُ الدكتور أديب في ذكـرى الأربعـين التي أقيمت للفقيد بتاريخ ٢٣ صفر ١٤٢٤ هـ.



تنفــــكُ تســـمعُ مــــا حييــــتَ

بهالــــــك حتــــــى تكونــــــه

إن مقولـة هـذا البيـت تلامـس قلـب الواقـع فالإنسـان يمـرُ علـى هـذا الكوكب كمـا يمـرُ الظـل القصـير أو الطـير ففـي كـلِ لحظـةٍ مــن حياتـه يسـمعُ ناعيـاً حتـى يكـونَ هـو المنعـى فـالمرءُ يعيـشُ علـى هـذا الكوكـب في تطـورٍ ونشـوء كمـا يتجـدد ضـوء الشـمس وتتطـور هـذه الحيـاة في حركتهـا الصـاعدة في فصولـه الحياتيـة فمـن دور الطفولـة إلـى دور اليفاعـة إلـى دور الشـباب وهـو فصـلُ الربيـع ربيـع الحيـاة ففيـه المـرءُ تنمـو طاقتـه وتتفتـح أفكـاره كمـا تتفتـح الـورود في أغصانهـا وهـذا فصـلُ العطـاء إن كـان هنـاك عطـاء فيعيـش علـى ظِـلالِ الخريـف يرتقـب طيـوف الغـروب فكلمـا غربـت شـمس ذلـك اليـوم كـان ذلـك المنظـر الـذي ينعكـس بحمرتـه علــى أمــواج الحيــاة ورؤوس عرائــس النخيــل ففيـه معـانٍ يقـرأُ مـن حروفهـا إشـارة بـين سـطورها تشـيرُ تلـك الفواصـل التــي بـين سـطورها إلــى قــرب غروبــه، فالحيــاة في حركتهـا الدائبـة صـورٌ تمـرٌ كشـريطٍ يعـرضُ المـاضي في مـرآة الحـاضر صـوراً تشـاهدها تتمـوج علـى تلـك المـرآة الحـاضرة وتقـرأُ الحـروف التي تكتـب فيهـا تلـك الكلمـات في صفحـة مـن صفحـات الحـاضر مـن أمنيـاتٍ وآمـالٍ ومـن بسـمةٍ ودمعـةٍ ومـن أتـراحٍ وأفـراحٍ هكـذا الإنسـانُ يصـارعُ هـذه المفارقـات فربمـا تغلَّـبَ علـى بعضهـا فظـلَّ في أفـقٍ يطـوف بـه مـدة زمنيـة ولكنـه لابـد أن يلاقـي مصرعـه المحتـوم الـذي لا مفـر لـه منـه ولا

خلاص مادامَ ولدَّ وعاش على هذا الكوكب فالمشاهدات التجريبية والواقعية في كل فجر أو مساء أو ما بينهم أو بتعبيرٍ أدق في كل لحظةٍ نودِّعُ أخاً أو حبيباً والمودِّعُ سيودَّع وما أصدق مقولة الشاعر الكبير الشريف الرضي:

كلُّ باك يبكى عليه وإن

طال بقاءٌ والثاكلَ المثكولُ

نعم إن الثاكل سيكون مثكولاً.

يُدَفِّنُ بعضُنا بعضاً ويمشي

أواخرُنا على هام ألا وال

ما أروع هذه المقولةَ وما أصدقها فهذه مناظرُ نشاهدها بأعيننا ولم يغب لحظةً هذا الشريط الذي يمرُّ خاتمةً لهذه الحياة فماذا استفدنا من هذه الصور المفزعة التي تمرُّ مناظِرُها على المرءِ كل لحظةٍ فهي من الدروس والعبر لمن اعتبر ولكن أين المعتبِر:

عبرٌ لو ورائهنَّ اعتبارُ

وأدِّكارٌ لو ينفعُ الإدِّكارُ

أي عظة أكبرُ من عظة الموت التي ليس في هذه الدنيا عظةٌ أبلغ منها أو تشابهها فبينما أنت تعيش مع أخيك وأبيك أو صديقك وأنت تتمتع معه في ندوة مفرحةٍ قد فاضت بألوان السرور والحبور وأمتلات بالآمال والأفكار وإذا أنت تنادي من تستلذُ حديثه فلا يجيبك ماذا دهاه أجبني أيها الحبيب لا جواب لقد هدأت حركته وغطاه سكونٌ عميق أعاده جثةً هامدةً كألواحٍ صامتة

أليس هذا المنظر المفزع يثير في أعماق أنفسنا العبرة والرجوع إلى الله وهذه التوطئة التي هي كمدخلٍ لحرفٍ أردت من هذا الحرف أن أقول لكم إن فقيدنا الأستاذ محمد سعيد أبن العلامة الشيخ محمد علي الخنيزي (أبو فؤاد) كان موته كحلم يطوف على العيون أو كظلٍ قصير يزول بنسخ الشمس له.

كلنا يتذكر أن الأستاذ محمد سعيد (أبا فؤاد) كان يتمتع بصحة ولم يكن في حسباننا أننا نفاجأُ بموته في هذه الأيام ولكنه أمر الله الذي لابد منه ولا ردَّ له وكان لموت أبي فؤاد ألمٌ في أعماق نفوس القطيفيين لما يتمتع به من خدمات وطنية بذلها في خدمة هذا الوطن وفي رحلاته التجوالية مع زملاءَ له لمراجعة المسئولين في قضايا هذا البلد فهو شخصيةٌ من شخصيات هذا الوطن فرحيله يعتبر خسارة وما أحوجنا له ولأمثاله فالشخصية هي التي تبذل حياتها في سبيل خدمة وطنها فمحمد سعيد أبو فؤاد عطاءٌ مخضوضرٌ كزهرٍ يضوع كما لا ننسى أخلاقه وعتابه فهو دائماً يرسلُ العتبى ويطلب من إخوانه وأصدقائه التواصل له وزيارته وكان حُلماً مرَّ وفرَّ من أيدينا ونحن كلنا دمعةٌ وقلبٌ يسيل حسراتٍ ولكننا لا نملك لأنفسنا أو له أمراً فالأمر كله لله ولكنني قبل أن أختتم هذه الحروف المقتضبة أود أن أستفهم؟! منكم إستفهاماً ولا أدري ماذا تفسرونه هل هو استفهامٌ مجازي أو تقريري أو أي نوعٍ من الاستفهامات التي يقسمها أرباب القواعد، والاستفهام ولماذا لم يحضر الحفل الذي

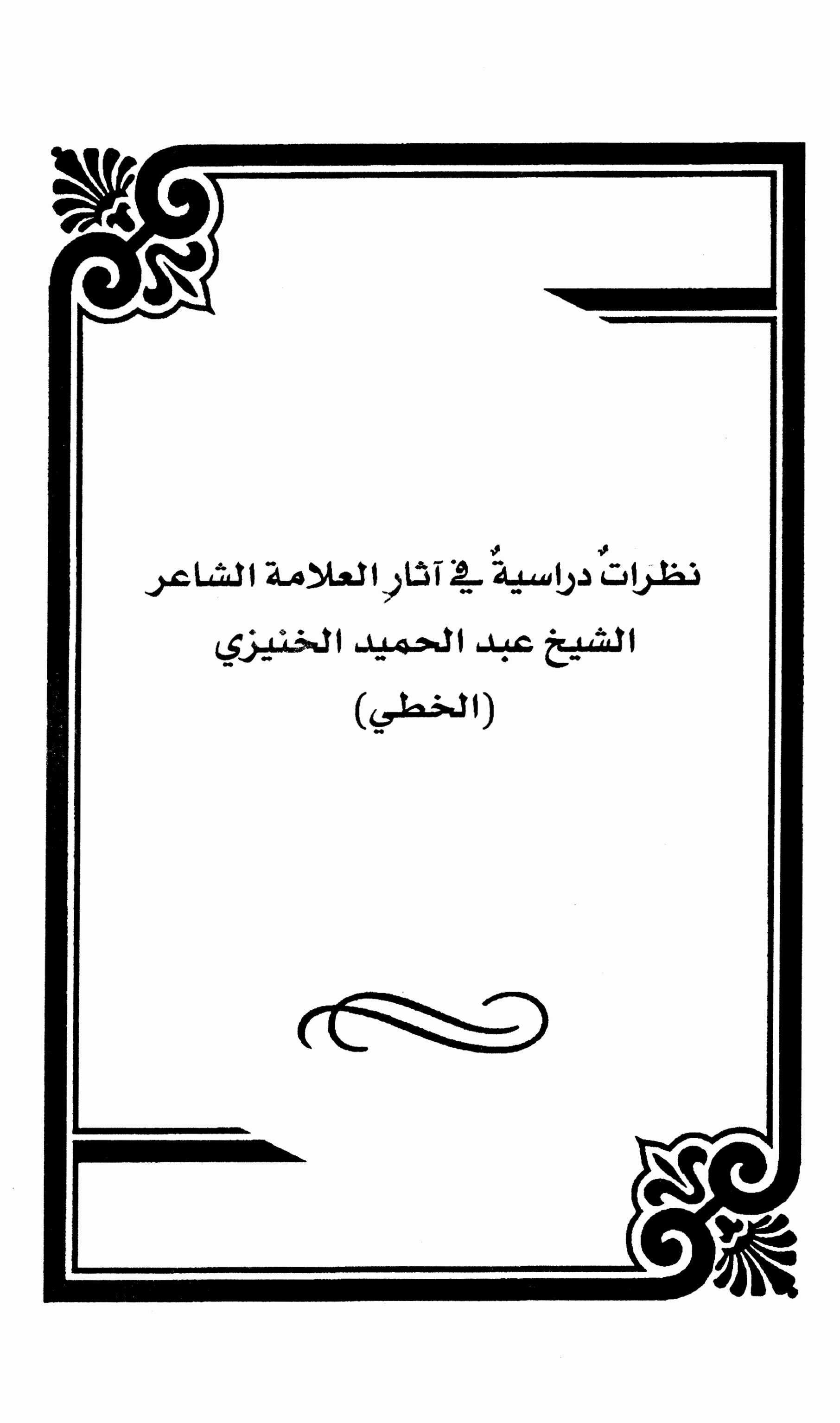
إحتفلنا من أجله أهو غائبٌ تنتظرونه أو مسافرٌ فجوابكم لا بل إنه سافر السفرة الطويلة التي لا يعود منها من رحلَ إليها وهذا مصير كل حيٍ وما أحسن أن أختم هذه الأحرف بهذه الآية القرآنية حتى يكون ختامها مسكٌ (ما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلا).

فأعود فأقول لقد خسرناك أيها الرجل العامل الصالح فرحمك الله وغفر الله لك ولابد من كلمة نفزعُ إليها هي البلسم وهي التي تضمد الجروح.

(إنا لله وإنا إليه راجعون)

ما أعظمها من معنىً ففيه شفاءُ المصابين وفوز الصابرين بما أعده الله لهم من الخير في الدنيا والآخرة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



نظراتٌ دراسيةٌ في آثارِ العلامة الشاعر الشيخ عبد الحميد الخنيزي (الخطي)

تعود بي هذه الخاطرة، أو السانحة إلى زمنٍ سحيقٍ قد لُفَّ في طيات ذاكرة التاريخ البعيدة حينما حاولتُ أن أُعِدَّ دراسةً عن أستاذنا الأخ العلامة الشيخ عبد الحميد الخنيزي الخطي، وكانت هذه الدراسة تدورُ حول أفكاره التي تجسدت في حرفهِ الشعري التي تتكون من ثلاثِ مجموعاتٍ (وحي الثلاثين - اللحن الحزين - من كل حقلٍ زهرة رباعيات') غير إني لم تسعفني الخاطرة لإعداد هذه الدراسة، وكتبتُ عن حياته، وعن بعض قصائده التي أختارها هو من شِّعره، وقدمها لي لإلحاقها بالدراسة التي تتعلق بشخصيته، والتي ختمت بغروب نجمه عن هذه الحياة، وقد نُشِرت في الجزء الثالث من المجلد الثاني من الشعر ودوره في الحياة المطبوع في مؤسسة البلاغ بلبنان عام ١٤٢٢ هـ الموافق عام ٢٠٠١ م.

ولازالت هذه الخاطرة تراودني وتطوفُ في آفاق نفسي بين الفينة والفينة ويحجبني عن تنفيذها عدم وجود هذه المجموعة الشعرية حيث لم تكن ميسَّرة فعادت هذه الخاطرة تطالبني بإلحاحٍ حيث أن هذه المجموعة الشعرية أصبحت ميسرة بعد أن طبعت:

وحي الثلاثين: الطبعة الأولى ١٤٢٣ هجري (مؤسسة البلاغ)

من كل حقلٍ زهرة: (رباعيات) الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ (مؤسسة البلاغ)

اللحن الحزين: الطبعة الأولى ١٤٢٥ هجري (مؤسسة البلاغ)

ولا أكونُ مِن الجاحدين الذين لا يؤدون رسالتهم العلمية أو الأدبية ويتنكرون لأساتذتهم ووطنهم وأنا لا زلتُ أوجه هذه

الرسالة الضوئية لشبابنا ومثقفينا أن يعنوا ويولوا آثار أبناء وطنهم عنايةً فيدرسونها فإنها كفرضٍ مقدسٍ على أبناء الوطن لان حب الوطن من الإيمان كما قال الرسول الأعظم الكامل الإنسانية والمعلم لهذه البشرية، وكنتُ في شوقٍ ولهفةٍ لميلاد فجر هذه المجموعة الشعريةِ حين تكسر القمقم، وتتنفس الأكسجين لتعيش كفكرٍ جديدٍ يسيرُ على هذا الكوكب تحتَ دورةِ الشمس حول نفسها فلا تسل فرحتي بهذا الميلاد الذي أنبثق عن ولادةِ هذا الحرف الأخضر ولا سيما كنتُ أطالبه يإلحاحٍ بطبعِ آثاره تشاركني ثلةٌ من المثقفين في طليعتهم الأخ العلامة الشيخ عبد الله الخنيزي في كسرِ قمقمِ هذه الآثار والسماح لها بالتنفس في هذه الحياة ولكنه رحمه الله لم يتزحزح قيد أنملةٍ فأوصى بطبعها بعد وفاتهِ على نفقتهِ فأحسن لنفسهِ وأحسن للفكرِ العربي وأحسن لوطنهِ فهذه المجموعة الشعرية هي مفخرةٌ ليست للفكر القطيفي أو للمجد القطيفي إنما هي مفخرةٌ للضاد العربي وتعطي المكتبة العربية إثراءً ضخماً، فلابد لي من توطئة لتعريف الشِّعر فإن الشِّعر هو ديوان العرب، كما هو في المثل أما أنا فأقول الشعر ديوان الحياة، وهو المصور لأفراح الإنسانية وأتراحها وخلجاتها النفسية فهو كمرآةٍ تنعكس عليها العواطف ويبعث الأمم من رقادها ويسيرها في ميدان النصر في المعارك الحربية ويسبغها بحياةٍ جادَّةٍ كما يصف المرأةَ التي هي نصف المجتمع والرئةُ التي يتنفس منها.

فالشعر له في الحياة دورٌ خطيرٌ يمدُّها بألوانٍ من الصور فهل يصدق أن نقول أن الشِّعر هو الحياة، والحياة الشِّعر.. لان الشِّعر يصور الخلجات النفسية والأفراح والأتراح، والابتسامة

والدمعة والحب، والقلى، والوصل والهجر.. فالشِّعر مرآةٌ تنعكس عليه مضادات الحياة ومفارقها وعندما يبرح بك الألم أو الهجر أو تلُمُّ بك مصيبةٌ تتنفس في جوٍّ شاعرٍ من الشعراء لتخفف من هذه الآلام وتهدأ على أريكةٍ من أرائكِ رواءِ حرفٍ فتنعم ولو بعض اللحظات ولا أتصورُ أن المادة تطغى فتميت هذا الحرف الأخضر وتقبر الشِّعر أنا لا أنكر إننا نعيش على حواشي عصرٍ طغت الماديات فيه على الروحيات وأصبحنا نلهث وراءها بكل ما أوتينا من قوةٍ أو مُرُوَّةٍ نريقها في سبيلِ حطامٍ من هذه المادة، وبرغم هذا وذاك لا يزال الشِّعر وبكلمةٍ أوسع أفقاً ينير للسالكين عتمة الحياة، وأن الحرف بما فيه من طاقاتٍ ضوئيةٍ مصباحٍ يرسل ظلاله على وهج الآلام ويضمد جراحات الليالي والأيام، ومناراً يرشد التائهين إلى مرفأ السلامة وينقذُ الغرقى من أمواجِ تيار هذه الدنيا التي غرق البشر في حمأةِ ماديتها فبعد هذه التوطئة أو المدخل أريد أن أتحدث أو أدير حري في على تعريف وتجسيد الشاعر الخنيزي ولا أريد أن أتحدث عن الشيخ عبد الحميد الخنيزي الخطي كعالمٍ أو كزعيمٍ أو كأستاذ من الأساتذةِ أو كزعيمٍ وطنيٍ له دوره في وطنه حيث كان يوماً ما مفزعاً وملجأً لأبناء وطنه حيث سبقت الدراسة عن شخصيته وقد أشرنا إلى نشرها في كتابنا الشعر ودوره في الحياة، إنما أُريد هنا أن أتحدث عن الشاعر الشيخ عبد الحميد الخنيزي، وأُقصر هذه الدراسة على آثاره الشعرية التي تم إصدارها في هذه الأيام، وكانت فرصةً ذهبيةً لأقوم ببعض هذا الواجب تجاه أستاذي، وأعطي عن دوره الشعري وتأثيره في الأدب العربي وما تركه من تراثٍ نعتز به ونفخر به والذي يتمثل في مجموعاتٍ

شعريةٍ تنقسم إلى ثلاث مجموعات سأخصُ كل مجموعةٍ بحلقةٍ دراسيةٍ، ولعل من الخير أن أبدأ هذه الدراسة باللحن الحزين فالخطيُّ هو أولُ واضع لبنةٍ في هيكل الأدب القطيفي الجديد وصاحب مدرسةٍ أدبيةٍ، فهو رومانسي استلهمَ شِّعرهُ من ألوانِ الطبيعةِ ومن خلجاتهِ النفسيةِ ومن جمال حواء، ومن معاناته النفسية، وكان له الطابع التأثيري في آفاق الثقافةِ القطيفية من شِّعرٍ ونثرٍ، وقد ترك كوكبةً تنيرُ هذه العتمة وهي جزءٌ من أفكاره غير أن الحافظين قليلون وهو المع جوهرةٍ في تاج الشِّعر القطيفي.

حيث لا تزال بصماته المميزة له تلوح خيوطاً من الفجر على حواشي تأريخ الأدب القطيفي لقد ذهبت بك يا قارئي في منعطفاتٍ وجُلتُ بك في آفاقٍ بعيدةٍ فلنعد للنقطةِ الضوئية التي نريد أن نحدد مسارها فنبدأ باللحن الحزين هذا أحد دواوينه الشعرية ويتكون من صورِ لوحاتٍ زيتيةٍ رسمتها ريشة الشاعر في رسماتٍ فنيةٍ وقد صَوَّرَتْ هذه القصائد ألواناً من صور الحياة ففيها الغزل والقصص والرثاء والشكوى وقبل أن أختار منه بعض النجوم من هذه السماء المتألقة لأخضعها للدراسة والنقد أريد أن أهمس في أذني أخي مِنْ خلف هذه الحجب الكثيفة التي غاب وراءها إن كان يسمع صوتي لأسجل عليه بعض الملاحظات منها ما أسمعتهُ في حياتهِ ومنها ما عرفته بعد قراءتي للحنه الحزين أما الملاحظةُ التي أسمعتها إياه في حياتهِ فكنتُ أناقشهُ على تسمية نفسهِ بالخطي وعدولهِ عن لقبه الصحيح الخنيزي لأن الخطي نسبةٌ يصحُّ لكل قطيفيٍّ أن ينتسب لهذا اللقب فقد سبقه إلى هذا اللقب الشيخ جعفر

الخطي الذي أنتقل من هذه الحياة عام ١٠٢٨ هـ حيث ترك لقبه وتمسك بنسبته إلى بلاده، فهذا اللقب لا يعطي ميزةً تميزه عن الآخرين لأن كل قبيلةٍ لها ما يميزها عن القبيلةُ الأخرى، وقد أشار إلى هذا الهدف السامي القرآن الكريم حيث قال:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إنَّا جعلناكم شعوباً وقبائلَ لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾.

صدق الله العظيم

فكنتُ أحتدم معه في النقاش في هذه النقطةِ كما كان يشاركني في ذلك الأخ المرحوم الشيخ / حسن الخنيزي، والأخ العلامة الشيخ عبد الله الخنيزي ولكنَّ الأخ الشيخ عبد الحميد (ر هـ) أصرَّ على أن يتمسك بلقب الخطي وحتى جرت بينه وبين إحدى كريماته مشكلةٌ حيث جاءت تحمل شهادتها الابتدائيةَ بلقب الخنيزي فثار على كريمتهِ وأراد محو لفظة الخنيزي ليضع مكانها الخطي فانسكب الحبر على تلك الوثيقة فضاقت كريمتهُ ذرعاً وجللها الحزن وبطنتها الكآبةُ وأخذها العويل والبكاء ومن الصدف أن تفاجئ بنت أخي بدخولي فلجأت إليَّ فهدأت من مخاوفها وقلت لها سوف نتصل بمديرة المدرسة ونسوق لها الأعذار التي تقبلها ولا يكون عليكِ عقابٌ إن شاء الله لأن في ذلك الظرف لا يطلب من الطالب أو الطالبة هوية حتى تسجل الشهادةُ طبق الحفيظة ولعل هذه الكريمة إن لم تخني المعلومية لا تزال تحتفظ بلقبها الأصلي الخنيزي وكان الأخ الشيخ عبد الحميد يستعمل لقب الخطي في نشره للآثار الأدبية أما على صعيد الوطن الداخلي كالوثائق الشرعية والشهادات فيستعمل

لقبه الخنيزي الأصلي وحتى حدثت له قصة طريفة حيث جاءته رسالةٌ أدبية من محرر أحد الصحف الوطنية بأسم الخطي فأرجعها مدير البريد وكتب عليها لا يوجد هذا اللقب حيث كان مشهوراً بالخنيزي، وعلى أثرِ هذه القصة حصلت مرافعةٌ من مدير البريد حيث عرضَّ به أخي في جوابِ رسالته على دعوة المجلة له ونسب الإهمال لمدير البريد، وأخيراً استعمل لقب الخطي في جميع ما يصدر منهُ حتى غَلَّبَ الخطي على الخنيزي.

أما الملاحظة الثانية التي لم أعرفها إلا بعد قراءتي للحنهِ الحزين فإن هذا الاسم لا ينطبق على المسمى حيث أن هذا السفر يضم بين دفتيه صوراً من الغزلِ، والقصص والرثاء والوصف لجمال الطبيعةِ والشكوى فهو يمثل شتاتاً من ألوانٍ من واقع هذه الحياة وما كان يمثل الطابع العام التراجيديةِ أي الحزن إنما هي جزءٌ منه فلا تصدقُ هذه التسمية على هذا المسمى، إلا إذا كان الشاعر يقصدُ بتسميتهِ البعض بالكل، وعلى القارئ أن يقرأ هذا الديوان ليشاركني في رؤيتي أو يخالفني واختلاف الرأي لا يفسد للود قضية وأنا أُؤمن بحرية الفكر التي لا تفرض على الآخرين ولنفتتح هذا السفر لنتمتع بأزهارهِ ونشمَّ عبيرها ونغذي فكرنا من هذه المعاني المنسابة من هذا الجدولِ الرقراق، ونسمع زقزقات الطيور وفي مطلع أفق هذا الديوان فاتحة وصف الشاعر فيها دور الشاعر، ومكانتهِ في الحياةِ، وبعد رحيلهِ من هذه الدنيا.

ونختار من هذا الديوان زهرتينِ الزهرةُ الأولى (ديك الصباح)

ديكُ الصَّباحِ

أيــها النـائــم استفــق إن ديــكَ

الفجـر قـد صــاحَ مؤذنـاً بالصبـاح

هـــاتفاً بالنـــؤوم هـــبَّ خفيفـــاً

لا تنــم والصبــاح مــلء النواحــي

مَتّــع الـــعينَ بالصبــاح مشاعـــاً

في الشــواطي وفي الربــى والبطــاح

خـــيرُ أوقاتـــكَ الـــتي تتقضـــى

بيـــن عـــود يشـــدو وأقـــداح راح

وعـــلى ضفتـــي غديـــر طـــروب

حـــول زهـــر غـــض وخـــود رداح

كـــلُّ أبنـــــاء آدم 'لتـــــراب'

وســـواءٌ ذوو الخنـــا والصَّـــلاح

فانفـق العـمر في اللـذاذة وانهـب

غفـــلات الزمـــان والنُصَّـــاح!

وابتعـد - مـا استطعت - عن وعـظ

غـــر، مثقـــل بالهمـــوم والأتـــراح

خاب في العيش فاطمأنَ إلى الزهـد

وزهـــد الضعيـــف شـــرُّ ســـلاح

يبـــرزُ الغـــادة الكعـــاب بشكـــل

قاتـــم اللـــون كالليـــالي القبـــاح

ولـو اسطـاعَ نهـزةً مـن نعيـم

لتـردَّى عـلى فـم المصبـاح!

فمـن الظُـلم أن أُغْمـضَ عينـي

عـن سـماء فتانـة الأوضـاح

ومـنْ الظـُلم أن لا أصـيخَ لطـير

عَـذبَ اللحـن مُسكـرَ الأرواح

ومـنْ الظُـلم لا أباكـرَ روضـاً

خَضِـلَ العشـب ضـاحكَ الألـواح

وَمـنْ الظـُلم لا أرودُ مسـاءُ

شـاطئاً: مجمـع الهـوى والمـراح

لـيَ هـذا الجمـال طـراً فـلم لا

أتمـلاهُ قبـل يـوم 'الـرواح'؟

بين يديك أيها القارئ لوحةٌ من اللوحات الزيتية الفنية التي أنسكب عليها الفن بريشةٍ صناع وماج فيها الجمالُ أضواءً من السحر فهي من السهل المُمتنع افتتح الشاعر هذه اللوحة بتصويرٍ رائعٍ بندائه السحري الذي وجههُ إلى النائمين على صيحةِ الديك فصيحات الديكةِ في الفجر لها روعةٌ سحريةٌ ليستيقظ النوَّامُ فيشاهدون جمالَ الطبيعة تموج ألواناً من ضوء الصبح وما في الحقول من دنيا فنيةٍ فيمتعون القلوب والعيون لمشاهدة هذه المناظرَ البديعةَ التي هي من خلق فاطر السماوات والأرض الذي سخر لنا كل شيءٍ بقدرتهِ وأماطَ الأستارَ لنتبصر في هذه الطبيعة الناطقة بالجمالِ ويمضي الشاعر فيصور تكملة

لهذه الطبيعة الفينانه نادياً من اللهوِ يطفو بالأنسِ والأوتارِ وتزينهُ غادةٌ رداح ثم يهتفُ برفاقهِ ليختلسوا الوقت اختلاساً لأن العمر غيرُ باقٍ قد تحرر الشاعر في هذه القصيدة حتى صار إنتهازياً ولكنه قولٌ لا فعلٌ فهو يعيشُ في حياةٍ قيدتها الآداب الشرعيةُ التي لا يخرج المتمسك بها عن أفقها.

فترة

أمامي وخلفي أفاعي البشر

تدب بدربي فأين المفرْ؟

ثلاثون شهراً خلت لم أكن

بأكثر حساً بها من حجرْ

هوى العلمُ والشِّعرُ في فترة

من الذروات إلى المنحدرْ

شُغلتُ بها بالجدال العقيم،

وبالشكل عما وراء الصور

حَطَمْتُ اليراعَ وجف المداد

وأخلدَ للصمت هذا الوترْ

سكونٌ عميقٌ غشى أصغريَّ

فأودى بتلك القوافي الغررْ

غفا الشعر فوق ذراع الوجوم

ولم يستثره دويُّ الغيرْ

إلى أن أهاب به هاتفٌ

شجيُّ الصدى من وراء الذكَّرْ

أفــاق كمــن هــبَّ مــن نومــه

تلــوحُ عليــه سمـــات الخـــدرْ

ولكنـــهُ لـــم يعـــد ضاحكـــاً

ومـــلءُ كيانـــي جـــراح القـــدرْ

فلـــم أبتعـــث غافيـــات الطيـــور

أشـــاطرها شـــدوها في الســـحرْ

ولـم أسبـق الشمـس قبـل الـذرور

إلـى الحقـل مستمـتعاً بالزهــرْ

ولـــم أرد الـــروضَ عنـــد المســاء

ولـــم أســـتمع لخـــرير النـــهرْ

ولــم تُغـــرني الغيـــدُ فـــي حُلـــيها

ولـــم أُتبـــع 'الغاديـــات' النظـــرْ

ولـــم يُرهـــف الليـــلُ لـــي سمعـــهُ

ولا أرقـــصت أغنيـــاتي القمـــرْ

ولـــم تـــأسَ نفســـي عـــلى فـــائت

ولـــم تـــرَ عينـــي بهـــا مـــا يَسُـــرْ

فيـــا بلبـــلاً ذيـــد عـــن وكـــره

وســـد عليـــه المطـــار النســـرْ

وهـــام عـــلى وجهـــه في الفضـــا

إلـــى مَ الهيـــامَ؟ آلا مســـتقرْ؟

إن هـذه القصيدة تصور فترةً من حياة الشاعر التي مـر بهـا، ولا بـد لنـا مـن إعطـاءِ لمحـةٍ عـن هـذه الفـترة ولـو إيمـاءة

الشاطئ لأنها فترةٌ انطوت في تلافيف الزمن وقد صورها الشاعر صورةً حيةً تنطقُ بهذه الانفعالات النفسية والإشاراتُ البعيدة كان الشاعر في تلك الفترة شُغل فيها بالشكل عما وراء الصور لأنه أخذ على عاتقهِ النضالُ عن مبدأ أستمر فترةً، والتي تشير له هذه القصيدة التي هي بعنوان فترة غير أن الشاعر سكب انفعالاتهِ النفسيةَ على ما تضبب في جو تلك الفترة وصور البشر بما أنهم بشر بدون أن يقصرها على تلك الفترة فاستمعِ معي أيها القارئ لهذا اللحن المنساب كانسياب المياه في النهر إن أمامه وخلفه أفاعي البشر تحيط بهِ فأين المفر حتى تبلد حس الشاعر وصار كالحجر وإن العلم والشعر هوى من القمم إلى المنحدرات واستمر الشاعر في تصويرهِ البديع الذي بلغ فيه قمة البلاغة والأدب الرفيع إن هذه القصيدة هي من الشعر الرومانسي الذي يندُر أن تجود سماء عبقر بمثل هذه القصيدة ولا أبالغ لو كانت هذه القصيدة لنزار قباني أو أمثالهِ لكانت لها ضجةٌ في صحفنا العربية وهتافٌ لكن شاعرها من شعبٍ مغمور أيها القارئ قد ترى أنني بالغتُ أو تحيزتُ او طغت العاطفةُ فخرجتُ بك عن ميزان النقد إلى دنيا المبالغة والمدحِ ولكنك عندما تمعن التأمُّلَ توافق على ما ذهبتُ إليه وترى في طياتهِ نقداً لأننا لا بد أن نسمي الأسماء بأسمائها ونعطي كل ذي حقٍ حقه فالناقدُ لابد أن يتحلى بالإنصافِ ويحمل إزميلهُ بيمينهِ لينقش صورةً أو يصلحَ هيكلاً قد شوهتهُ كف الحياة أقرأ معي هذه القصيدةَ العصماء ففيها شكوى مُرَّة حيث أن النسر سُدَّ عليه المطار فلا يستطيع أن يحلِّقَ برغم الهاتف الذي هتف بهِ من وراءِ أفقِ الإلهامِ ولكنه انتبه وهو مرتاعٌ وعليه سمات الخدر

ولكن النسر لم يعد لحياتهِ الطبيعيةِ فيسبق طلوعَ الشمس إلى الحقول ولم يستمع الليل لأغاريدهِ وهولا يزال في حزنهِ العميق يفيض شكوى وألم وينِّزُ نزيزاً من جروحه من الليالي والأيام وأريد أن أعلق على الشاعر ملاحظةً نقديةً لبيت من هذه القصيدةِ حيث عبَّرَ عن الغيَّر وهي المصائب بكلمة دويٍّ الغيَّر ولا أعرف ماذا يقصد بهذا الدويَّ هل يقصدُ عن الجروح التي تتركها تلك المصائب والدويٍّ لابد أن يكون ناتجٍ عن أصوات ولو أبدلها الشاعر بكلمة تناسبُ لكان جو هذه الفترة ينسجمُ مع القصيدة، وقبل أن أختتم حديثي عن هذا الديوان أريد أن أسجل على الشاعر في هذا الديوان ملاحظةً حيث أنه أهمل مفهوماً تاريخياً، ومناسبة القصيدةِ التي تفاعل من أجلها الشاعرُ حيث أهمل المناسبة، والتاريخ فإن لهما دوراً خطيراً في حياةِ الشاعر وفي مستقبل الأجيال ومنها يقرأ الشاعر ويميز صعوده في أفق الشعر وإسفافه حيث أهمل الشاعر مناسبة القصيدة التي قالها في والده روح الأمام تتكلم حيث نشرها في (ذكرى الإمام الخنيزي) المطبوع بالمؤسسة العالميَّة للكتاب بلبنان الطبعة الثانية عام ١٤١٨هـ الموافق ١٩٩٨م بهذا العنوان ولكنه في ديوانهِ نشرها روحٌ تتكلم ولم يشر للمناسبة بل اكتفى بقوله أنه صورةٌ ناطقةٌ لما يلاقي القاضي من بعض الذوات من المضايقات والمعاكساتِ كما أهمل الشاعر التعريف بقصيدته التي عنوانها دمعةٌ على أبي وإن كان عنوانها يفسر المناسبةَ ولكنَّ الشاعرَ تفاعل مع هذه المأساة عندما جاءه البرقُ يحملُ نعي والدهِ وهو في هجرتهِ الدراسية في النجف فلابد من الإشارةِ إليها وقصيدتهُ الثالثة التي هي بعنوان عيد المعارف كما هي منشورةٌ

في (ذكرى الإمام الخنيزي) حيث ذكر إنه كتبها بناءاً على طلب شقيقهِ المرحوم الحاج حسن الخنيزي أما في الديوان فقال هذا بعضٌ منها مدحٌ في سيدي الوالد وأبدل عنوانها بأسم يا حامل الآلام، ولم يوضح الشاعر المناسبةَ التي كتبها على أثرها لا في الذكرى ولا في الديوان وهذا إهمالٌ للمعاناة النفسية والتجارب الفعلية التي تخلق في ظرفٍ تولد فيه القصيدة لذكرها دورٌ مهم وليسمح لي أستاذي بهذه الملاحظات التاريخية لأنني أريد أن تكتمل هذه المجموعات بحسب ما نستطيعه من طاقاتٍ جهديةٍ فقد قمت ببعض التصحيح في مسودات البروفات (المسودات في اللمسات الأولى) وهذا بعض حقوق أستاذي ولا أدعي الكمال لأن الكمال لله ولرسوله وأهل بيته الأطهار.

وبعد مطافنا في ديوان اللحن الحزين وتسليط النظرة الضوئية على ما فيه من قصائدٍ من نقدٍ أو ثناء نفتتح المجموعة الثانية ديوان وحي الثلاثين ونعيش في جوه الشعري فأول ما تطالعنا في هذه المجموعة قصيدةٌ عنوانها (ليلةٌ في شواطئ القطيف) تعطيك صورةً حيةً عن شواطئ القطيف وعن السفن الذاهبة والآيبة وصور الطبيعة التي كانت تتمثل حيةً في صعيد القطيف من بحر وبساتينَ ونخيلٍ كالعرائس قبل أن تُصحَّرْ ثم تصافحك قصيدةٌ أخرى للبطل الإسلامي (مالك الأشتر) ولا أريد أن أطوف بك يا قارئي ولا أريد أن أعطي نظرة لكل قصيدةٍ من هذا الديوان ولو سرنا على هذه المسيرة لاحتجنا إلى إنفاق وقتٍ كبيرٍ وإعداد صفحاتٍ ... غير أن النظرة الضوئية التي ترسم محتوى الديوان في شكله العام يتكون من وصفٍ للطبيعة وغزلٍ في وصف حواء ولونٍ من القصص الشعري

وشكوى وتأبين وقد غطى حيزٌ كبيرٌ من الديوان رثاؤه لأبنائه، غير أني سأختار منه قصيدتين لأخضعهما للدراسة والنقد والتحليل وكمثالٍ للتدليل على شاعرية أستاذِنا الرومانسية، ولابد من ملاحظةٍ أسجلها على الشاعر وهي للأمانةِ التاريخيةِ حيث أنه لم يعطِ عن بعض القصائد الدوافع التي سببت كتابة هذه القصائد والمناسبة ومن قيلت فيه كما أعطى الشاعر عن بعض القصائد التي في هذا الديوان مفهوما تاريخياً حدد مسارها، كالقصائد التي أبنَّ بها أبناءه، والقصيدة التي قالها في ذكرى المجاهد العلامة البدر وأهمل بعض القصائد كالتي قالها في والده الإمام الخنيزي بمناسبة وقوفه على قبره التي عنوانها وقفةٌ على قبر وقد عرفت منه شخصياً المناسبة التي تفاعلت نفسهُ معها، وهذه القصيدةُ تصفُ الفراغ العميق الذي تركه والده حيث خلى دست القضاء منه وتصفِ مشاعر الجمهور التي شاهدها بعد موت والده، و بعد عودتهِ من دراسته بالنجف الأشرف وعدم الإشارة إلى المناسبةِ التي قيلت من أجلها تعد خلاف الأمانة التاريخية ومطلعها:

ألا فانتبه أيها الراقدُ

لتنتظر ماذا أتى الماردُ

وقد نشرت في ذكرى الإمام الخنيزي (الطبعةُ الثانية)، كما أهمل مناسبة قصيدة الزعيم الخالد، وقد وجدتها في هذا الديوان مؤرخة بغير التاريخ الصحيح، وقد قدمها لي في حياتهِ من القصائد التي اختارها لأكتب عنها، وتاريخها هو واحد وستون بعد الثلاثمائة والألف هجرياً حسب ما أرخها هو، وهذا التاريخ هو من قلب الواقع حيث أن القصيدة هي تأبينٌ في

العلامة الشيخ محمد علي الجشي[1] وليست هي في الزعيم أبي عبد الكريم الخنيزي حيث أن بعض أوصاف مفهومها الشعري لا تنطبقُ إلا على العلامة الشيخ محمد علي الجشي ولا أعرف من عبث بهذا التاريخ وحولهُ إلى عام أثنين وستين بعد الثلاثمائة والألف هجري وهذا خلاف الأمانة التاريخية، وجانب الحقيقة، وقد ناقشته في حياتهِ لنقله إياها من تأبينِ صاحبها إلى تأبين الزعيم ولم يبدِّل شاعرها تاريخها، وكانت تحملُ تاريخاً متناقضاً بين تاريخ القصيدة وتاريخ وفاة من نقلت فيهِ، وكتبتُ رأيي فيها قبل وفاته، وهذا التاريخ كان الزعيم حينئذٍ موجودا على قيد الحياة فلا تصحُ فيهِ كتأبينٍ، كما وجدتُ شرحاً على قصيدة الزعيم الخالد يفسر المناسبة التي نقلت له وهذا الشارح الذي لا أعرفه لم يشرح القصائد الأخريات التي هي في هذا الديوان ومناسبتها وهذا يعد تحيز منه حيث قصر شرحه على قصيدة الزعيم، دون غيرها من القصائد، وهذا من الغرائب وخلاف الأمانةِ التاريخية، ونختار من هذا الديوان القصيدة الأولى وهي غزلية.

(أمام المرآة)

جئْتُ هنْداً - وقد خَلَتْ - تَتَغَنَّى
كَالْعَصَافيْر في الصَّبَاح الهَادِيْ

قطْعَةٌ كُنْتُ صُغْتُها باسْم هنْد
منْ دَمَائيْ وَمنْ سَوَاد فُؤاديْ

أَسْدَلَتْ دُوْنَها السِّتَارَ وَأَلْقَتْ
مَا يَقيْها ... كَسَاعَة المِيْلاد!

---

(١) حيث كانت وفاته في عام الف وثلاثمائة وواحد وستين هجري.

جَسَدٌ صِيغَ مِنْ رُخَامٍ صَقِيلٍ
فِتْنَةُ العَاشِقِينَ وَالْعُبَّادِ!
وَثُدَيَّانِ يَرْقُصَانِ دَلالاً
رَقْصَةً تَبْعَثُ الهَوَى فِي الجَمَادِ
وَشِفَاهٌ كَالأُرْجُوَانِ تَلَظَّى
وَعَلَى الخَدِّ ((جَمْرَةٌ)) فِي اتِّقَادِ
وَقَوَامٌ كَالخَيْزُرَانِ انْحِنَاءً
وَالْتِفَافاً كَأَنَّهُ صِلٌّ وَادِ
وَعَلَى رَأْسِهَا مِنَ الشَّعْرِ ((تَاجٌ))
عَبِقُ الطِّيبِ فِي اصْفِرَارِ الجَادِيِّ
وَإِذَا لاَحَ صَدْرُهَا فِي الْمَرَايَا
نَاصِعاً مِثْلَ فِضَّةِ الآرَادِ
هَتَفَتْ إِنَّنِي مَلِيكَةُ عَرْشٍ
شِيدَ فَوْقَ القُلُوبِ وَالأَكْبَادِ
قَدْ أَتَتْ ذَا وَمِثْلَهُ وَهْيَ نَشْوَى
مَا أَحَسَّتْ بِمَكْمَنِ الصَّيَّادِ
لَمْ يَرُعْهَا إِلاَّ وَكَفٌّ فَتَاهَا
تَرْفَعُ السِّتْرَ كَالصَّبَا فِي اتِّئَادِ
فَعَرَتْهَا انْتِفَاضَةٌ وَتَوَلَّتْ
كَالْمَهَا أَجْفَلَتْ مِنَ الأَرْصَادِ
لاَ تُرَاعِي يَا هِنْدُ! لَسْتُ بِبَاغٍ
أَوْ مُغِيرٍ عَلَى حِمَاكِ وَعَادِ!

لـم أكُـنْ غيـرَ شَـاعر عاطفـيٍّ

وَلـعَ بالجَمَـال: خَـاف وبـاد

وقفةً معي أيها القارئ لنتأمل في هذه السيمفونية ونعيشُ لحظات في جوها فهي من الأدبِ الغزلي الرفيع وإن تخللتها مسحةٌ من الأدب المكشوف بيد أنها صورةٌ متحركةٌ حيةٌ تجسد الشعور الحساس تأمل معي تُسكرك هذه القطعةُ حيث أن الشاعر رسم أمام مرآته صورةً تشبه القصة حيث جاء حبيبتهُ وهو يحملُ قطعةً صيغة من النفوس والقلوب ليقدمها هديةً إلى هند ولكنه فوجئ بما لم يدر بحسبانهِ حيث خلت تتغنى كما تتغنى العصافير في الدَّوح وأسدلت عليها الستار وعادت عاريةً كساعة الميلاد وكان الوصف رائعاً ولتقرأ معي هذه الصورة الناطقة أنه جسدٌ ولكنه مصاغٌ من رخامٍ يفتن العاشقين ولو كانت الفتنةُ مقصرةً على العاشقين ولكنها تعدت هذه الفتنةُ إلى العُبَّاد فتصور هذه النكتة البلاغية ونهدانِ يرقصانِ من الدلالِ حتى يحركان الجماد فيبعثانِ حياة الغرام في ذلك الجماد وهذه السيمفونية التي لا تتجاوز بضع أبياتٍ معدودات في صورتها المبدعة وبلاغتها الرائعة تصورُ شريطاً سينمائياً متحركاً كأنك تشاهدهُ وتنعكس ظلاله أمام مرآة الشاعر كأنك أمام مرآةٍ تصورُ لك كل ما حولك في صفاءٍ على طبيعتها كما أنشأها

فَعَرَتْهـا انْتفَاضَـةٌ وتَوَلَّـتْ

كَالَمهـا أجْفَلَـتْ مـنَ الأرصـاد

والملاحظة أن قافية الإرصادِ لم تكن نابتةً كقوافي هذه القصيدة، ولو كان مكانها الصيادِ لكان أبدع لكنه سبقت منه قافية الصياد في قوله أحسَّت بمكمن الصيادِ وهي نابتةٌ في مكانها.

قَــدْ أَتَــتْ ذَا وَمِثْلــهُ وَهْـــيَ نَشْــوَى

مـــا أحَسَّـــت بمَكْمَـــن الصَيَّـــاد

فليس له فيها يدان وإن القافيةَ كما قيل قيدٌ من القيود الشعرية التي تفرض نفسها على الشاعر.

ونعود مرةً أخرى لنعيشَ في قصيدةٍ عنوانها:

(نجوى هزار)

غَــرِّدْ بوكْــرِكَ يـــا هَــزَارُ وَرَجِّـــع!

فَأنَــا بمَــرْأى مــنْ غنــاكَ وَمَسْمَــع

مَـــالِيْ أرَاكَ مُغَـــرِّداً وَمُصَفــــِّقاً

هَــلْ همْـتَ مثْلـي بالجَمَـال الأبْـدَع؟

ابْثُــثْ لقَلْبـي مـا بقلبـكَ مـنْ أسَـــى

إنّـــي أُشَــاطرُكَ الأسَـــى لا تَجْــزَع

بَيْنــيْ وبَيْنَـــكَ يـــا هَـــزَارُ قرابـــةٌ

إنَّـــا كلَيْنَـــا نَسْتَقـــي مـــنْ مَنْبَـــع

هَــلْ أنْــتَ مثْلــي يـا هَــزَارُ مَضيَّــعٌ

فَمُضَيَّـــعٌ يَشْكُـــو إذَنْ لمُضَيَّـــع

إن كَــانَ أغــراكَ الرِّيــاضُ بحُســنه

وَضَحكْـتَ للأمــل الشَّــهيِّ المُمتــع

وتَخــذْتَ في قمَــم الغُصُــون مَحلــةً

وَنَعمْـــتَ في ظِّــل الرَّبيـــع المُمـــرع

وَهــزَزْتَ أعطــافَ الحدائـــق بَكْــرَةً

ونَشَــقْتَ مــنْ أرَج الرُّبـــى المُتَضَــوِّع

فأنـا بسجنـي والقيـودُ تؤدُّنـي
والهَـمُّ يَقـدَحُ زَنْـدُهُ في أضلُعـي

يـا ابـنَ الحدائـق غنِّنـي أُنشـودةً
فعسـى بهـا بُـرْؤُ الفـؤاد المُوْجَـع

واذكُـرْ صَديقَـكَ فهـوَ مثلُـكَ شـاعرٌ
قـد لُـفَّ في شَـبَح الشَّـقاء المُفـزع

أيها القارئ وقفةً تأمليةً معي لندرس هذه القصيدة أو هذه القطعة السيمفونية فإنها نغمٌ من الأنغام الحزينة التي تصورُ هموم الحزانى، والعباقرةُ الذين لم يعطهم المجتمع قدرهم ومنزلتهم و لا يعرفون أسرارهم، ويساوونهم بغيرهم من الشرائح الأخرى لأنهم لا يعرفون ما يطفو على سطحهم فكيف يصلون إلى ذلك السرِّ العميق، وإن سر الروح سرٌّ غامضٌ لا يفهمه إلا أولئك العباقرة الذين شربوا من هذا الجو السحري كؤوساً شفافةً أنعشتهم فنطوف بجو هذه القصيدة السحرية فالشاعر أفتتح قصيدته بمناجاةٍ إلى ملك الطيور الهزار الذي يتغنى بأسرار الجمال والطبيعةً كما يتغنى الشعراء فكان للهزار صورةً جامعةً يشترك معه فيها الشعراء هو الغناءُ والشعور بأسرار الطبيعة فافتتح الشاعر مناجاته بنداءٍ إلى زميلهِ للتغريدِ وتوقيع اللحن وإن الشاعر كله آذانٌ ومرأىً للحن هذا الهزار ويُكمل الشاعر هذه الصورة المتحركة:

مالي أراك أيها الهزار تُغَرِّد وتُصَفِّقُ هل أنت همتَ بالجمال كما همتُ أنا فأنا وأنت في قاسمٍ مشتركٍ هو حُبُ الجمالِ وهنا الشاعر يتنفس في هذا الجو ليخفف من آلامه فأنه

يُحِبُّ أن يشاطر الهزار ما في قلبهِ من الآلام كما في قلبِ الشَّاعِر كأنها شكوى من حبيبٍ لحبيبهِ ويَغْرُبُ الشَّاعِر في هذه السيمفونية:

هَلْ أَنْتَ مِثْلي يا هَزَارُ مُضَيَّعٌ
فَمُضَيَّعٌ يَشْكُو إذَنْ لمُضَيَّع

ما أجمل هذه الشكوى وما أحسنها وما أشجاها يخاطب الشاعرُ الهزار هل شكواكَ لأنهم أضاعوكَ فأنا مضيعٌ في مجتمعٍ فتحسن الشكوى لُمضَّيعٍ هل أنتم تتصورون هذا المعنى التراجيدي ففيه الروعةُ والبلاغةُ والأداء الفني ويكمل الشاعر نجواهُ فيعطي الهزار حياةً طليقةً ناعمةً مخضوضرة، ولكنَّ الشاعر يخصُ نفسه بحياةٍ مؤلمة فيها من القيودِ التي ينوء بها، فيعطينا الشاعر فارقاً مميزاً بينه وبين الهزار فالهزار طليق أما الشاعر فهو كما صور حياته في سجنٍ، والقيودُ تثقلُ كاهلهُ والحزنُ كأقباسِ شررٍ يلهبُ أضلعهُ.

ويردد الشاعر في نجواه للهزار أن يرسل له أغنيةً لعله يخفف من الآم فؤادهِ الموجعِ ويختم الشاعر سيمفونيتهِ خاتمةِ زخمٍ

واذكر صديقك فهو مثلك شاعرٌ
قد لُفَّ في شبح الشقاء المفزع

إن صورة شبح الشقاء المفزع لصورةٌ حيةٌ ولكنها مرعبةٌ مفزعة ونترك هذا الديوان الذي هو صورةٌ ناطقةٌ من الأدب الجديد الرفيع لنطوف في جوٍّ المجموعة الثالثة رباعيات الخطي(من كل حقلٍ زهرة) التي تتكون من رباعيات ونعطي عنها نظرةً ضوئيةً كاشفةً لما تحتويهِ في شكل لونها وصورها العامة.

تتكون من أربع وتسعون رباعية تحتويها مائة صفحة، والشاعر صور فيها ألواناً من الصور الشعرية صاغها من تجاربه النفسية وانفعالاته الشاعرية ففيها ألوانٌ من الشكوى، ومن الغزل، ومن نقد المجتمع، وضياع الشاعر ككونه مجدداً للأدب الرومانسيٌ في سماء القطيف وإهماله في هذا المجتمع حسب رؤيته التي صورها في هذه المجموعة الشعرية وأنا آخذ عليه ملاحظتين تاريخيتين الأولى أنني أتمنى أن الشاعر لم ينشر الرباعية التي عنوانها بيني وبين أبي ص: ٦٨ (وأولها)

أنـــا عبـــدٌ في لبـــاس الســـيد

فمتـــى أكســـر غلـــي ... بيـــدي

فهي لا تليق بمثله، ولا سيما مثل والده الذي أنعم عليه وتجشم الصعاب في بعثه للدراسة للعراق، ووالده كزعيم ديني ومرجع يلجأ إليه في غِيَرِ الزمان وحوادثه، وكريم يهطلُ كالسحاب في يوم المَحْل، وحتى صارَ بعضُ الناسِ من نساءٍ ورجالٍ يتمنون أن يكونوا أيتاماً ليعيشوا تحت ظل الإمام الخنيزي ولا أعرف هل نشرها من جمع هذه الرباعيات عند نشرها فأضافها أم هي كانت من قبل مضافة من الشاعر إني لأجهل ذلك.

ثانيا: تعليقي على رباعيته التي يخاطب فيها زوجه أم كامل رحمها الله وهي بعنوان شكاة أم كامل ص: ٩٦ التي مطلعها:

ســئمت زينـــبٌ حيـــاةَ 'الغـــريٌ'

رهـــن عُـــدم وفقـــد نجـــم وضـــيٍّ

فإن زوجه سئمت العيش في الغري أي النجف الأشرف لشظف العيشِ ولموتِ أبنائها فتتمنى أن تعود إلى وطنها والذي

أريد أن أعلق على شاعرنا وأستاذنا مع الأذنِ منه أنه لم يعش في النجف حياة المعدمين لأن والدهُ مدَّ عليه ظلاً وارفاً في دنيا نعيمٍ وخصبٍ حيث أجرى عليهِ راتباً يغطي تكاليف دراستهِ ومعيشتهِ في غربتهِ حيث بلغ قبل أن يختار الله والده سنوياً ثلاثة آلاف روبية هندية وكان هذا الرقم مبلغاً ضخماً في ذلك الظرف الاقتصادي الذي هو حياةُ جدبٍ وجزر ولم يتحرك والدٌ في ذلك الظرف ليبعث أبنهُ لطلب العلمٍ للظروف الماديةِ الخانقةِ، وقد ناقشته رحمه الله في حياتهِ الدراسية بالنجف وما يجريه والده عليه من مرتبٍ فصادق على ذلك وأضاف برغم ما يعانيه والدنا من حياةٍ مجدبةِ المادة ولانه ذو عائلةٍ عريضةٍ وعليه مسئوليات كبيرة برغمٍ هذا وذاك قد تجشم من أجلِ الصعاب لقد ترجمتُ كلامهُ رحمه الله معنىً لا لفظاً.

وبعد هذه التوطئة نفتحُ هذا السفر من كل حقل زهرة لنعيش في ذلك الحقل الخصيب لحظاتٍ ونشمَّ عطورهُ ونقطفُ منها بعض الزهرات فنعيش مع الشاعر في آلامه وأفراحهِ وأول ما نفتتح هذه الدراسة:

عقوق

منزلي كعبةٌ، يُحجُ إليه ...

إن ألمَّت بالقوم دُهمُ الرَّزايا!

وأنا - يا رعانيَ الله! - طودٌ

بي تلوذُ البلادُ، عند البلايا!

فلماذا - إذَن - تناسوا مقامي

في رخاء حتى بزيف التحايا!؟

ولمــاذا الألطــافُ تتــرى لفســل

ورقيــع تهمــي عليــه الهــدايا؟!

فالشــاعر يصـور في هــذه الرباعيـة مـا ينفقــه مــن جهـد وتضحيةٍ في سبيلِ وطنـهِ وهـو يبتعد عنـه ويعقُّهُ كما يعقُّ الولـدُ والـده وهـذه الرباعية تصورُ فترةً من حياة الشـاعر وهـي قبـل تطلع وطنهِ لانبثاقِ فجرِ حركتهِ الوطنية، وقد مثَّلت هذه الرباعية فترةً من حياة الشاعر قبل أن يتطلع لـه وطنـهُ ويمنحـه الحـبَّ والتقدير، وكان محلاً للإجلال من هـذا الوطـن الحبيـب حيـث شعر بفداحة فقدهِ للخسارةِ التي خسرها هـذا الوطـن ونعـودُ لقطعةٍ ثانيةٍ من هذه المجموعة بعنوان فتنةُ الأسمـاء:

فتنة الأسماء

أعجبـت بـي أسـماءُ، إذ قـرأت لـي

قطعـــةً، أُغفلـــت مـــن التوقيـــع!

فمضـــت تقتـــلُ الليـــاليَ: بحثـــاً

وســـؤالاً، مـــن واحـــد وجمـــوع

همُّهـــا - لا عـــراهُ وهـــنٌ! - تـــؤدِّي

بعـــض حـــقٍّ للشـــاعر المطبـــوع!

ثـــمَّ لمَّـــا أزاحـــت الســـترَ عنِّـــي

أعرضـــت، وانثنـــت لغـــير رجـــوع!

أيها القارئ تصور معي هذه القطعةُ كيف سجل الشاعر فيها ظاهرةً نفسيةً لأدبائنا الذين لا يقدرون أدب أبناء وطنهم وآثارهم ولَّما كان هذا الأثر مجهول التوقيع أعجبت به هذه الفتاة فلمَّا عرفتهُ أنه لأحد شعراء ابن جلدتها أعرضت عنه ومضت لتعيش في جوها

الإهمالي وما الفتاةُ إلا رمزاً وصورةَ حياةٍ لرموزٍ أكل قلوبهم الحسد فعاشوا على مآدب غير وطنهم وأهملوا أبناء وطنهم وهذه الظاهرة البغيضة تعيشُ في بعض النفوسِ ولا تزال تعشعشُ وتفرخ.

بعد الموت

أتُـــراني إذا تلاشــــى كيــــاني

أغتــدي وردةً بصـــدر الغـــواني؟!

أم تُـراني أكـونُ في الزَّنبـق الغـضِّ

شــذاً؟ أم أكـــون في العلجـــان؟!

أم تُـــراني أكـــون في القبــر نبتــاً؟

أم تُـــراني أكـــون وردَ الجنـــان؟!

لســتُ أدري.. ! لكنَّنــي بعــد مــوت

ســوفَ أغــدو حديــثَ كــلِّ زمــان!

هنا يصور الشاعر في هذه الرباعية خيالاً رومانسياً ويختم هذا الخيال بتصويرٍ لحياته بعد رحيله لهذه الحياة حيث سيبقى ذكره خالداً في حرفه المخضوضر.

في هيكل الإلهام

أنــا بعــضُ الأنــام في وضــح الصُّبــح

... وغــيرُ الأنــام تحــتَ الظَّــلام

لو تراني تحت الدُّجى شاخصَ الطَّرف

كـــأنِّي مســـامرُ الأجـــرام

أُنــزلُ الشِّــعرَ مــن ســماوات نفســي

كـــنبيٍّ، في هيـــكل الإلهـــام

لا تعـي إن أصخـتَ لـي غيـر همـس

لشـفاه تـوحي إلـى الأقـلام

فالشاعر يصور في هذه الرباعية عندما ينزل عليه الإلهام من سماءٍ عبقر، والشاعر يغرقُ في ألوانٍ بعيدة الفكر والتصوير.

بلادنا في الربيع

لـم - يـاربٌ - بـلادي

ألبسـت ثـوبَ حـداد؟!

مـا لهـا دون بـلاد الله

غـرقـى فـي السّـوَاد؟!

مـا لهـذا المبـدع الفـنَّان

فيـها مـن أيـادي؟!

إنهـا صفحـة مأسـ

ـاة، وألـواحُ جهـاد!

هذه الرباعية لوحةٌ فنيةٌ تجسد صورةً ناطقةً بمأساةِ بلادهِ ولعل الشاعر في هذه اللوحةِ الفنيةِ لم يُردِ وصفَ الطبيعةِ فالطبيعةُ كانت منظراً خلاباً بنخيله الباسقةِ وأشجار اللوز والليمون والأترج، فالربيعُ له يدٌّ صناعٌ إن صح التعبير، ولعل الشاعر يرمز إلى سرٍّ غامضٍ.

هزار وسط غربان

ذوى شـبابيَ في إبـّان ريعانـي

لمْ لا يشيبُ هـزارٌ وسطَ غربـان؟!

قـد ضعتُ في أُمـة ورهـاءَ عاكفـة

عـلى عبـادة أصنـام وأوثـان ...!

لا تقـدر العلـمَ والآدابَ فـي رجـل

مـالم يُحصـنَّ بـتزوير وبُهتـان!

إنَّـي إلـى كـل مخـدوع بهـا عظـةٌ!

فقـد أقمـتُ غريبـاً بيـن أخـوان

وهذه القطعةُ السيمفونيةُ تفيضُ شكوى وألماً وتصورُ حياةَ حلقةٍ تسلسلت وتبطنت بضيـاعٍ في ميعـةِ ربيـع الشـباب فكيـف يعيشُ الهزار في وسطِ غربانٍ ويغرب الشاعر فيصف ضياعهُ في مجتمعٍ لا يقدر الآدابَ ولا العلم حتى أصبح مثلاً للمخدوعـينَ وكأنهُ يعيش غريباً بين إخوانهِ وهذا منتهى الضياع.

لحد الفن

أهرمتنـي قبـلَ ميعـاد المشيـب!

بلـدةٌ مـلأى بـألوان الخطـوب!

رحُبَّـت أفقـاً لغربـان ... ولـم

تتَّسـع أفقـاً لهـذا العندليـب

تفتـحُ السمـعَ إلـى ناعبـة ...

وتسـدُّ السـمع عـن لحـن رطيـب!

لـم تكـن مهـداً لفـنٍّ، إنمـا

خُلقـت لحـداً لفـنٍّ وأديـب!

تأمل معي أيها القارئ هذه الشكوى المريرة التي فيها نزيفٌ من شريان حي يقذف الآمهُ ويصفُ جحودَ المجتمع للمفكرين وهذه اللوحةُ في بلاغتها في الأداءِ الفني ذروةٌ من الفكر الأدبي العربي.

بعث وموت

بعثتني يد الغريّ ولكن
قبرتني القطيف قبلَ المماتِ!

يا تُرى للهزار موتٌ، سوى الصمت
عن الشدو في ربيع الحياة؟!

صوَّحت دوحتي، وجفت ينابيعُ
بياني، وأخفقت أُمنياتي

واستحالَ الغناءُ في عوديَ الأسوان
نوحاً مفجّعَ النغماتِ!

تأمل معي أيها القارئ لهذه اللوحةُ الفنيةُ فهي شكوى تضج بنزيز الجرح ولست الوحيد يا شاعري الذي عاشَ في مجتمعٍ لا يقدرهُ أبناءُ وطنه فكثيرون من المفكرين والأدباء أضاعهم مجتمعهم بل يحاول إقبارَ شموسِهِمْ وهم أحياء فمن قبلك المتنبي الذي تعشَّقَتَ شعرهُ فقد ضج بالشكوى فأعلنها براكينَ متفجرةً تواكب الحياة، ولا تنسى الشيخ جعفر الخطي الذي عاش مشرداً شاكياً حتى مات بمدينة أصفهان من مدن إيران، وفي هذه الرباعية تصويرٌ رائع وتعبيرٌ فيه أداءٌ فنيٌ فالصمتُ هو موت العبقري موت الشاعر موت الكاتب إنه لتعبيرٌ فيه زخمٌ وتجسيد، وأسمح لي أيها الأستاذ لأعلق على هذه الرباعية لأناقشك في ظاهرة تاريخية تمتُ بحياتكَ وتتعلق بانبثاقِ حياتك الأدبيةِ فإن الغريَّ أي النجف الأشرف لم تبعثكَ كأديب أو شاعرٍ إنما سافرتَ لها وأنت غريدٌ تحملُ ثروةً أدبيةً وعلميةً استلهمتها من سماءِ والدكَ وتحملُ مجموعةً شعريةً أسميتها (وحي العواطف) وأتذكر من ذلك الشعر

بعض القصائد كقصيدة عنوانها عاشقان فيها لونٌ من القصص واحتفظت بها أيها الشاعر حتى إصدار هذه المجموعةِ وهي أحد محتوياتها، إلا أنني لا أتذكر هل أبدلت العنوان بغيره، وقصائدُ أخريات من إلهام سماء القطيف قبل سفرك إلى النجف الأشرف أضفتها إلى هذه المجموعات المطبوعة، كقصة عنترة وعبلة وقصائدَ أخرى أتذكر أبياتاً من قصيدةٍ قلتها في والدك مطلعها:

تـه يـا قطيـف فقـد حويـت جـلالا

تـه بـالذي مـلأ البـلاد كمـالا

هـذا أبـو حسـن كيـانُ حيـاتنا

هـذا الـذي لبس الـتقى سـربالا

وهذه القصيدة مع قصائدَ أخرى حكم عليها الشاعر بالإعدام ولا تنسى قصائدك العصماوات كلها من وحي سماء القطيف من تاريخ عام الرابعة والستين بعد عودتك إلى القطيف كقصيدة فترة وغيرها حتى رحلت إلى الملأ الأعلى وشاهدنا حيٌّ وهو تاريخ قصائدك.

هذه ظاهرة تاريخية أسجلها للأمانة لمعرفةِ الأجيال الجديدةِ وإزالة ما ضببها من ستارٍ وبطنها من قتامٍ، وأسمح لي في هذه المناقشةِ لأنك تؤمنُ بحريةٍ الرأي والفكرِ.

ضائع

ضعـتُ بيـن: الشيـوخ، والشـبان

فـأنا كـالغريب في أوطـاني!

أنكرتنـي الشُّيـوخُ لَمَّـا رأتنـي

أتحـرى الأبكـار، دون العـوان

ونبـــا عنّـــيَ الشبـــابُ، لأنــــي

أتجـــلى لهـــم كشيـــخ فانــــي

وضيــاعي فــي الخــطّ ليس ببــدع

الضُّحــى ضــائعٌ لــدى العميـــان

تصور معي هـذه اللوحـة الفنيـة فالشـاعر صـور ضياعـهُ وإهمال المجتمع لفكرهِ وأدبهِ في ألوانٍ من الصورِ التي تهزُّ من كان لـه إحساسٌ فهو يعيش في مجتمعِ الشبابُ ينبـو عنـه لأنـه يتجلى في صورةِ شيخٍ هـرمٍ، والشيوخُ يعرضونَ عنهُ لأنهُ يتجددُ فكراً كما يتجدد الفجرُ في معانيهِ البكر فضاع كما ضاع الضحى لدى مجتمعٍ ضريرٍ لا يميز بين الجوهر والفحم ولعل الشاعر في هـذه الشكوى يشير بها للفترة التي لم ينتبه المجتمع القطيفي لخدماته الاجتماعية ويلقي قياده بيمينه.

شمعة تحترق

لـــم يبـــقَ لـــي مـــن أمـــل

غيـــرُ انتظـــــار الأجــــل

أفنيـــــتُ عمـــــري كُلَـــهُ

وأسفـــــأً فـــــي كســــل

عمــــري المديـــدُ لـــم يكـــن

غيـــر صـــدى فـــي طلـــل

حرّقــــتُ نفســــي شمعــــةً

تُضـــئُ دربـــاً ليـــس لـــي!

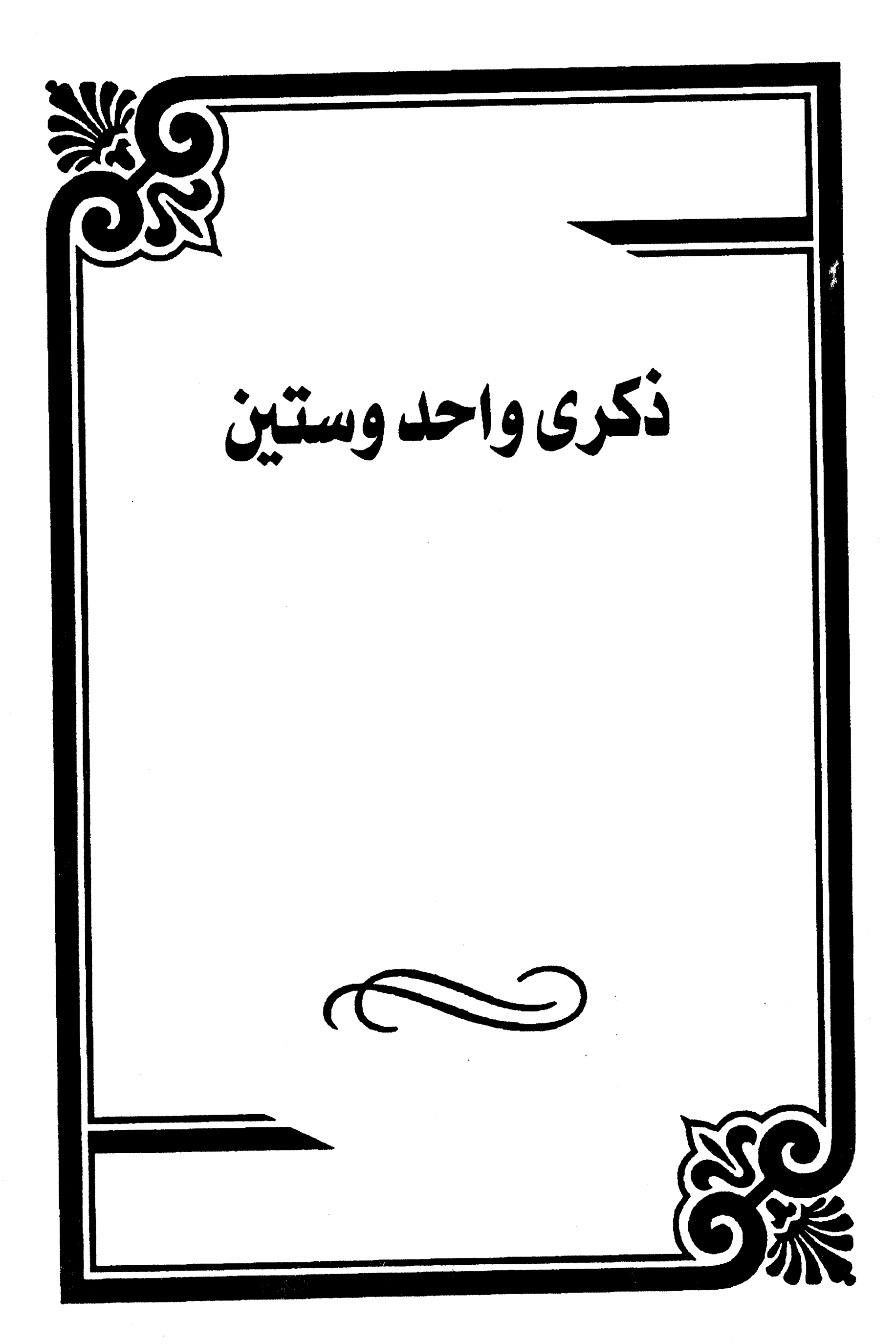
ويختم الشاعر هذه الرباعيات برباعيةٍ تشبه خاتمةَ العمر فيغرب فيها من البلاغةِ والتصوير وباختصارٍ هو كالشمعةِ التي

تحترق لتضئ لغيرهِ ولم تبق فضلةٌ في كأسهِ إلا انتظارِ الأجل المحتوم الذي لابد منه وأنا أخالفهُ فإنه أبقى في دنهِ بقايا وبقايا لم يفرغ الدن ولكنهُ كما أشار الشاعر إلى هذه الظاهرةِ النفسية، وهي الكسلُ التي تضيعُ نشاط المفكرين وجهد العاملين وإلا فقد بقيَّ في دنِّهِ فضلاتٌ لم يفرغها بل رحل عن هذه الحياة بها، وفيه بقايا وبقايا، وكم دخلتُ معهُ في جدالٍ عنيفٍ لعودته إلى سماء عبقر، وإلى القلم الذي منحنا الله هذه الموهبةَ ولكنه لم يتحرك ولم يفد فيهِ أيٌّ عتابٍ وقد أشرتُ إلى ذلك في ترجمته في كتاب (خيوط من الشمس)، وقد قرأها بنفسه، فلا ضير عليهِ فإن شاعرنا بصمَ بأناملهِ على دنيا الفكر وأفق الشعرِ بصمات ستظلُ أنغاماً تُرَدَّدُ مادامت الحياةُ، وأوتاراً يعزف عليها كل حرٍّ ومفكرٍ وتزود الشباب بألوانٍ من الفكرِ الحي على مائدةٍ خصبةٍ تمورُ بألوانٍ من صورِ الشعر والأدب الرفيع فأهنئكَ أيها الشاعر يا أخي لما تركت من هذه الثروة الضخمةِ التي ستثري الفكر العربي وتسد فراغاً فكرياً في المكاتب العربية فنم هنيئاً عوضك الله بجنان الخلد وأسكنك فيها مع النبيين والصِّدِّيقين.

هذه لمحةٌ أسجلها عن إصدارات أستاذي وأخي الشيخ عبد الحميد وأنا مُعرَّضٌ فيها للخطأ والصواب وكل ما أرجو أنني كنت وفياً وأديتُ بعض الواجب لأستاذي وموجهي الثاني في حياتي الأدبية.

٢٧/٠٨/١٤٢٤ هـ

٢٣/١٠/٢٠٠٣ م



ذكرى واحد وستين

إنَّ الزمن في دورته السريعة الحثيثة التي هي أسرع من الضوء حيث ينطوي الليل في النهار، وينطوي النهار في الليل أو بتعبير أدق كما وصف كتاب الله هذه الدورة:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليمٌ بذات الصدور﴾[1]. صدق الله العظيم

إن في هذه الدورة التي هي من آيات فاطر السموات والأرض لآياتٍ لمن تفكر في نفسه، وفي الآفاق أليست هذه الدورة التي لا يسبق الليل النهار، ولا يسبق النهار الليل على وتيرةٍ مستمرةٍ دائبةٍ لا تختلف طرفة عينٍ إن صح التعبير، والأصح أن ليس هناك فترة فاصلة بين الجديدين، فالجديدان يمران في دورتهما المذهلة وتنظيمهما الدقيق اللذان يشيران إلى وجود خالقهما خالق كل شئ وبين دورتهما مصارع البشر فالبشر في غروبٍ دائبٍ كغروبِ طيوفِ الشمسِ وفي ميلادٍ كإشراقِ ضوءِ الفجرِ عندما ينحر الليل، إنَّ مصارعنا وميلادنا حروفٌ بصفحة الجديدين بين غروبٍ وشروقٍ، فلابد أن يمر على كل مولود ليل بلا نهار أو نهار بلا ليل، هكذا خاتمة كل فرد من هذه البشرية يعيش المرء وطموحاته تملأ فؤاده بالآمال المخضوضرة ورغبته الدنيوية تُزجي به إلى إرتكاب المخاطر والآثام وسرعان ما

---

(١) سورة الحديد الآية رقم (٦).

انطوى ذلك الشوط شوط الشباب المتوثب لآمالٍ يكاد يتناولها من عيون النجوم وفجأةً باخ ذلك البريق وأنطفأ ذاك السحر، وصار هرماً قد أتعبته الشيخوخة الواهنة يجر أتعابه وويلاته مكدسةً خلف خطاه حتى يصل إلى جدثه الأخير، وماذا أبقى له من هذه السنين الطويلة أو القصيرة من عملٍ يضيئ له، ويسعى بين يديه، إنَّ هذه الحياة لتموج بآيات العبر، وصور المفارقة كالدمعة والابتسامة، والفرح والحزن، صورٌ تتراقص في عين كل فرد من هذه البشرية، ولكنه قليلٌ منا من يقرأ ما وراء سر الدمعة، أو ما وراء ضوء الابتسامة وما في الفرح والحزن من غبطةٍ أو ألم، نعيش ونموت على هامش الحياة كما تعيش الأنعام، لا نقرأ ما في سفر الطبيعة من آياتٍ انتظمت أسطراً تدعو لتوحيد الخالق والإخلاص إليه والتفاني في طاعته، قليلٌ هم الذين قرأوا سفر الحياة، والذين هم أقل الأقلية الذين اعتبروا بهذه الآيات الناطقات وطبقوها على صعيد الواقع العملي أولئك القليلون كالرسل والأنبياء وعلى قمتهم الرسول الخاتم وأهل بيته، وشريحةٌ من الصحابة الصالحين الذين ساروا على آثار الأنبياء والرسول والعلماء العاملين الأتقياء الذين تمسكوا قولاً وعملاً بمبدأ الأنبياء والرسول وأئمة آل البيت قد تسألني أيها القارئ إن قدر لك أن تقرأ هذا الحديث أو هذا المقال ماذا يهدف من وراء هذه الأحرف التي أدارها كأنه يقرأ سفر الطبيعة وما فيها من آياتٍ بينات ولكنني كتبت هذه الأحرف حين كتبتها كتوطئةٍ أو مدخل لمرور ما يزيد على نصف قرنٍ على رحيل الإمام الشيخ على أبي

الحسن الخنيزي فقد دار كوكبنا الأرضي على رحيله تسعة وخمسين دورة أو واحداً وستين عاماً حيث كان رحيله في ليلة الأربعاء في الساعة السادسة بالتوقيت الغروبي يوم واحد وعشرين من شهر ذي القعدة عام ثلاثة وستين بعد الثلاثمائة والألف هجري الموافق السادس من شهر نوفمبر عام أربعة وأربعين بعد التسعمائة والألف ميلادي.

ومن الصدف أن يكون يوم الواحد والعشرين من شهرنا هذا هو يوم الأربعاء الذي رحل فيه الإمام أبو الحسن الخنيزي حيث دار هذا الكوكب تحت ضوء الشمس هذه الدورات المتلاحقة وانطوت بين دفات أيامه ولياليه مصارع للبشرية، وأحداث جسام وتغيرات متناقضة، ودول تحولت إلى أشلاء وتبعثرت أحلاماً كأوراقٍ في مهب الرياح، وأخرى أعتلت على سدة الحكم ولكن غير أن المفكرين، أو قل العلماء الروحانيون العاملون باقون ما بقيَّ الدهر بأفكارهم، وأرائهم ينسابون كأنهرٍ في حروفهم يسقون العقول؛ ويروُّن الأرواح لا تزال كتبهم تضوع الشذى للعقول كما يضوع الزهر العطر للإنوف، ولكنَّ التميز بين عطر الزهر وعطر العقول تميزٌ بعيد كل البعد فعطر الزهر عطرٌ ماديٌّ يموت بموت الزهر لدى قطفها أو يبيسها ولكنَّ عطر العقول سيفيض أستمراريةً للأفكار فهو عطر روحي لا يموت إلا عندما تنطوي هذه الحياة وتجف أغصانها اللدنة، فالأمام الشيخ علي الخنيزي هو أحد أفراد هذه الشريحة الخيرَّة التي ملأت الحياة قبل رحيلها ضوءاً وهاجاً يمدُّ العقول من حروف كتبه الضوئية التي ذاع صيتها وضوَّع حرفها في

العالم الإسلامي، لقد مضى على رحيله تسعة وخمسون عاماً وهو لا يزال يشاركنا العيش ويتنسم معنا الأكسجين ويرشدنا في مدلهمات عتمة هذه الحياة كأنه حيٌّ بيننا يشير لنا بأصبعه إلى كل خيرٍ ينفعنا في هذه الدنيا ويحذرنا من كل شرٍ وسوءٍ يوقع بنا في هاويةٍ لا نستطيع الخروج منها فمصباحه لا يزال منيراً يشرق ليدل التائهين إلى الصوى، فأسفاره التي أُذيعت في العالم الأسلامي كان لها النفع الكبير والأحتفال والأستمتاع بها فكأنه لم يمت لإنه حيٌّ في حروفه يتخللها وتنساب روحه فيها كما ينساب الصباح في ظلمة الليل لهذه الحياة إنما هي نقلةٌ من هذه الدنيا الفانية إلى الدنيا الباقية نقلة جسمٍ لا نقلة روح وفكر، فالفكر باقي يتجدد كتجدد الحياة في أسفاره وفي أفكاره لإولئك العلماء المتعطشين إلى هذا النمير فأنت حيٌّ أيها الإمام في ذاكرة التاريخ، وفي ذاكرة الإنسانية إن في ذاكرة التاريخ لك يا أبا الحسن الخنيزي صفحاتٌ بيضاء كتبت بأحرفٍ من نورٍ نقرأُها خالدة كخلود ذاكرة التاريخ ونقرأُها في ذاكرة الأفراد الذين عايشوك ويروون عنك وعن حياتك الحافلة بالمكارم والمفاخر التي هي كالظل السجسج يحنو على البائسين نقرأُها في ذاكرة طلابك الذين أنفصلوا من حياتك العلمية رموزاً وأبناءاً يروون عن حياتك ونشاطك العلمي الذي لا يفترُ ولا يعرف فراغاً من الوقت، إن هذه الذاكرة الفانية التي تسجل ما عندها في ذاكرة التاريخ الباقية، وإنني أحد طلابك أُسجل ما في ذاكرتي الفانية إلى صفحات ذاكرة التاريخ الخالدة لتقرأها الأجيال المقبلة في صفحات تلك

الذاكرة التي هي أبقى وأقوى من ذاكرتي وأروي عنك مشهدين تاريخيين أختزنا في ذاكرتي ولم أذعهما للناس ولم أرسمهما في إصدارٍ من إصداراتي.

المشهد الأول: سمعته من فيك وطالما رددت هذه المقولة الإعترافية التي فيها شكر المنعم عليك، وهو والدك الحاج حسن مهدي الخنيزي، وهذه المقولة كنت ترددها وتقول إنني أشكر والدي على تربيته وعلى ما قام به من توجيهٍ لي ولكنني أكثر شكري له على تفريغي وتهيئتي للدراسة وتوجيهي لطلب العلم فإن هذه النعمة لا تعادلها عندي نعمةٌ في حياتي فهي أسمى النعم عندي وأثمنها فجزى الله والدي عني خير الجزاء فقد أسعدني بهذه النعمة وقد رويتها بالمعنى لا بالنص لأمانة التاريخ حيث إني لا أحفظ ألفاظها بالنص.

أما المشهد الثاني: فما رواه لي السيد هاشم السيد حسين العوامي المعروف والده بالسيد حسين العالم رحمهما الله فإن هذا السيد المجيد لا يقبل من أحدٍ صلةً ولو كانت حقاً له فهو يرفض كل صلةٍ ويطوي خمصاً هو وعائلته ويغطي أبناءه في البرد القارس بخيشٍ ودافعه الإيمان وعزةُ النفس فقد روى لي إن الإمام الشيخ على أبا الحسن الخنيزي جاء له ذات صباحٍ يطرق عليه بابه فنزل له وحياه فإذا بالإمام أبي الحسن يحمل تحت عباءته صرةً بها دراهمُ يقول السيد هاشم فسلمني إياها فقلت له أشكرك أيها الإمام ولكنني لا أريدها لإنه لا حاجة لي، وأنا غنيٌّ فكان جواب الإمام هذه هدية مني إليك لا تتعلق بحقٍ أو بأمرٍ من الأمور الشرعية

إنما هي هديةٌ خالصةٌ لك فخجلت منه وقبلتها فقلت أقبلها على شرط أن تتناول عندي في صباح غدٍ وجبة إفطارٍ ويتم كلامه السيد هاشم فابتسم وفرح بقبولي إياها وأجابني بالإيجاب، فعددت الدراهم فكانت خمسمائة ريال سعودي، وتعدُّ في ذلك الظرف مبلغاً ضخماً لا يتيسر لكل الناس، وكنت من الذين حضرا هذه المأدبة، التي أقامها السيد هاشم العوامي وكل من حضرها يجهل السر الذي أنشئت هذه الدعوة من أجله وما وراء أهدافها ولم يكشف لنا هذا السر إلا بعد وفاة الإمام الخنيزي من صاحب الدعوة، وكما بقيت في ذاكرتي ظاهرة من ظواهره التعليمية الخلقية التي لا تجمح بالطالب فتغريه ولا تكون في طريقه عقبةً فتأخره عن سيره الدراسي فكان الإمام الخنيزي (ر. هـ) يطرح مطلبه العلمي أو سؤاله عليَّ في صيغٍ مختلفة من القواعد النحوية، أو الأصولية أو الفقهيه أو التاريخ في عبارة غير مغريةٍ، ولا جانحة حيث يقول إن حللت هذا المطلب أو بصيغة أخرى إن أجبت عن هذه المسألة فأنت نحويٌّ أو فقيهٌ أو أصوليٌّ في الجملة هكذا كانت تعاليمه ودروسه الخلقية ولا تختص هذه التعاليم بطلبة العلم أو المفكرين على إختلاف شرائحهم ومستواهم الفكري والعلمي بل تنتظم هذه التعاليم جميع من يحضر ناديه باختلاف الصيغ وطرح الأفكار فهو يصيغها ويطرحها على صعيد مستواهم الفكري والثقافي، وما يستطيع أن يصل فهم ذلك الطالب إلى وعي هذه الصيغ والأفكار، ولتلك النعم كان لرحيل الأمام الشيخ علي أبي الحسن الخنيزي خسارةٌ لم تعوض عنها القطيف بعوضٍ يسدُّ مسدَّه

ويملأ الفراغ الذي تركه شاغراً حتى يوم الناس هذا. لأنه كوكبٌ أضاء في سماء محيطه، ولم يتقوقع وينكمش بين جدران الحياة والتاريخ، وقد تزود من حروف أسفاره كثيرون من طلاب العلم من المسلمين في جميع العواصم الإسلامية فهذا أبو زهرة يشير في كتاب الإمام الصادق إلى بعض أراء الإمام الخنيزي ويقتبسها من كتاب الدعوة الإسلامية إلى وحدة أهل السنة والإمامية وهذا كتابه المناظرات تُرجم إلى اللغة الهندية (الأردو)، وكتابه دلائل الأحكام - الذي هو دورة فقهيه يباحث عليه في قم المقدسة ويأخذ مكانه في الحوزة العلمية في النجف الأشرف وهذا مثالٌ واحدٌ لا على سبيل الحصر وأسفاره العلمية الباقية التي تدور مع دورة الشمس.

فرحمك الله يا أبا الحسن وعوضك عن جهادك المضني جنات عدنٍ عند ربك حيث أن مداد العلماء هو أفضل من دماء الشهداء لإن مداد العلماء يتوهج مصابيحَ ترشد البشرية إلى الصراط المستقيم إلى شرعة الخاتم وهم الأدلاء إلى الشريعة إلى الدين الإسلامي فغفر الله لك وعوضك عما تركته من ثروة علمية، وجهودٍ مضنية بذلتها كلها عطاء في سبيل خالقك فهو الذي يعوضك عنها لا غيره..

والسلام عليك يوم ولدت ويوم مت ويوم تبعث حيا ورحمة الله وبركاته

٢٠/١١/١٤٢٤ هـ

١٢/٠١/ ٢٠٠٤ م


واعمّـاه

بسم الله الرحمن الرحيم

وا.. عماه

هذه كلمةٌ لابنتي الأستاذة / فردوس قالتها في تأبين عمها العلامة الشيخ عبد الحميد الخنيزي الخطي وليست من أحرف هذا الكتاب ولا تمت له إنما أثبتناها هنا تشجيعاً للمرأةِ التي هي نصف الرجل والرئةُ التي يتنفس منها المجتمع وقد ألقتها بنفسها في مأتم الذكرى:

يعظُ النابغ الخلائق حياً

إنما موتهُ أجلُّ عظاته

مرت عليَّ الذكريات كديمةٍ تهطل لتسبح من السماء برقة وانسياب، لتثير فيَّ الشجون والأحزان. ذكرياتٌ - يا عمَّاه - تُرْجِعٍ تلك الأوقات السعيدة في بيتنا - في الخلوة - وأنا طفلةٌ، وأنت تعلمني أصول الخط والكتابة فأكتب العرائض تارةً، وتارةً أخرى تسطَّر لي تلك الأبيات الجميلة بخط أنيق، فأعيد نسخها.

تذكرت - يا عماه - ناديكم في خلوة بيتنا وكيف كنتم تتداولون الشعر والأدب وتناقشون المذاهب الأدبية والفكرية وأنا أستمع بإسهاب لتلك المداولات الثرة وأنا مزهوة بأبي وأعمامي وصحبهم.

تذكرت تلك الأيام التي رعت وصقلت شخصيتي وأزهرت العلم والحب في قلبي وانعكست نوراً يضيء لي الطريق في تربية أبنائي.

عمّاه، كنت عندما أوجّه أبنائي، أحدثهم عن العلم والحكمة وخدمة الدين والمجتمع وأضرب لهم مثلاً بأجدادهم الإمام الخنيزي والزعيم الخنيزي والشيخ محمد صالح المبارك. وعندما أحدثهم عن الجاه والكرم والقوة ونجدة الناس، أخبرهم عن جدهم سلمان بن عبد الهادي. أما عندما أحثهم على التواضع والصفح وكظم الغيظ وخدمة الناس - صغيرهم وكبيرهم - فلا أحتاج إلى ضرب الأمثلة لأنهم كانوا يرون تلك الصفات متجسدةً فيك وهم يقطعون سنوات الطفولة. كنا نرى فيك القطيف ونرى القطيف في قلبك.

فهي لولاكَ لمْ تكنْ غيرَ طيف

ضائعٌ في محاجر النسيان

عمّاه: أ صحيح أنك لن تزين مجلسك في منزل والدي بعد الآن؟!

أ صحيح أننا لن ننتظرك يوم العيد ليزداد العيد إشراقا؟!

أ صحيح أن قلبي لن يرقص فرحاً لرؤياك في بيتي لأني لن أراك مجدداً؟!

بحثتُ لي عن معزٍّ يوم مصرعه

فلم أجد غير محزون أعزيه

وما سألتُ امرأً فيما تفجعه

إلا وجاوبَ: أني من محبيه

كأنما كلُّ إنسان أضاع أباً

أو انطوت فُجْأةً دنيا أمانيه

فذا أساه لهيب في أضالعه

وذا أســـاهُ دمـــوعٌ في مآقيـــه

فهل درى أيٌّ سـهم في القلـوب رمَـى

لمَّـــا نعـــاهُ إلـــى الأســـماع ناعيـــه

أبي صاحب القلب الحنون والكلمات الرقيقة، عمي الحبيب الشيخ عبد الله، عمي الحبيب - أبا نسيم - يا صاحب القلب الرقيق، عمتي الحبيبة أم جمال، عمتي الحبيبة أم حلمي، أبناء وبنات العم الأعزاء. أعزيكم بفقد والدنا الحبيب وادعوا الله له بالدرجات الرفيعة والمنزلة العالية.

وكفانا عزاءً أنه خدم الدين والمجتمع وسار على خطى سلفه

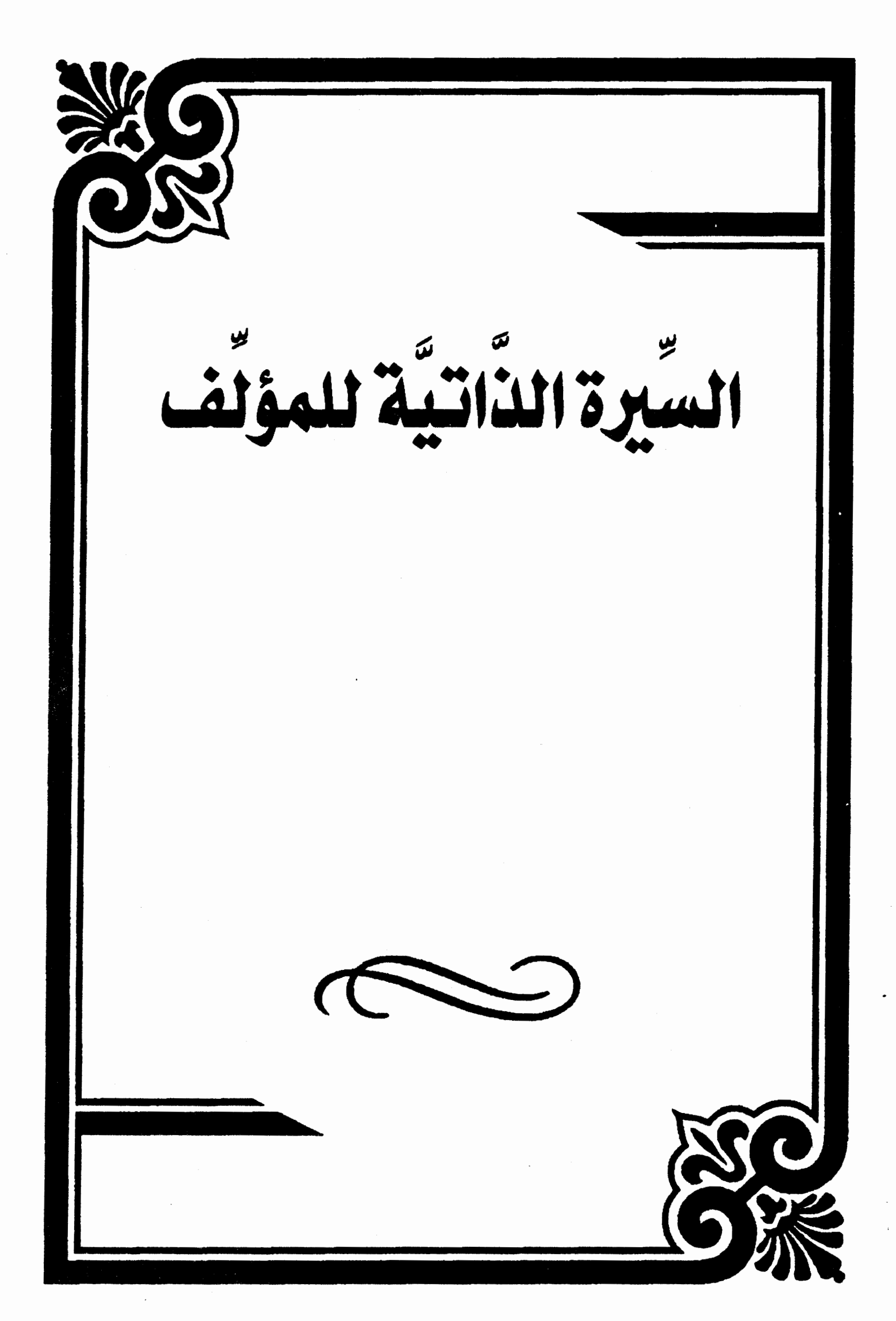
والفتـــى العبقـــري يولـــد إذ يولـــد

فـــي مهـــده ويـــوم وفـــاتَهْ

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فردوس محمد سعيد الخنيزي

٢٠ محرم ١٤٢٢ هـ



السِّيرة الذَّاتيَّة للمؤلِّف

الاسم

محمَّد سعيد بن الشَّيخ عَلِيٍّ بن حسن بن مهدي الْخُنيزيٌّ.

تاريخ

٢/٢/١٩٢٥م.

العنوان

المملكة العربية السُّعودية المنطقة الشَّرقية - القطيف

الرمز البريدي: ٣١٩١١ - ص. ب: ٨٧٩

تليفون - فاكس: ٨٥٥١٠١٣

محمَّد سعيد الشَّيخ عَلِيٍّ أبو الحسن الْخُنيزيٌّ

موجز السِّيرة الذَّاتيَّة

ولدتُ فِيْ اليوم والشهر مِنْ العام الَّذي حددتُ تاريخه بالميلادي، فِيْ الصفحة الأُولى من هذه السِّيرة، ودرجتُ على هذا الكوكب تحت رعاية والدي الشَّيخ / علي أبي الحسن الخنيزي.. الَّذي كان مرجعاً وقاضياً لجميع المذاهب مِنْ سنة وشيعة.. ويرضون بحكمه، أُصبتُ فِيْ السادسة مِنْ عمري تقريباً بأثمنِ كنزٍ فِيْ حياتي، وهيَ عيني، الَّتي تعكسُ طبيعة الحياة، ومناظرها الجميلة، وعندما بلغت السابعة مِنْ عمري، أدخلني أبي الكُتَّاب.. لأنَّ ذلك الظَّرف لا توجد فيه مدارس على منهجية المدارس الحديثة اليوم، وكان هذا الكُتَّاب قمَّة الكتاتيب فِيْ ذلك العصر، ويديرانهُ ويتعاقبان عليه الأخوان فضيلتا الشَّيخ / محمد صالح البريكي صباحاً، وأخوه الشَّيخ ميرزا مساءاً، وهذا الكُتَّاب يُعلِّم

كتاب الله، ونمطاً مِنْ الخطِّ، وضرباً مِنْ أنواع الحساب، ويسمى بالجمع والطرح والضرب والقسمة، الَّذي هُوَ بعض دروس الرِّياضيات اليوم، كما يعطي لوناً مِنْ الشِّعْرِ العربي، ويشرح بعض كلماته، ويطلب مِنْ الطُّلاب حفظ ذلك الشِّعْرِ، وللكُتَّاب أسلوب ومنهجية فِيْ دفعِ الأجورِ، وأيَّام التَّعليم طيلة الأسبوع، والإجازة يومي الخميس والجمعة، ولا تتخلَّل الدِّراسة فسحات يرتاح فيها الطُّلاب مِنْ جهدِ الدِّراسة، وقَدْ خرجت مِنْ هذا الكُتَّاب بعد أنْ اجتزت مراحله التَّعليميَّة، وتعليمي كان غيبياً عَنْ طريق الحفظ القلبي.. لا البصري، خرجت مِنْهُ وأنَا ابلغ الثَّالثة عشر، وبعد فترة هيأني والدي للدِّراسة، لأتخصص فِيْ العلوم الدِّينية، فدرست قواعد اللُّغة العربية، ومِنْ كتبها متن الأجرومية وشرحه لذحلان، وقطر الندى لأبن هشام، وألفية بن مالك، والمغني لأبن هشام، كما قرأت بعض الكتب العقلانية والفلسفية، كالحاشية في المنطق، والشَّمسية في المنطق، وقرأت كتب البلاغة، كالمطول ومختصره، وهو يبحث في أسرار البلاغة، ويوضّح لك سرّ البلاغة والنكت الَّتي تحتوي عليها، كما قرأت شريحة من كتب الفقه، وكتباً من أصول الفقه، وفوجئت وأنا في ربيع الدِّراسة، وقبل اليفاعة بموت والدي.. فكان لموته انحساراً، كانحسار الرَّبيع عَنْ الورد، فأصبحت كالحقل الَّذي جفَّ ماؤه، وبرغم ما عانيته من الثالوث غير المقدس 'الفقر - وأصابتي بالعين - وفقد أبي' واصلت دراستي العلمية، وكنت أقتل أوقاتي فِيْ الدروس، كما أنني أدرس ثلَّة مِنْ الطلاب، سنشير لهم في الصَّفحة المخصَّصة لهم، وإنَّني إذ أختصر هذه الأحرف، فقَدْ وضعت سيرتي الذاتية في كتاب، يتكوَّن من مجلدين أسميته 'خيوط من الشَّمس' يحتوي هذه الحياة

البسيطة، وما عانيت مِنْ حلوٍ ومرٍّ، ومررت فيه بقنوات تاريخية تمر بحياتي الذّاتية، أو ما يتصل بقنوات تاريخية لها ارتباط من قريب أو بعيد بهذه السيِّرة.

أمَّا الوظائف: فلم ألتحق بوظيفة من الوظائف، إنَّما امتهنت عملاً حرّاً غير مرتبط بدائرة، أو مؤسسة، وهو المحاماة، وهيَ المرافعة فِيْ القضايا، الَّتي تنظر فيها المحاكم الشَّرعية.

أبرز المواقف

لقَدْ مررتُ في هذه الحياة بمواقف مؤلمة، و مفرحة، ولكن في رأيي أخطر موقف مررت به.. واتخذت فيه قراراً حاسماً، بعد أنْ مرَّت عاصفات من التردد بأفق نفسي، وحيرة تكتنفها شكوك من الضَّباب، ولكني في النهاية أصدرت قراري النهائي، وتركت دراستي العلمية لأنزل إلى ميدان العمل 'المحاماة' مِنْ أجل الكسب على عيالي، لكي لا أعيش عالة على المجتمع.

الأساتذة

الأساتذة الَّذين تتلمذت عليهم، هم: والدي الإمام الشَّيخ / علي أبو الحسن الخنيزي، والعلاَّمتان الشَّيخ / عبد الحميد الشَّيخ علي الخنيزي الخطي، والشَّيخ / فرج العمران، والعلاَّمة الشَّيخ / محمَّد صالح المبارك، والشَّيخ / محمَّد صالح البريكي، وهؤلاء العلماء كلهم من أهالي القطيف، ولكن أستاذي الَّذي أعتبره كالجامعة من النقطة الأولى إلى المرحلة العليا، هُوَ والدي.. فهو لي كجامعة من المعارف.

أبرز التلاميذ

إنَّ التلاميذ الَّذين درسوا على يدي كُثُر، لعلَّهم يصلون إلى خمسين طالباً، أو يزيدون.. غير أنَّ مِنْ أنجحهم وأبرزهم فضيلة

الأُستاذ العلاَّمة الشَّيخ / عبد الله الشَّيخ علي الخنيزي، حيث أسهم فِيْ الحياة الفكرية بثروة ثرة، في حرف في كتب متعددة الألوان.. خدم بها اللُّغة العربية والفكر، والشَّيخ عباس المحروس حيث أصبح خطيباً، وعبد الغني أحمد السنان، حيث أصبح أحد الشَّخصيات البارزة في شركة أرامكو السُّعودية، ومحمَّد سعيد الشَّيخ محمَّد علي بن حسن علي الخنيزي، أصبح شخصية من الشَّخصيات الوطنية بالقطيف، ومهنا الحاج حسن الشماسي، ومحمَّد رضا نصر الله، حيث أصبح صحفياً غير محدود، وفؤاد على نصر الله، حيث صار صحفياً، ومحمَّد وحسن أبناء الشَّيخ فرج العمران، وجاسم خضر، وعبد اللطيف حسن الطويل، وهناك طلاب آخرون إنَّما لا تسع هذه الصَّفحة لذكرهم.

السِّيرة العلمية

إنَّ سيرتي العملية: كانت تنبثق عَنْ عملٍ حرٍّ - وهيَ المحاماة - فإنَّني لَمْ ألتحق بوظيفة في القطاع الخاص.. أو العام.. على حد سواء، إنَّما استعملت معارفي العلمية في المحاماة، وصرت لا اقبل مرافعة قضية، إلاَّ بعد دراستها، ومعرفة وسائل حججها ووثائقها، فإذا طبقتها حسب معرفتي على القواعد الشَّرعية، وبان لي موافقتها على ذلك قبلتها، وترافعت فيها، ومن أجل ذلك كسبت أكثرها بفضل الله وتوفيقه.

رؤية ودراسات

لابُدَّ من إشارة مقتضبة: لما قام به المفكرون والأدباء من دراسات عميقة عن أعمالي الأدبية، وقد أشير لبعضها في مقدمة ديوان مدينة الدراري، الدراسة الَّتي كتبتها البنت فردوس، والدِّراسة الَّتي في مقدمة كانوا على الدرب، للدُّكتور/ حسام سعيد

سلمان العبد الهادي الحبيب، ودراسات متفرقة، لم يجمع شتاتها في كتيب يبقى رصيداً ومرجعاً، لمن أراد الدراسة عن هذه الأعمال، وهذه الدراسات نشرت على صفحات الصُّحف الداخلية والخارجية، وفي كتب كثر، كما أذيعت حلقات دراسية من إذاعات عربية.. وغير عربية، ومن راديو المملكة من جميع محطاتها، ومن راديو لندن في رياض الشِّعر، وأكثرها أشير لها في كتاب 'خيوط من الشَّمس' كما شاركت في عدَّة ندوات فكرية وأدبية، أبرزها مؤتمر الشعر في الخليج الذي أقيم في مدينة الرياض تحت رعاية رئيس رعاية الشباب الأمير فيصل بن فهد عام ثمانية بعد الأربعمائة والألف هجرياً وأخر ندوة الَّتي أقامها لي النَّادي الأدبي بقاعة الجمعية الخيرية بالقطيف، في عام ١٤١٩هـ.

الأعمال العلمية والأدبية

اسم الكتاب	اسم المطبعة	سنة الطبع	نوع الكتاب
النغم الجريح	دار مكتبة الحياة – بيروت	١٣٨١هـ ١٩٦١ م	شعر
شيء اسمه الحب	مكتبة الأنجلو المصرية	١٣٩٦ هـ ١٩٧٦ م	شعر
شمس بلا أفق	الدار العالمية – بيروت	١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م	شعر
مدينة الدراري	مطابع الرضا – الدمام – السعودية	١٤١٤ هـ ١٩٩٣ م	شعر
كانوا على الدرب	مؤسسة البلاغ – بيروت	١٤١٦ هـ ١٩٩٥ م	شعر

خيوط من الشمس 'قصة وتاريخ'	مؤسسة البلاغ – بيروت	١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠ م	مجلدين نثر
الشعر ودوره في الحياة: أنجز منه مجلدين (المجلد الأوَّل - في جزئين) يحتوي على العصر الجاهلي، وعصر النور 'الإسلام' والأموي والعباسي، وفترة الفكر الانتكاسية، والجزء الثَّاني يحتوي على دراسة حياة بعض الشعراء للأقطار العربية. المجلد الثاني (في جزئين) الثالث خاص بشعراء المملكة الرومانسيين والجزء الرابع خاًص بثلة من شعراء القطيف الكلاسيكيين.			
تهاويل عبقر	مؤسسة البلاغ- بيروت	١٤٢٢ هـ ٢٠٠٢ م	شعر
العبقري المغمور	مؤسسة البلاغ - بيروت	١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣ م	نثر
أضواء من النقد في الأدب العربي	هو ذا	❖❖❖❖	نثر
أجراس حزينة	مخطوط	❖❖❖❖	شعر
أوراق متناثرة	مخطوط	❖❖❖❖	شعر
أشباحٌ في الظلام	مخطوط	❖❖❖❖	نثر



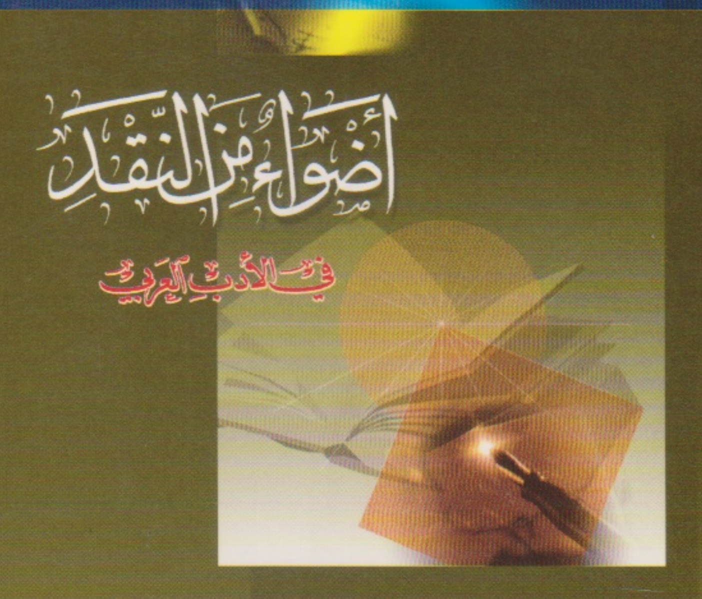


فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع

الصفحة	الموضوع
١٩٩	تعليق على كتاب أديب وأديبات من الخليج
٢١٣	العلم والمعلم
٢١٩	ساعات بين التقنية والتطور
٢٢٧	تعقيب وتصحيح
٢٣٧	إليك أبا فؤاد
٢٤٣	نظرات دراسية في آثار العلامة الخطي
٢٧٥	ذكرى واحد وستين
٢٨٥	وا.. عماه
٢٩١	السيرة الذاتية
٢٩٧	الأعمال الأدبية
٢٩٩	الفهرس





مؤسسة البلاغ
للطباعة والنشر والتوزيع

المكتب بئر العبد سنتر الإنماء ١ ـ ط٣ ـ المستودع : حارة حريك ـ شارع الشيخ راغب حرب ـ مقابل نادي السلطان
ص.ب : ١١ ـ ٧٩٥٢ بيروت ٢٢٥٠ ـ ١١٠٧ ـ هاتف : (٠١/٥٤١٨٥٤) ـ (٠٣/٥١٤٩٠٥) ـ فاكس : ٠١/٥٥٣١١٩ لبنان
التوزيع في سوريا : دمشق ـ السيدة زينب (ع) ـ مكتبة دار الحسنين (ع) ـ هاتف : ٦٤٧٠٦٥٤
الموقع الإلكتروني : www.albalagh-est.com

Designed by R .Sedik